العربية الصحيحة

الدكتور أحمد مختار عمر
أستاذ علم اللغة - كلية دار العلوم
جامعة القاهرة

الطبعة الثانية
١٩٩٨

العربية الصحيحة

الدكتور أحمد مختار عمر
أستاذ علم اللغة - كلية دار العلوم
جامعة القاهرة

الطبعة الثانية
١٩٩٨

عالم الكتب

العربية الصحيحة

رقم الإيداع ١٩٩٧/١٤٩٩٦
ISBN
977-232-120-3

الإدارة :
١٦ شارع جواد حسنى
تليفون : ٣٩٢٤٦٢٦
فاكس : ٣٩٣٩٠٢٧

المكتبة :
٣٨ ش عبد الخالق ثروت
تليفون : ٣٩٢٦٤٠١
ص.ب : ٦٦ محمد فريد
الرمز البريدى : ١١٥١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

الباب الثالث
تحقيقات لغوية

الباب الرابع
دراسة تطبيقية

مقدمة الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الأولى من الكتاب منذ ستة عشر عاماً، وأعيدت طباعتها عدة مرات دون تغيير. وقد رأيت ـ بعد مرور هذه الفترة الطويلة ـ أن أعيد النظر فى مادة الكتاب وأزيد. وقد لحقت التغييرات معظم أبواب الكتاب وفصوله، أما الزيادات فقد شملت الأبواب الآتية:

١- الباب الأول، حيث زدت فصلين، أحدهما بعنوان: «أزمة اللغة العربية المعاصرة، والحاجة إلى حلول غير تقليدية»، والآخر بعنوان: «القيمة اللغوية للقراءات القرآنية»، وهو فصل جاء مكانه بعد الفصل الخامس «أساس الحكم على كلمة ما بالخطأ أو الصواب» ليكون بمثابة إضافة أو تكملة له.

٢- الباب الثالث، حيث زدت على التحقيقات اللغوية فصلاً سادساً بعنوان: «أفعل التفضيل بين قواعد النحو وواقع الاستعمال».

٣- الباب الرابع حيث زدت فيه أمثلة كثيرة من ناحية، وأجريت عليه تعديلات داخلية من ناحية أخري، فتم نقل كثير من الكلمات والعبارات من فصل إلى فصل، كما أضفت إلى الفصل الرابع نماذج من التعبيرات والأمثال الشائعة التى قد يلتبس معناها أو معنى أحد ألفاظها على القارئ، أو يفهمها على غير حقيقتها، فيضعها فى غير موضعها من الاستعمال الصحيح.

مقدمة الطبعة الأولى

للغة العربية قيمة كبيرة لا تتمثل فقط فى أنها وسيلة التعبير الوحيدة للأمة العربية، وفى أنها تعد الآن واحدة من كبريات اللغات فى العالم، ولكن لأنها ـ أولاً وقبل كل شئ ـ لغة القرآن والدين، وسجل ماضينا، وديوان حاضرنا، ووعاء ثقافتنا. فأى تقصير فى خدمتها لا يعد تقصيراً فى جانب الوسيلة فقط، وإنما فى جانب الغاية كذلك.

وإنه لمما يحز فى النفس أن تكون للغة العربية كل هذه المكانة ثم لا تلقى من أبنائها العناية والرعاية الكافيتين. ويحز فى النفس أكثر أن تشكو اللغة العربية الغربة فى وطنها وألا تستخدم ـ بمستواها الفصيح ـ إلا فى مجالات ضيقة، وغالباً ما يحيط بها التحريف والتشويه من كل جانب.

وإنك لتجد المثقف العربى يتحرى الصواب حين يتكلم أو يكتب بلغة أجنبية، ولا يعبأ حين يتكلم أو يكتب بلغته العربية. وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد اعتبر من أخطأ فى حضرته رجلاً ضالاً، وناشد أصحابه أن يردوه إلى الصواب قائلاً: «أرشدوا أخاكم فقد ضل»، فما بالنا الآن لا نشعر بالخجل حين نخطئ، وما بالنا نتجاوز عن عشرات الأخطاء، ونمر عليها دون إحساس، وإذا أحسسنا بها فبدون اكتراث، وإذا اكترثنا فبدون سعى للتخلص منها.

وكثيراً ما كنت أتعجب حين أستمع إلى حوار فريق من المثقفين بل والمتخصصين فى اللغة العربية، أو أتابع محاضرة أو حديثاً لأحدهم فأجد اللهجة العامية هى السائدة، أو أجد لغة بين بين، وكنت أسأل نفسى، هل اللغة العربية الفصيحة ـ ولا أقول الفصحى ـ لغة فوق مستوى البشر؟ أهى عصية لا يقدر على التمكن منها والسيطرة عليها إلا أولو العزم؟

ويلح علىّ هذا التساؤل حين أعقد مقارنة بين المثقف العربى حين يتحدث أو يكتب بلغته العربية، والمثقف الإنجليزى ـ مثلاً ـ حين يتحدث أو يكتب بلغته الإنجليزية فأجد النتيجة ـ مع الأسف ـ مخزية. القلة القليلة أو الندرة النادرة من الأولين قد استقام لسانهم وارتفع

مستوى لغتهم، أما الكثرة الكاثرة منهم فلا تقيم لسانها، ولا تحسن التعبير عن ذات نفسها. والأمر على النقيض بالنسبة للرجل الإنجليزى الذى يتقن لغته كتابة وحديثاً مهما كان تخصصه.

وإذا كان اللغويون القدماء قد اعتبروا اللغة العربية هى لغة الملائكة، ولغة أهل الجنة، فقد كان هذا مظهراً من مظاهر تقديسهم لها، وإيمانهم بكمالها. أما الآن فقد أصبحت مقولتهم حقيقة واقعة، إذ لم تعد اللغة العربية ـ فى صيغتها الصحيحة ـ لغة أهل الأرض، بل ارتفعت إلى عنان السماء راضية بأن تكون لغة الملائكة، ولغة من يرضى الله عنهم يوم القيامة فيدخلهم الجنة.

وردّ اللغة العربية إلى سكان الأرض مرة ثانية هو المشكلة الأساسية التى تواجهنا الآن، والتحدى الكبير لأساتذة اللغة العربية والقوامين عليها. وهو تحد يجب أن تتضافر الجهود الفردية والجماعية لمواجهته والانتصار عليه. نحن لا نطلب المستحيل، ولا نعاكس طبائع الأشياء حين ننادي بهذا. فلسنا نريد برد اللغة العربية إلى سكان الأرض أن تصبح لغة الحياة ولغة الحوار اليومى. فهذا إغراق فى الخيال، ومحاولة للوصول إلى وضع ما نظن أن اللغة العربية أو أى لغة فى العالم قد حققته فى يوم من الأيام. ولكن كل ما نريده لها أن تصبح لغة المثقفين فى مواقفهم الجادة: فى أحاديثهم وحواراتهم ومحاضراتهم.. فى اجتماعاتهم ولقاءاتهم.. فى مجالسهم وندواتهم.. على ألسنتهم وأقلامهم. ولن يكون ذلك إلا إذا تغير أسلوبنا فى تعليم اللغة العربية وتعلمها، واتخذنا خطوات جريئة فى سبيل تيسير اللغة العربية وربطها بالحياة، وقبلنا الكثير من التعبيرات والألفاظ والأساليب المستحدثة مادام لها وجه فى العربية تخرّج عليه. وأخيراً وليس آخراً ـ إلا إذا استطعنا أن نثير الحافز الشخصى فى نفوس التلاميذ، وأمكننا أن نبعث فيهم روح الغيرة على اللغة، حتى يعتبروها جزءاً من كيانهم ومقوماً لعروبتهم، وأساساً لدينهم.

وهدفى من تأليف هذا الكتاب أن أبعث روح الغيرة فى نفوس أبناء العربية وأن أسهم بجهدى المتواضع مع جهود الآخرين من أجل تقريب اللغة العربية إلى عامة المثقفين. فلعلى بهذا أزيل بعض الوهم الذى علق فى نفوس الكثيرين عن صعوبة اللغة العربية واستعصائها على التعلم.

وقد اخترت كل أمثلة الدراسة التطبيقية من لغة المثقفين اليوم، وكان عمادى الأول لغة الكتابة المعاصرة فى الكتب والصحف والمجلات ولغة الأحاديث الإذاعية وبخاصة نشرات الأخبار، وما يقدم من برامج باللغة العربية الفصيحة.

وأرجو أن يكون لجهدى هذا ولو بعض النفع ولصيحتى ولو قليل من الصدى.

والله من وراء القصد، وهو الهادى إلى سواء السبيل.

الباب الأول

اللغة العربية
بين
النظر والتطبيق

الفصل الأول

هل نستسلم لدعاة العامية[1]

لا أدرى إلى متى سيستمر أبناء العروبة ومثقفوها يهاجمون اللغة الفصحى، وينتقصون من قدرها، ويحملونها مسئولية قصورهم عن التعبير، وعجزهم عن الاستيعاب؟ ولا أدرى إلى متى سيظلون واقعين تحت تأثير التيار الاستعمارى الثقافى فيرددون ـ بوعى أو بدون وعى ـ ما سبقهم الاستعمار إلى ترديده منذ عشرات السنين، إن لم يكن منذ مئات السنين؟ ولا أدرى متى سيسفر الصبح لكل ذى عينين وتختفى هذه النغمة الكريهة، نغمة الضرب على وتر العاميات واللهجات المحلية؟

ومن العجيب حقاً أن يرتفع صوت العامية هذه المرة من الكويت، بلد العروبة المخلص، وقلبها النابض، بعد أن خفتت الأصوات ـ أو كادت ـ فى بلد مثل لبنان ظل دعاة العامية فيه نحو نصف قرن يكتبون ويؤلفون ويروجون دون ما فائدة، أو بلد مثل مصر نامت فيه هذه الدعوة مؤخراً أمام ضغط تيار القومية الجارف، وتمسك الجماهير بعروبتها. وقد أحسست بالخطورة حين وجدت «البيان» تفسح ـ فى عددها الأخير ـ صدراً لهذا الصوت الذى وإن بدا خافتاً هذه المرة، لن يلبث إذا رأى النور أن يزيل القناع عن وجهه، ويعلن عن نفسه فى صراحة، وربما يتلقفه ذوو الضمائر السليمة والنيات الحسنة، الذين يصدقون كل ما يقرأون، أو الكسالى منا الذين عجزوا عن تعلم لغتهم الوطنية وإجادتها، فسرّهم أن يجدوا غيرهم يسدد لها سهامه ويصب عليها لعناته.

وإذا كان الأستاذ سليمان الشيخ ـ صاحب مقال: حول العامية والفصحى من جديد ـ قد

---

(١) مجلة البيان الكويتية ـ إبريل ١٩٧٤، مع تعديلات وإضافات.

ناقش القضية فى إيجاز شديد، فقد أثار عدة نقاط لابد من الوقوف أمامها لتمحيصها، وعرض وجهة النظر الأخرى فيها.

وإذا كان صاحب المقال قد عرض آراءه فى تحفظ شديد واستحياء ظاهر، فقد سبقه دعاة عرب آخرون كانوا فى دعوتهم أجهر صوتاً وأخطر أثراً، ولاسيما أن منهم من كان ـ ولايزال ـ يحتل مراكز للتوجيه والتنفيذ فى عالمنا العربى. وأذكر من بينهم على سبيل المثال الأستاذ يوسف السباعى ـ وزير الثقافة فى مصر الآن[1] والحائز على جائزة الدولة التقديرية فى الآداب لهذا العام ـ والدكتور صلاح مخيمر أستاذ الجامعة المثقف الذى يقوم على تخريج الأجيال وتربية الشباب.

أما أولهما فقد كتب حين كان رئيساً لتحرير مجلة «الرسالة الجديدة» المصرية، والحمد لله أن المجلة لم تعمر طويلاً فلم تأخذ دعوته فرصة للذيوع والانتشار، كتب يقول ـ معرضاً باللغة الفصحى وقواعدها ما نصه بالحرف الواحد: «يجب أن نتحلل من هذه القيود السخيفة. لماذا كل هذا التعب؟ ألأن العرب منذ ألف سنة رفعوا هذه ونصبوا تلك.. ليكن.. لنحافظ على تراثهم (تراثهم هم وليس تراثنا نحن!!) كما هو.. على أن نحلل لغتنا من أثقاله وقيوده، ونقولها بأبسط الطرق، لنسكن آخر كل كلمة ولنبطل التنوين، ولنقل الجمع بالياء فقط.. ولنحرم أدوات الجزم والنصب من سلطاتها.. لنتحلل من كل هذا، ولنصرف الممنوع من الصرف.. ولنتحدث بلغتنا دون خوف من لحن أن خطأ.. يجب أن يزول احتكار اللغة بقيودها وقواعدها ونحوها وصرفها.. وعلى أية حال إن لم نحطمها الآن فستحطمها الأجيال القادمة فلنكن شجعان ونريحهم نحن منها».

وأما الآخر فقد كتب منذ بعض الوقت فى مجلة (الكاتب) ـ المصرية أيضاً ـ كتب يقول: (أترانا فى حاجة إلى مواطن يجيد الكلام بأكثر مما يجيد العمل؟ وهل هناك من جدوى لمعرفة يتم اكتسابها فى وقت ما ليمسحها الواقع بعد ذلك؟) وبعد أن هاجم تدريس اللغة الفصحى فى دور العلم، واستنكر على الدولة أن تنفق على تعليم اللغة العربية ما تنفقه، واعتبر هذا جهداً ضائعاً لا طائل من ورائه، وعدّ اللغة الفصحى شيئاً كغثاء السيل، وعلماً لا يخدم المجتمع أصدر حكمه عليها بأنها يجب أن (تسقط فى الطريق وتلفظها الذاكرة).

ولست هنا فى مجال بسط القول لتفنيد هذه الدعوة الخطيرة، ورصد تحركاتها المشبوهة

(١) كان ذلك حين نشر المقال عام ١٩٧٤.

عبر التاريخ، وإنما اكتفى بأن أسجل ـ فقط ـ بعض الملاحظات التى يغفلها دعاة العاميات دائماً لأنها تلقى ظلاً من الشك على دعواتهم، بل تهزها من أساسها هزاً عنيفاً.

وألخص هذه الملاحظات فيما يأتى:

١ – أن الهجوم على الفصحى، والدعوة إلى تبنى اللهجات العامية قد ارتبط فى القديم بدعاوى الشعوبية وأعداء العروبة، وفى الحديث بالاستعمار وأعوانه. أما فى القديم فقد روى لنا صاحب (صبح الأعشى) قصة رجل شعوبى كان يدعى (ابن مخيمرة). دأب منذ أكثر من ألف عام على مهاجمة اللغة الفصحى والحط من شأنها وكان يردد دائماً قوله (النحو أوله شغل وآخره بغى) حتى انبرى له أبو جعفر النحاس ـ العالم اللغوى المصرى المتوفى عام ٣٣٨هـ ـ ورد على دعواه قائلاً:

وقد صار أكثر الناس يطعن على متعلمى العربية ـ جهلاً وتعدياً ـ حتى أنهم يحتجون بما يزعمون أن القاسم بن مخيمرة قال: النحو أوله شغل وآخره بغى. وهذا كلام لا معنى له، لأن أول الفقة شغل وأول الحساب شغل.. وكذلك أوائل العلوم، أفترى الناس تاركين العلوم من أجل أن أولها شغل؟.

وأما فى الحديث فقد راجت هذه الدعوة حين بدأ الاحتكاك بين العالم العربى وذوى الأطماع والمستعمرين وأخذت هذه الدعوة ـ إلى جانب مهاجمتها للإسلام والمسلمين ـ تهاجم العربية الفصحى والتراث العربى وتروج للعاميات واللهجات المحلية. ويتربع على عرش المهاجمين (W. Spitta) وكان رجلاً ألمانياً تولى إدارة دار الكتب المصرية خلال عهد الاحتلال البريطانى لمصر.

وقد ألف كتاباً فى قواعد اللغة نشر عام ١٨٨٠ ونادى فيه باتخاذ العامية لغة أدبية، تارة بالنيل من اللغة الفصحى، وتارة بالإشادة بالعامية وميزاتها. وتتابع الكتاب بعده يضربون على نفس الوتر، ويلحون على نفس الفكرة وكان أشهرهم وليم ولكوكس مهندس الرى الإنجليزى الذى وفد إلى مصر عام ١٨٨٣. وتفرغ للهجوم على اللغة الفصحى وتقويض دعائمها. وكان أن ألقى محاضرة بعنوان (لم لمْ توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن؟) زعم فيها أن ذلك يرجع إلى أنهم يؤلفون ويكتبون باللغة الفصحى، ولو أنهم كتبوا وألفوا بالعامية لأعان ذلك على إيجاد ملكة الابتكار وتنميتها!! وحدد ولكوكس مدة عشر سنوات يتم فيها التعلم

بها حتى يتخلص المصريون من السخرة الثقيلة التى يعانونها من جراء الكتابة بلغة عربية فصحى. ومن سخرية الأقدار أن يتمكن ولكوكس من الوصول إلى رئاسة تحرير (مجلة الأزهر) وأن يجند المجلة للدعاية لفكرته. ويفشل ولكوكس كما فشل إخوة له من قبل ومن بعد، وتغلق مجلة الأزهر أبوابها على يديه بعد إصداره العدد العاشر منها.

ألا تكفى هذه المحاولات ــ وغيرها كثير لا يتسع له المقام ــ لأن نتشكك فى كل دعوة لتبنى العاميات، وأن نطالب ــ بإلحاح ــ بإسكات أى صوت من هذا القبيل مهما كان مخلصاً، وإغلاق الباب عليه بالضبة والمفتاح كما يقولون؟

٢ــ أن تبنى العاميات واستخدام اللهجات المحلية فى ميدان الكتابة والتأليف سيكون أكبر عامل فى تقطيع أوصال الأمة العربية وعزل أبنائها بعضهم عن بعض، ولا أدل على ذلك من أننا نحن المصريين كنا حين نلتقى ــ أثناء الدراسة ببريطانيا ــ بعرب من جنسيات أخرى ــ نجد صعوبة فى التفاهم بلهجاتنا العامية، فكنا نختار إما اللغة الفصحى، أو اللغة الإنجليزية وسيلة للتفاهم. فإذا ماتت اللغة الفصحى ــ كما يرجو لها البعض ــ أو انزوت ــ كما يرجو لها بعض آخر، فإن وسيلتنا للتفاهم مع إخواننا العرب ستكون إحدى اللغات الأجنبية وياله من عار ــ حينئذ ــ أى عار.

٣ــ ثم أى لهجة عامية تلك التى قد يحب دعاة العامية أن يروجوا لها على فرض بحثهم عن وسيلة مشتركة للتفاهم؟ ودعنا أولاً نقتصر على جمهورية مصر العربية وحدها، ولا نتجاوز حدودها لنرى مدى إمكانية هذا الوهم. لا شك أن مصر بطولها وعرضها تشتمل على لهجات كثيرة، والتفاوت بينها قد يزيد على التفاوت بين أى منها واللغة الفصحى، ولاشك أن ابن القاهرة لو جرب الحديث إلى رجل من أعماق الصعيد لتعذر عليه أن يفهمه. فلابد إذن لكى تنجح التجربة أن تختار إحدى اللهجات العامية، ويروج لها، وتتخذ لغة كتابة وحديث وبهذا نقع فيما فررنا منه. سنفرض لهجة منطقة معينة على سائر المناطق، وسنعلمها لغير أهلها، وإذا كان لا مفر من ذلك فمن الأولى أو الأسهل أن نوجه جهدنا الذى سننفقه فى تعليم لهجة عامية إلى تعليم اللغة العربية الفصحى. والأمر أكثر تعقيداً واستحالة إذا وسعنا دائرة النظر، وأردنا تطبيق المحاولة على الصعيد العربى كله. وحينئذ ستبرز إلى جانب المشكلة السابقة مشكلة العصبية، وتمسك كل قطر بلهجته لا يريد أن يحيد عنها، والأمر على غير ذلك بالنسبة للغة العربية الفصحى، حيث تختفى فيها الخصائص المحلية ــ إلا نادراً ــ

وحيث لا يدعى قطر عربى نسبتها إليه دون غيره، وحيث يعتبرها الجميع لغة عامة، وملكاً مشاعاً.

٤ـ من أكبر الأوهام ما يدعيه بعضهم ـ ومنهم كاتب المقال الأخير ـ أن العامية لغة متحركة متجددة، وهى قادرة على مواكبة الحياة، فى حين أن الفصحى لغة جامدة متحجرة تعكس اهتمامات وخبرات عفى عليها الزمن، ولم تعد تدخل فى تجاربنا ونشاطاتنا المستحدثة.

وهذا كلام لا معنى له؛ فاللغة مرآة العقل، وهى انعكاس لإنجازات أهلها الحضارية. واللغة لاتنمو فى فراغ، وإنما تنمو نتيجة نمو أصحابها وتزداد ثروتها اللغوية بازدياد خبرات أهلها وتجاربهم. ولا توجد لغة يمكن أن تتهم ـ فى ذاتها ـ بالقصور أو العجز، لأن أى لغة ـ على حد تعبير Hjelmslev ـ «تملك القوة الكافية للتعبير عن الحاجات الضرورية لأى حضارة.. بمعنى أنه لا توجد لغة يمكن أن يقال عنها إنها بدائية، أو إنها ناقصة التكوين»[1]. ويثبت لنا التاريخ أن لغتنا العربية لم تقف عاجزة فى أى يوم من الأيام عن مواكبة الحياة، ولم تتخلف عن التعبير عن مختلف الثقافات التى تمثلها أبناء الأمة العربية. وواهم كل الوهم من يظن أن فصحانا اليوم، سواء فى مفرداتها أو تراكيبها أو نظام جملها صورة طبق الأصل من فصحى الجاهليين أو غيرهم، فالفصحى تتطور كما تتطور العامية ـ وإن كان ذلك بمعدل أقل ـ لا لأن هذه فصحى وتلك عامية، ولكن لأن هذه صيغة مكتوبة، وتلك صيغة مسموعة. والكتابة تقيد حركة اللغة، وتحد من تطورها، وهو ما سيصيب العامية حتماً لو قدر لها أن تصير لغة مكتوبة فى يوم ما.

ومن يرجع إلى الكتابات والدراسات التى تناولت بالدراسة والتحليل لغتنا العربية المعاصرة، كما أن من يرجع إلى المعجم الوسيط (من إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة) أو إلى قوائم ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية التى وضعتها المجامع والهيئات العلمية فى العالم العربى، أو إلى المعجم العربى الأساسى (من إعداد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) يعرف إلى أى مدى يمكن للغة أن تتطور، ويدرك أن أبناء اللغة يسلكون فى تطوير لغتهم سبلاً مختلفة كالاشتقاق والتعريب والنحت وإحياء الألفاظ القديمة ونقل المعنى، وغير ذلك مما لا مجال لتفصيله. وأطلب من الكاتب أن يقارن بين الكلمات الآتية فى معانيها الحديثة وفى معانيها

(١) انظر Language and Economy ص٣، و The Revival of Hebrew ص١.

التى ذكرتها المعاجم القديمة ليرى بنفسه مدى ما لحقها من تطور: احتجاج ـ سيارة ـ طيارة ـ دبابة ـ قطار ـ قنبلة ـ إعدام ـ مخابرة... فإذا أضفنا إلى هذا ما لحق اللغة الفصحى من تعديل أو تغيير فى نظام الجملة يتبين مدى الوهم الذى يهمه الكثيرون حين يظنون أن الدعوة إلى الفصحى عودة إلى أساليب الجاهليين والقدماء. فلاسبيل إلى ذلك الآن بعد الشوط الطويل الذى قطعته اللغة الحديثة فى تطورها وبعد أن تغيرت البيئة والظروف الاجتماعية والاقتصادية.

٥ـ يؤيد الكاتب دعوته إلى الكتابة بالعامية بقوله:

«علينا تذكر الأمية وأنها مازالت متفشية بشكل كبير فى وطننا العربى فهل تبقى هذه النسبة العامية من الناس على هامش الحيادة الأدبية» ؟.

وهذا منطق غريب يناقض أوله آخره. فما دامت الأمية متفشية فكيف سيقرأ الأمى ما يكتب له بالعامية؟ وإذا كان الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب سيعتمد على السماع فإن أذنه يمكنها أن تستجيب لنداء الفصحى كما تستجيب لنداء العامية. وعلى هذا فالتذرع بتفشى الأمية لا يخدم قضية العامية مطلقاً. لأن الأمى لن ينفعه أن تكتب له بالعامية لأنه لا يقرأ ولن يضيره أن تخاطبه بالفصحى لأنه يسمع ويفهم. ويكفى لكى أثبت للكاتب أن الأمى يفهم ويتابع بوعى وإدراك ما يقدم له باللغة الفصحى ـ أن أحيله إلى الأحاديث السياسية، وخطب الجمعة والعيدين والمناسبات، ونشرات الأخبار التى تؤدى باللغة الفصحى، وإلى التمثيليات والمسرحيات والبرامج الجادة التى تقدمها الإذاعتان المسموعة والمرئية بين الحين والحين باللغة الفصحى، وأذكره كذلك بما هو شائع فى الريف المصرى حين يتحلق الفلاحون فى أوقات فراغهم حول فتى يقرأ لهم أخبار الصحف والمجلات، وهم يتابعون ويناقشون دون أن تقف اللغة حائلاً بينهم وبين الفهم والاستيعاب.

٦ـ أما ما يتذرع به بعضهم من صعوبة الفصحى وسهولة العامية فهى حجة تعكس ـ من ناحية ـ عيباً فى أبناء اللغة، لا عيباً فى اللغة نفسها، كما تكشف ـ من ناحية أخرى ـ عن خطأ ينبغى تصحيحه لا السكوت عليه.

فليست اللغة الفصحى باللغة الصعبة إذا توافر لها المناخ المناسب، ودخلت حياتنا العامة والخاصة.

وليست العامية باللغة السهلة إذا كانت تكتسب عن طريق التعلم والدراسة وليس عن طريق التقليد والمحاكاة، وإذا كان للفصحى قواعد ونظم، فللعامية قواعد ونظم كذلك، ولا توجد لغة فى العالم بدون قيود وضوابط.

وإذا كان الكاتب أو القارئ العربى لا يجد مشقة فى السيطرة على لهجته، ويجد العنت كل العنت فى التمكن من الفصحى وتملك زمامها فما ذلك إلا لأن الأولى تكتسب منذ نعومة الأظفار، وتصك الأسماع فى كل لحظة وأوان، وتغزونا فى عقر دارنا، وفى خارج ديارنا حتى فى قاعات الدرس والمحاضرة. أما الفصحى فقد كتب لها الانزواء والانطواء، وحكم عليها أبناؤها بالعزلة، وحولوها إلى لغة شبه أجنبية على ألسنتهم، لغة غريبة عليهم يسمعونها ـ ولكن لا يمارسونها ـ فى ساعات الدرس وأوقات المحاضرات فقط، وينسلخون عنها بقية ليلهم ونهارهم، ومن الغريب أن نجد من دعاة العامية من يقول «إن الفصحى ليست لغة متكلمة فى الحياة العادية وأنها عرضة للنسيان بالترك» ويرتب على ذلك مطالبته بإلغاء دروس اللغة العربية فى المدارس. أليس من الأجدر أن يعكس أمثال هؤلاء الدعاة القضية ويطالبون بدل ذلك أن تدعم الدراسة فى المدارس، وتستخدم شتى الطرق والوسائل لتدخل الفصحى لغة الحياة العامة، وبذلك تؤتى المرحلة الدراسية ثمرتها، ويجد التلميذ فى حياته العامة ما يربطه دائماً بما درسه داخل الفصل؟

٧– ويأتى معظم الهجوم على الفصحى من جانب نحوها وعلامات إعرابها. وهى مقولة ـ إن صحت جزئياً ـ فلا تسلم إلى النتيجة التى تراد لها. وأقصى ما تسلم إليه هذه المقولة المطالبة بتيسير قواعد النحو وتبسيط مسائله، وحذف الأبواب والمسائل غير العملية منه لا المطالبة بحذف اللغة بأكملها، وإلقائها فى سلة المهملات. وإذا كان بعضهم يضيق بالإعراب فى الفصحى فإننى أراه خير لا شراً، ونعمة لا نقمة. ذلك أن الضبط الإعرابى يوضح العلاقات بين كلمات الجملة، ويحدد للسامع وظيفة كل كلمة وهو فى نفس الوقت يعطى الكاتب حرية تحريك الكلمات من أماكنها تقديماً وتأخيراً لأسباب بلاغية أو أسلوبية، دون ما خوف من غموض أو إبهام وإذا كانت العامية قد سكنت أواخر الكلمات فقد استعاضت عن الحركة بترتيب الجملة ووضع كل جزء من أجزائها فى مكان معين. فحين نقول: زار محمد علياً، تكتفى الفصحى بضبط «محمد» بحركة الرفع و «على» بحركة النصب، وتترك للمتكلم مخالفة الترتيب معتمدة على أن الضبط الإعرابى يعصم السامع من الخطأ فى

التحليل، وإذا أخذنا مقابل هذا: الجملة العامية: «محمّد زار على» نجدها قد استغنت عن الضبط الإعرابى بترتيب المفردات فى الجملة. وبهذا لو قلت «على زار محمد» لاختلف المعنى فصار الزائر مزوراً، والمزور زائراً. وأكثر من هذا، مادامت العامية تشترط وضع كل جزء من أجزاء الجملة فى مكان معين فمعنى هذا أنها تفترض فى المتكلم أن يعرف أولاً العلاقات بين كلمات الجملة الواحدة حتى يستطيع أن يضعها فى ترتيبها الصحيح. وهى فى نفس الوقت تفترض نفس الافتراض فى السامع لكى يقدر على فهم مراد المتكلم. بمعنى أن المتكلم يجب أن يعرف أين هو الفاعل فيضعه أولاً، والفعل فيضعه ثانياً، والمفعول فيضعه مؤخراً. وحين يريد السامع فهم الجملة لابد أن يفهمها على ضوء هذا التحليل فأى فرق أن تدل على الفاعلية بضمة، أو تدل عليها بالموقعية؟ وكذلك أن تدل على المفعولية بفتحة أو تدل عليها بالموقعية؟ كلاهما يتطلب من المتكلم وعياً وحرصاً، وكلاهما يخضع للتحليل الإعرابى، ويحتاج إلى عملية ذهنية من المتكلم قبل النطق بالجملة، ومن السامع قبل فهمها.

٨- ومن الأوهام التى يرددها الدعاة كذلك ـ ومنهم كاتب المقال الأخير ـ «أن الموضوع برمته يجب أن يترك للحياة، على أساس أنه مادام التعليم آخذاً فى الانتشار والتوسع فمن الطبيعى إذن أن تقل استعمالات العامية» . وإذا صحت القضية فى جزئها الأخير فهى لا تصح فى جزئها الأول. فمن غير المعقول أن يترك الحبل على الغارب لأى قيمة اجتماعية مادامت تضر بالمجتمع دون تدخل من سلطة عليا توجه وترشد، بل وتقوم وتلزم إذا اقتضى الأمر. وإذا كان محو الأمية مطلباً عزيزاً فأعز منه إحياء لغتنا الفصحى وتشجيع استعمالها فى مجالات الحياة المختلفة. وإذا كان من الممكن فيما مضى أن يفسر شيوع اللهجات وغلبة عوامل التفريق على عوامل التجميع على أساس من صعوبة الاتصال ووجود العوائق الطبيعية، فإنه لا يمكن أن يظل الأمر كذلك الآن بعد تطور وسائل الإعلام وتقدم سبل الاتصال. وقد سبقتنا شعوب كثيرة واعية فى هذا المضمار فتدخلت الدولة على المستوى الرسمى بوسائلها المختلفة للقضاء على اللهجات العامية، وتوحيدها فى لغة فصحى مشتركة ولم تعتمد على محو الأمية وحده. ويعلل ذلك الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه «مستقبل اللغة المشتركة» بقوله «لأن تجربة محو الأمية لم تبرهن على النجاح فى معظم الحالات. فالطفل فى المرحلة الأولى يتعلم كتابة بعض الجمل والكلمات ويستطيع قراءة بعض السطور، ولكن بعد أن يترك المدرسة لا يلبث أن ينسى كل ما تعلم، ولايجد فى حياته العامة حاجة ملحة إلى الاستفادة بهذا الذى

تعلمه، فلا ينميه ولا يعتز به...» ويطالب الدكتور أنيس إلى جانب ذلك بتشكيل «لجان تضع الكتب العربية التعليمية لكل مراحل التعليم بحيث تناسب كل الأمم العربية.. وعلى تلك اللجان أيضاً تخير النصوص الإذاعية التى تكفل تلك النهضة اللغوية مع ملاحظة عنصر التشويق الضرورى فى كل إذاعة لتحقيق الغرض منها». ويدعو أخيراً إلى إنشاء «مجمع لغوى عربى له من قوة التشريع والنفوذ ما يساعده على أن يضع من الألفاظ والأساليب ما تقبله كل الأمم العربية».

٩- وإذا كان الدكتور أنيس فريحة قد تمنى فى أحد مقالاته (عام ١٩٥٥) «أن يرى عاملاً عسكرياً سياسياً يفرض اللغة العامية على العرب» فإنى أتمنى - بعد أن لم يحقق الله أمنيته حتى الآن - أتمنى أن أرى حكام العرب جميعاً يتعاونون فى فرض اللغة الفصحى على العرب، لا بقوة السلاح، وسلطان القانون، وإنما بأسلحة الإعلام المختلفة، وبتطوير وسائل تعليم اللغة، وبإلزام الكتاب بتقديم أناشيدهم وأغانيهم ومسرحياتهم باللغة الفصحى. وبتشجيع عامة الشعب على التزام اللغة الفصحى فى رسائلهم ومكاتباتهم، إذ لا ريب أن كثرة تردد النصوص الصحيحة على السمع، وحفظ الكثير منها، يكسب اللسان القدرة على التعبير الصحيح الفصيح، ويساعد كثيراً على نشر اللغة التى ننشدها بين جمهور المتعلمين: وبهذا يرتفع التناقض الذى أحس به المستشرق الألمانى «فنت فور» حين لاحظ إطلاق الكتاب اسم لغة الشعب على العامية فقال: «كثر الحديث عن لغة الشعب ولغة المثقفين. وهذا غريب! لأن الشعب فى كل البلاد العربية لا تجمعه عامية واحدة، وإنما العربية الفصحى».

١٠- وفى ختام مقالنا لا يفوتنا أن نشير إلى ملاحظة ذكية للمستشرق الألمانى السابق الذكر، وذلك حين يقول عن اللغة الألمانية «ليس للمدافعين عن اللهجات وزن فى الحياة الحديثة، وذلك لأن الناس فى عصرنا الحديث، عصر الفضاء يعيشون بطريقة تختلف اختلافاً كبيراً عن الحياة التى كانوا يعيشونها من قبل، فالاتصال الآن أوسع وأوثق. وحتى محاولات هتلر لإحياء اللهجات العامية عن طريق تعليمها فى المدارس باءت بالفشل»، وحين يقارن هذا الوضع بوضع العربية فيقول: «أما بالنسبة للبلدان العربية، أول ما نلاحظه هو وجود لهجات عديدة يستعملها الناس فى التحدث دون اللغة الفصحى. الفصحى العربية لم تدخل جميع ميادين الحياة. والذى سهل بقاء العربية الفصحى بعيدة عن التداول تداول الألمانية الفصحى أنه لم يبذل أى مجهود يذكر فى تضييق شقة الخلاف بين العامية والفصحى».

كما نشير إلى قرار منصف أصدره المستشرقون فى مؤتمر لهم عقدوه ببلاد اليونان، ولكن لم يصل مضمونه ـ مع الأسف ـ إلى أسماع أبنائنا المثقفين من العرب. يقول القرار: «إن اللغة العربية الفصحى هى اللغة التى تصلح للبلاد الإسلامية والعربية للتخاطب والكتابة والتأليف وإن من واجب الحكومات فى هذه البلاد أن تعنى بنشرها بين الطبقات الشعبية لتقضى على اللهجات العامية التى لا تصلح كلغة أساسية لأمم تجمعها جامعة الدين والعادات والأخلاق».

الفصل الثانى

اللغة الموضوع واللغة الأداة

من المقولات الشائعة الخاطئة اعتبار عامة المثقفين اللغة الفصحى تخصصاً موقوفاً على أهله، وتبريرهم أى خطأ يقعون فيه وأى قصور يظهر فى تعبيراتهم بأن هذه ليست بضاعتهم. وهم بهذا لا يكتفون بإعفاء أنفسهم من تحرى الصواب بل يتبرءون منه ويباعدون بين أنفسهم وبينه، ويستنكرون أن يكتبوا فيعربوا وهم ليسوا متخصصين فى اللغة العربية.

والخطأ أو المغالطة فى هذه المقولة من الوضوح بمكان. فاللغة تختلف عن سائر المواد التى تخضع للدراسة فى أنها قد تدرس باعتبارها أداة ووسيلة أو باعتبارها غاية وموضوعاً. ← الآخر

واللغة بالاعتبار الأول ملك مشاع لجميع أبنائها، وبالاعتبار الثانى هى وقف على المتخصصين الذين يتخذون اللغة ميداناً لتخصصهم وحقلاً لتجاربهم ودراستهم. اللغة الأداة تحقق الغاية العملية منها، واللغة الموضوع قد تهتم بالجانب العملى التطبيقى، وقد تهتم بالجانب النظرى، وهى فى جميع أحوالها تتخذ من دراسة اللغة غاية وموضوعاً. ويترتب على هذا التفريق أن اللغة الفصحى الأداة هى ملك لكافة العرب مهما اختلفت تخصصاتهم وتنوعت خبراتهم وأن استخدامها والتزامها فى كل مواقف الحياة الجادة واجب كل المثقفين العرب على السواء.

إن اللغة الأداة ــ التى يجب أن يتساوى فى استخدامها كل مثقفينا ــ لا تكتسب بالدرس النظرى وحده وإنما تحتاج إلى الممارسة العملية ومداومة الاستماع إليها واستخدامها حتى تتحول إلى ملكة أو ما يشبه الملكة. وإذا كانت اللغة الفصيحة قد حرمت من البيئة الطبيعية التى

تستعمل فيها فلا أقل من اصطناع الوسائل العملية وخلق البيئات الصناعية من أجل توفير المناخ الملائم لاكتسابها وتنميتها. وإذا كان للغة الموضوع مشكلات يعرفها ويتفرغ لحلها اللغويون المتخصصون فإن للغة الأداة مشكلات أخرى لا تقل فى تنوعها وخطورتها عن هذه المشكلات وهى مشكلات لا ترتبط كثيراً بمادة اللغة وإنما بمناهج تدريسها وطرق عرضها ولذا يجب أن يشترك فى بحثها أساتذة اللغة والنحو والمناهج وطرق التدريس وعلم النفس وغيرها.

ويخطىء من يظن أن العلاج لمشكلة اللغة الأداة يكون بزيادة دروس النحو وإعطاء الدارس جرعات إضافية من القواعد، أو يكون باختصار قواعد النحو وتلخيصها. وقد عالج ابن خلدون بأصالة وعمق هذه المشكلة حين قرر «أن المطولات النحوية لا حاجة إليها فى التعليم» وأن «متون النحو ومختصراته مخلة بالتعليم» وعلل ابن خلدون حكمه قائلاً: «والسبب فى ذلك أن صناعة العربية إنما هى معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها الخاصة. فهو علم بكيفية لا نفس كيفية»، وقائلاً: «إنما هى بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً ولا يحكمها عملاً مثل أن يقول بصير بالخياطة.. الخياطة أن يدخل الخيط فى خرت الإبرة ثم يغرزها فى لِفْقى الثوب مجتمعين ويخرجها من الجانب الآخر بمقدار كذا. ثم يردها إلى حيث ابتدأت.. ويعطى صورة الحبك والتنبيت والتفتيح وسائر أنواع الخياطة وأعمالها.. وهو إذا طولب أن يعمل ذلك بيده لا يحكم منه شيئاً. وكذلك لو سئل عالم بالنجارة عن تفصيل الخشب فيقول: هو أن تضع المنشار على رأس الخشبة وتمسك بطرفه.. وهو لو طولب بهذا العمل أو شئ منه لم يحكمه». ولا يكتفى ابن خلدون بالتنظير، وإنما يلجأ إلى واقع النحاة ليؤيد دعواه قائلاً: «ولذا نجد كثيراً من جهابذة النحاة والمهرة فى صناعة العربية المحيطين علماً بتلك القوانين إذا سئل فى كتابة سطرين إلى أخيه أو ذى مودته، أو شكوى ظلامة، أو قصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب وأكثر من اللحن، ولم يجد تأليف الكلام لذلك، والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربى»[1].

ما نحتاجه فى المرحلة الجامعية إذن ليس جرعة إضافية من النحو، ولكن حسن استخدام القدر المخزون من هذه القواعد، الذى سبق للطالب تحصيله فى مراحل التعليم قبل الجامعى.

(١) انظر: الملكة اللسانية فى نظر ابن خلدون للدكتور محمد عيد صفحات ٣٥، ٣٦، ١٤٣، ١٤٤، ومقدمة ابن خلدون ١/٥٦٠.

وقد كانت مشكلات اللغة الأداة هي هدف قسم اللغة العربية في جامعة الكويت من الندوة التي أقامها تحت اسم «مشكلات اللغة العربية على مستوى الجامعة، في دول الخليج والجزيرة العربية» ، كما كانت هدفه من اختبارات المستوى التي أجراها عدة مرات.

وقد انتهت الندوة واختبارات المستوى إلى جملة من النتائج والتوصيات كان من أهمها:

أولاً: بالنسبة لطرق تدريس اللغة العربية:

أوصت الندوة بما يأتي:

(أ) التركيز على تنمية المهارات اللغوية العربية، وهي فهم اللغة منطوقة ومكتوبة، والتعبير الشفوي والكتابي عنها.

(ب) اتخاذ الوسائل ذات الأثر النفسي الفعال لتشويق المتعلم إلى درس اللغة العربية.

(جـ) استخدام التسجيلات الصوتية والمعامل اللغوية للتدريب على التعبير السليم.

(د) توجيه الطلاب إلى التحدث باللغة العربية أثناء المناقشة والحوار.

(هـ) محاسبة الطالب في كل فرع من فروع اللغة العربية محاسبة دقيقة على سلامة لغته حتى لا يتخرج في قسم اللغة العربية إلا من يتمكن من هذه اللغة تمكناً تاماً.

ثانياً: انصراف الطلاب عن التخصص في اللغة العربية وأسبابه:

خصصت الندوة بحثاً ميدانياً لدراسة هذه الظاهرة. وقد تم إجراء البحث على عينات مختلفة من الطلاب. وكانت العينة الأولى من بين طلاب الصف الرابع الثانوي بدولة الكويت، والثانية من بين طلاب الجامعة الذين اختاروا تخصصات غير اللغة العربية، أما العينة الثالثة فكانت من بين الطلاب الذين تخصصوا في اللغة العربية ـ واستكمالاً للصورة طرح البحث عينة أخرى على مدرسي اللغة العربية. وانتهى البحث إلى عدد من النتائج مشفوع بالأرقام. ومن بينها ما يلي:

أولاً: لا تعطي نتائج الامتحانات العامة الصورة الحقيقية لما وصل إليه الطلاب من ضعف واضح في اللغة العربية، إذ تزيد نسبة الناجحين في الثانوية العامة على ٩٠ ٪ وفي عدة سنوات. مما يدل على خلل في نظم الامتحان المتبعة في هذه المادة.

ثانياً: ضعف الطلاب الشديد فى مادة القواعد، وشكوى الطلاب منها. فإن نسبة الذين يقبلون على تعلمها تمثل ٢٪ من عدد الطلاب الذين طرح عليهم استطلاع الرأى. وقد عزا الباحث هذا العزوف عن مادة القواعد إلى المنهج والكتاب والمدرس ونظم الامتحان التى تجمع كل فروع اللغة، مما يتيح للطالب فرصة إهمال القواعد واجتيازه للامتحان دون بذل جهد فيها. كما كشفت الدراسة الميدانية عن ضعف واضح فى مدرسى اللغة العربية، وعدم تمتع كثير منهم بالشخصية المؤثرة، التى تجذب الطالب.

ثم تعرض البحث لفرع النقد والبلاغة الذى لا يميل إليه الطلاب. وعلل ذلك بما يلاحظ فى منهج هذه المادة من عموميات لا تأخذ فى الاعتبار حالة الطلاب الثقافية، كما أن دراسة البلاغة فى المرحلة الثانوية تكاد تكون معدومة.

وانتهى الباحث إلى وجوب إعادة النظر فى خطط إعداد المعلم وعلى الأخص معلم المرحلة الابتدائية والمتوسطة، وتحسين أحوال المعلمين المادية والأدبية، ووضع برامج متكاملة ومدروسة لتدريب معلم اللغة. وأوصى بضرورة إجادة اللغة العربية كتابة وقراءة وتحدثاً فى كل من يقوم بالتدريس أياً كانت المادة التى يقوم بتدريسها وأوصى بإعادة النظر فى مناهج اللغة العربية بحيث يكون الاهتمام فيها منصباً على تكوين المهارات اللغوية فى المرحلة الأولى والثانية دون إغفال القواعد الأساسية فى اللغة.

ثالثاً: توصيات واقتراحات عامة:

قدمت الندوة عدداً من التوصيات العامة منها:

١ – وضع الحوافز المادية والأدبية للممتازين فى ميدان تعلم اللغة العربية.

٢ – الارتقاء بمستوى مدرس اللغة العربية فى المراحل قبل الجامعية ووضع خطة لتدريبه.

٣ – المطالبة بالتزام اللغة العربية السليمة فى قاعات الدرس، ومناشدة مدرسى جميع المواد الالتزام بذلك.

٤ – يجب تدريس النحو من خلال نصوص وأبواب تختار من كتب التراث، ومن الأدب الرفيع.

٥ – العناية بنشر الثقافة الإسلامية والاهتمام باللغة العربية بوصفها لغة القرآن الكريم والفكر الإسلامى.

٦– تشجيع الطلاب على تدارس القرآن الكريم وتلاوته وحفظه.

٧– ضرورة إنشاء مركز للبحوث اللغوية الأساسية والتطبيقية، ويكون من أهم أهدافه ما يأتى (وردت هذه الأهداف بالتفصيل الآتى فى مذكرة أعدها المؤلف لإنشاء مركز للبحوث اللغوية):

(أ) إخضاع مشكلات اللغة العربية للبحث والتحليل فى ضوء أحدث النظريات.

(ب) تصميم مقررات متدرجة لتنمية المهارات اللغوية.

(جـ) تصميم مقررات لتعليم اللغة العربية لغرض خاص (اجتماعيات – تجارة – اقتصاد – سياسة ...).

(د) إعداد المواد والبرامج الملائمة وتجريبها فى مجالات تدريس اللغة العربية للأجانب.

(هـ) وضع مقاييس واختبارات لغوية مقننة تتصف بالتدرج والتنوع لقياس التحصل اللغوى والمهارات اللغوية.

(و) إعداد نصوص للتسجيل فى معمل اللغات للاستفادة بها فى تدريب الطلاب على السماع والتذوق وتحسين النطق والأداء.

(ز) إعداد دراسات تقابلية بين الفصحى واللهجات لتحديد مواضع الانحراف عند متعلم اللغة العربية.

(ح) إعطاء عناية خاصة لأنواع المعاجم التى تحتاجها اللغة العربية مثل: المعجم السياقى – المعجم الطلابى – معجم اللغة العربية الفصيحة المعاصرة.

٨– العناية بالأنشطة اللغوية خارج المقررات الدراسية.

٩– توجيه الرسائل التى يقدمها طلاب الدراسات العليا إلى الدراسات النحوية الوظيفية والتطبيقية.

١٠– حث المسئولين فى دور النشر والمطابع على التزام الضبط بالشكل ما أمكن وبخاصة فيما يوجه للناشئة والطلاب.

١١– تنقية الكتب المدرسية مما يشوبها من أخطاء وانحرافات لغوية.

١٢- إصدار مجلة عربية تهتم بمشكلات تدريس اللغة العربية، وتتابع أحدث ما توصل إليه العلماء من مناهج فى تدريس اللغة القومية واللغات الأجنبية.

أما اختبارات المستوى فقد تناولت فى تقاريرها نقطتين تتعلق أولاهما بمظاهر ضعف الطلاب فى اللغة العربية، وتتعلق أخراهما بطرق العلاج ووسائل التغلب على هذا الضعف.

وبالنسبة للنقطة الأولى فقد أثبتت التحليلات ما يأتى:

(أ) أن ضعف الطلاب موجود سواء فى إجابات أسئلة المعلومات والتحصيل، أو أسئلة المهارات والقدرات.

(ب) أن ضعف الطالب الجامعى يعد امتداداً لضعفه فى المراحل الدراسية قبل الجامعية، وأن أى حل جذرى للمشكلة لابد أن تتضافر فيه جهود المدرسة والجامعة بل والمجتمع ككل.

(جـ) أن جزءاً من ضعف الطالب يعود إلى عدم ممارسة اللغة الفصيحة حتى فى قاعات المحاضرات والدروس. بل تبين أن بعض أساتذة اللغة العربية أنفسهم لا يلتزمون باللغة الفصيحة فى دروسهم ومحاضراتهم، ولا يشجعون الطلاب على استخدامها.

(د) أن هناك نسبة كبيرة من أخطاء الطلاب تدخل فى مستوى معلوماتهم التى حصلوها فى المرحلتين المتوسطة والثانوية مما يدل على أنهم لم يستفيدوا من دراستهم قبل الجامعية للغة العربية.

(هـ) لوحظ شيوع الأخطاء الإملائية والكتابية فى كتابات الطلاب. كما لوحظ فقر الطالب الواضح فى الحصيلة اللغوية، وعدم تمكنه من التعبير عن الفكرة البسيطة بأسلوب سليم.

(و) لوحظ كذلك وقوع الطالب فى أخطاء كثيرة تتعلق بضبط بنية الكلمة وتحديد مدلولات الكلمات.

(ز) تبين بتحليل مستويات الطلاب فى المرحلة الثانوية أن الغالبية العظمى من طلاب قسم اللغة العربية كانوا من ذوى المستويات المتوسطة أو الدنيا فى دراستهم الثانوية، وقد انعكس هذا على مستواهم اللغوى كذلك.

أما بالنسبة لسبل العلاج فقد اقترحت التقارير ما يأتي:

١ – ضرورة خلق الشعور بالغيرة على اللغة العربية فى نفوس المثقفين باعتبارها لغتنا القومية ووعاء ثقافتنا وباعتبارها ـ قبل ذلك ـ لغة القرآن والدين.

٢ – ضرورة تصحيح المفاهيم الخاطئة حول اللغة العربية الفصيحة وأنها ذات طبيعة عسرة وقواعد نحوية صعبة وأنها عاجزة ـ فى مواجهة العاميات ـ عن مواكبة الحياة والتعبير عن المواقف والتجارب المختلفة، وأنها تخصص موقوف على أهله من دارسى اللغة العربية لا يلتزم به عامة المثقفين.

٣ – ضرورة إتاحة الفرصة أمام الطالب ـ منذ نعومة أظفاره ـ لمعايشة اللغة الفصيحة معايشة فعلية عن طريق مداومة الاستماع إلى النصوص الفصيحة والتعبيرات السليمة حتى يتم اختزان الصيغ الصائبة فى ذاكرته، وحين يأتى دور المحاكاة ينطلق لسانه بالأسلوب الصحيح دون معاناة، ويجب استخدام مختلف الوسائل السمعية والبصرية لخلق هذا الجو العربى الفصيح.

٤ – الاكتفاء فى تدريس قواعد النحو والصرف والإملاء ـ على مستوى المواد الجامعية العامة ـ بالقدر الضرورى الذى يحتاجه الشخص لتقويم لسانه وتصحيح نطقه، دون الدخول فى متاهات أو افتراضات وبعبارة أخرى الاكتفاء بالقدر الوظيفى من قواعد اللغة.

٥ – ضرورة عقد اختبارات مقننة للطلاب تتدرج فى مستوياتها من السهل إلى الصعب إلى الأصعب ويعدها متخصصون فى الاختبارات مع آخرين فى طرق التدريس بالتعاون مع المتخصصين فى اللغة العربية.

٦ – من المفضل ـ وبخاصة فى المقررات ذات الصبغة العامة ـ أن يقع الاختيار على النصوص التى لا تنفصل عن لغة العصر، والتى يمكن أن تزود الطالب بمفردات وتراكيب يحتاجها فى حياته للتعبير عن ذات نفسه.

٧ – لابد من اتخاذ كافة الوسائل الممكنة لجذب العناصر المتميزة للتوجه إلى دراسة اللغة العربية بعد أن لوحظ أن نسبة كبيرة من طلاب اللغة العربية من ذوى المستويات المتوسطة أو دون المتوسطة.

٨ – من الواجب أن يتم التعاون بين الجامعات ووزارات التربية والتعليم فى البلاد العربية لتقييم المناهج الدراسية على مستوى مراحل التعليم دون الجامعى، وألا تعامل اللغة العربية ـ

من حيث عدد الساعات ــ معاملة المواد النظرية، وأن تخصص ساعات مضاعفة للممارسة الفعلية والتدريب العملى.

٩– ضرورة إنشاء مدارس ابتدائية (أو روضة) تجريبية تلحق بكليات التربية وتلتزم فيها اللغة العربية الفصيحة المبسطة.

١٠– الأخذ بأحدث ما وصل إليه العلماء فى الطرق وأساليب التعليم وبخاصة تعليم اللغات والاستفادة من المعامل ومختبرات اللغات.

وبعد هذا يلام أستاذ اللغة العربية!!

تلاميذ المدارس ضعاف فى اللغة العربية. وطلاب الجامعات عاجزون عن التعبير عن أنفسهم وتقديم أفكارهم فى سلاسة ويسر. وليس طلاب اللغة العربية فى الجامعات بأحسن حالاً من هؤلاء وأولئك، فمستواهم العام غير مرض، وقل من يكتب منهم بضعة أسطر بلا خطأ، وندر أن تجد من يقرأ فقرة دون تلعثم أو توقف.

الظاهرة إذن موجودة، والتسليم بها إقرار بالحق، وهى ظاهرة خطيرة تنذر بأوخم العواقب، وقد تؤدى بنا إذا ما ازدادت سوءاً أن نحس بالغربة نحو لغتنا العربية، وأن نتعلمها كلغة ثانية أو لغة أجنبية، وهو ما نكاد نقرب منه والعياذ بالله.

أسباب هذا الداء كثيرة... وطرق مقاومته والوقوف فى وجه استشرائه ثم محاولة استئصاله ليست عصية ولا مستحيلة إذا ما حسنت النيات وتنبهت الجهات المسئولة فى كل أنحاء العالم العربى إلى هذا الخطر الداهم، وصرفت لمقاومته ولو قدراً صغيراً من اهتمامها وميزانيتها. ولست الآن بصدد تشخيص الداء ووصف الدواء فلذلك مجالات أخرى وإنما فقط أردت أن أرفع ظلماً لحق بأستاذ اللغة العربية، وتهمة ألصقت به دون وجه حق.

التلاميذ ضعاف.. نعم. ولكن.. هل أستاذ اللغة العربية هو المسئول عن هذا الضعف؟ هل أستاذ اللغة العربية مقصر فى أداء مهمته؟ هل مستواه يقل عن مستوى سائر زملائه المدرسين؟ الجواب بالتأكيد: لا... بل إن أول من يتألم لهذا الضعف هو أستاذ اللغة العربية. وأكثر الناس استياء منه هو أستاذ اللغة العربية فليس شئ أسوأ على المرء من أن يعمل ثم لا يجد عائداً، أن يغرس ثم لا يجنى ثمرة، أن يحترق ليضئ ثم لايجد من ينتفع

بضوئه. وهذا هو تماماً حال أستاذ اللغة العربية.

أستاذ اللغة العربية يتحمل كثيراً من المتاعب فى سبيل القيام بواجبه.. أعمال التلاميذ التحريرية التى يصححها تتجاوز بكثير ما يقوم به زملاؤه الآخرون، وهو راض بقدره قانع بنصيبه.. صور النشاط التى يؤديها أضعاف ما يقوم به زملاؤه فى المواد الأخرى.. إعداده للدروس يحتاج إلى تحضير وجهد مضاعفين نظراً لتعدد فروع المادة وتشعب جوانبها.. ثم بعد هذا لابد أن يسير فى دروسه بسرعة الطائرة حتى يفرغ من تدريس المقرر المطلوب منه.

وأول ما يمس وظيفة أستاذ اللغة العربية ويقلل من نتائج مجهوداته ــ سواء فى ذلك أساتذة المدارس والجامعات ــ هو التركيز فى تدريس اللغة على الجانب النظرى وإهمال الجانب العملى على الرغم من أهمية الجانب العملى وضرورته.. الأساتذة مطالبون بتدريس منهج معين فى فترة معينة لا تترك لهم مجالاً للتدريب العملى والممارسة الفعلية للغة الفصيحة. لو جردنا ما يقوم به التلميذ من ممارسة عملية للغة الفصيحة فى دروس اللغة العربية ما تجاوز دقائق معدودات كل أسبوع، وهى دقائق لا تسمح بتقويم لسانه وتصحيح نطقه ورده إلى الصواب. وكثيراً ما تتحول القراءة النموذجية وقراءة التلاميذ (فى دروس القراءة والنصوص) إلى ترديد آلى بدون وعى. وكيف يكون تلاميذ الفصل نحوا من خمسين تلميذاً ثم تريد من كل منهم أن يتقن قراءة نص أو موضوع يتجاوز الصفحات فى نحو عشر دقائق فقط ليس غير.. ما نصيب كل منهم من هذه الدقائق العشر!!

أول مشكلة إذن يعانى منها أستاذ اللغة العربية ــ ولا يد له فيها ــ هى عدم إفساح المجال أمامه لتدريب التلاميذ وتعويدهم على استخدام اللغة الفصيحة تعبيراً وقراءة وتلخيصاً.. بطريقة سليمة أو شبه سليمة.

أما المشكلة الثانية فتتمثل فى عدم تعاون أى جهاز آخر معه فى مهمته. بل أقول فى تعاون كل الأجهزة الأخرى على هدم مهمته. إن اكتساب اللغة لا يتم عن طريق الوحى والإلهام، كما لا يتم عن طريق الوراثة والدم بل لابد من تكرار السماع، ومعايشة النصوص الصحيحة ثم اختزانها فى الذهن والسحب منها عند الحاجة. ما الرصيد الذى يختزنه التلميذ فى ذهنه؟ وما المادة التى يتلقاها ابن اللغة سواء عن طريق الأذن أو العين؟ إنه خليط غريب ورصيد من لغة مشوهة يتعاون فى تكوينها مدرسو المواد الأخرى والكتب

المدرسية ووسائل الإعلام المختلفة، وهى الجهات التى ينتظر منها أن تكون عاملاً مساعداً لا عاملاً معاكساً. دعك من البيت ومستوى اللغة فيه، فهذه قضية ترتبط بقضية الأمية فى عالمنا العربى، وهى قضية شائكة، وحلها صعب ويحتاج إلى جهد وزمن. ولكن ما نركز عليه هو مسئولية المؤسسات الثقافية التى يفترض أن تزود التلاميذ برصيد من التعبيرات الصحيحة، وتمده بالكلمات الفصيحة، ولكنها مع الأسف تقوم بغير هذا وتؤدى دوراً عكسياً.

ولكى لا يكون كلامى خلواً من الدليل أضع أمام القارئ نماذج لأساليب وتعبيرات جمعتها فى لحظات ودون استقصاء:

١- من أمثلة التشويه فى الكتب المدرسية - وما أكثرها - ما جاء فى كتاب الرياضيات للصفّ الأول المتوسط بدولة الكويت (١٩٧٥):

ربيع الثانى ص٩
جمادى الأول ص٩
أعدْ كتابة كُلاً من المجموعات ص١٠
الإنتماء ص١٣
الدلالة على أن عنصر ما ينتمى ص١٣
أملأ الفراغات ص١٤
١٠كيلو متر ص١٥
أى العبارتين الآتية صحيحاً ص٥١
ويسمى الصفر عنصر محايد ص٧٧
ألف وثلاثة مائة وأربعين ص٩٠
٢٧٠٠ فلساً ص٩٧
يكون الباقى صفر ص٩٩

٢- من أمثلة التشويه فى لغة الصحافة:

(أ) من مقال حمد السعيدان: النافذة الضبابية (السياسة ١٩٧٩/٣/٩):

ألاحظ السرور باد على وجوههم وهم يستلمون النقود

ومع علمى بوجودها إلا أننى؟

وكلما فتح التاجر خزانته.. شعر بالرضى

ورديت عليه قائلاً

اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب؟ هل جزم المضارع فى جواب الطلب

(ب) من ركن مشكلة الأسبوع (السياسة ص١٠ بتاريخ ١٩٧٩/٣/١٦): واجب؟

لم لا تأخذى الأمور بهدوء أكثر وتفكرى بتروى

لم تخشى إخبارك

إنه عصبى وعنيف كما وصفتيه

فمادام والديك هما السبب

المشكلة التى تسبباها لك؟

(جـ) من عرض الدكتور محمد الرميحى لكتاب القضية العربية فى الشعر الكويتى (السياسة ١٩٧٧/١٠/٩):

يتناول المؤلف فى هذا الكتاب موضوعان كبيران

يقع الكتاب فى مائة وثلاث وسبعون صفحة

إذا كانت تلك الفترة هى التى يمكن إرجاع البدايات الأولى.. (بدون عائد).

وثانى الأسباب الهامة فى وصفنا للكتاب على أنه وثيقة علمية.

يتابع قصائد عبد المحسن محمد الرشيد... وآخرون

(د) فى المقال الرئيسى فى أخبار اليوم لرئيس التحرير (١٩٩٥/١/٢٨) وردت عدة أخطاء منها:

«فاللجوء السياسى يمنح فقط للسياسيين.. مما يضطر هؤلاء المعارضون إلى ترك بلادهم» وواضح أن الصواب: المعارضين.

«فليس من مصلحة أمريكا أن تأوى معارضى حكام طهران» والصواب: تؤوى.

(هـ) فى العنوان الرئيسى بالصفحة الأولى من «الأهرام» (٩٧/٥/١٥) وردت الجملة: «الزعيمان يشهدان التوقيع على خمس اتفاقات»، وواضح أن الصواب خمسة اتفاقات.

٣- من أمثلة التشويه فى الإذاعة والتلفاز:

(أ) من أخبار الساعة السادسة بتاريخ ٧٩/٢/١٢ بإذاعة الكويت (فوزية الفلاح).

أصبحت ملكا (بضم الميم) للشعب

فى كلمتين متبادلتين (بكسر الدال)

يصبح (بفتح الياء والباء):

يعقدها (بضم القاف).

نهاية الأسبوع الحالى (بكسر همزة الأسبوع).

شئون باكستان (بجر باكستان بالكسرة) الداخلية

يحث (بكسر الحاء) على

إلى تعيين (بنصب النون) ممثلين

(ب) من أخبار جهينة بتاريخ ١٩٧٥/٩/٣ بإذاعة الكويت:

جعبة ـ بضم الجيم.

قائمة الكتب المباعة ؟

قبل أحد عشرة سنة

نشكو مذاق (بكسر الميم) الماء

يحسب (بكسر السين) طول المسافة

دون أدنى أمل بالشفاء

أصيب بالخرس نتيجة (برفع نتيجة) صدمة

أن البليونير الغامض الذى لم يره أحد... شخصيةٌ وهمية

بهذا الإسم (بقطع همزة الوصل)

يتكلم إعتيادياً (بقطع همزة الوصل)

(جـ) من برنامج ياليل الصب تقديم عبد الله خلف (حلقة ٧٩/١/١٧ بإذاعة الكويت):

أنشدها المغنون قرون عديدة

له دواوينٌ مطبوعة

لم يُنْد اليوم تجلده (لم يَنْدُ)

يهواه الناى ويُحسده (ويَحسده)

(د) وفى مسلسل أبى حنيفة الذى قدمه تلفزيون القاهرة خلال شهر رمضان (١٤١٧هـ) كثرت التجاوزات اللغوية إلى درجة جعلت الدكتور حسن رجب فى يومياته بالأخبار (١٩٩٧/٢/٦) يسميها «كوارث لغوية». وأكتفى بتقديم الأمثلة القليلة الآتية من حلقة يوم ٩٧/١/٢٣:

يقول أبو حنيفة (محمود ياسين) لابنه: قاطعت حلْقات العلم فى المسجد، وصحتها بفتح اللام.

ويقول أبو حنيفة (محمود ياسين): أن به تبيانُ كل شيء، وصحتها بفتح النون لأنها ـ كما هو واضح ـ اسم أن مؤخر.

وقد سببت كلمة «دعاة» المضافة إلى الضمير مشكلة للممثلين ـ وربما للمراجع اللغوى للمسلسل أيضاً ـ لأنها نطقت عدة مرات مع نصبها بالكسرة، توهماً أنها من جمع المؤنث السالم، ومن ذلك ما جاء فى حلقة ١/٢١ على لسان شيخ العباسيين: «أبلغوا دعاتِنا بالتخفى والسكون»، وتكرر فى حلقة ١/٢٣ «إن دعاتِهم ينشطون اليوم بعد قتل زيد».

(هـ) ولم يسلم من الأخطاء اللغوية أعلام المذيعين المصريين ومنهم جمال الشاعر الذى حصل على جائزة أحسن مذيع تليفزيونى لعام ١٩٩٧. ومن ذلك نطقه المَعُوذتين (يعنى سورتى الفلق والناس اللتين تبدآن بقوله تعالى: قل أعوذ) فى برنامجه الجائزة الكبرى (٩٦/١٢/٣١)، وصحتها المُعَوِّذتين. وفى تقديمه لحفل الافتتاح لمؤتمر «مستقبل ثقافتنا العربية»، قال: تاركين له العَنان، وصحتها العِنان بكسر العين.

٤ـ من أمثلة التشويه فى النشرات والإعلانات:

(أ) إعلان علقه مركز الشباب بالشامية:

على الطلبة الراغبون بمذاكرة دروسهم استعداداً للامتحانات آخر العام تسجيل أسماءهم علماً بأنه يوجد مدرسين اختصاصيين.

(ب) فى النشرة الصحفية لجامعة الكويت (١٩٧٥/٤/١٠):

وافق المتخصصين فى الكلية من حيث المبدأ فى تدريس مادة جديدة.

أنهى قسم إدارة الأعمال للبرنامج التدريبى الأول.. وبذلك انتهت المرحلتين الأولى والثانية.. ومازال البرنامج قائم.

(جـ) فى تقرير لجنة ميزانية كلية الآداب (العام الدراسى ٧٩/٧٨):

بطلب تقريراً

حضر مندوبين عن الشئون المالية

اجتمع أثنائها

العميد قد دعى لإجتماع رؤساء الأقسام «إذا دعاكم لما يحييكم»

العمادة لم تحيل نسخة

لم تستلم اللجنة أى طلب تم تصحيحها فى الصواب

لم يتسنى.. لم تعطى

٥- ومن أمثلة التجاوزات اللغوية الكثيرة التى ترد فى أحاديث المسئولين وخطبهم:

(أ) فى أول ظهور علنى لفضيلة الشيخ نصر فريد واصل مفتى الجمهورية، وفى حديثه فى حفل استطلاع هلال شهر رمضان (١٩٩٧/١/٩) نجده يخطئ فى آيتين قرآنيتين: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصوم كما كتب على الذين من قبلكم﴾ (وصحتها: الصيام)، ﴿واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (وصحتها: فاسألوا)، ويقع فى ثلاثة أخطاء لغوية هى:

أحد هذه العبادات هو الصيام (وصحتها: إحدى)

وأنا الذى أُجزى عليه (وصحتها أجزى بفتح الهمزة لأنها من الفعل جَزَى)

لأن كُلٌ منها لا يغنى عن الآخر (وصحتها: كلا)

(ب) وفى كلمة للأستاذ فاروق حسنى وزير الثقافة أذيعت فى وسائل الإعلام المسموعة وردت الأخطاء الآتية:

اسمحوا لى أن أَلقى كلمة (وصحتها بضم الهمزة)

تشرِف بكم (وصحتها بضم الراء)

كان.. أحدُ صور هذا الوعى	(وصحتها: كانت.. إحدى صور..)
إلى دائرةَ النور	(وصحتها بالجر)
أن تضاءُ المناطق	(وصحتها بالنصب)
حتى يمكن إدراكَ عمقها	(وصحتها بالرفع لأنها فاعل)
عِقْد لحماية الطفل المصرى	(وصحتها: عَقْد بفتح العين)

وبعد هذا نعجب إذا أصبح مجهود أستاذ اللغة العربية هباء منثوراً، وإذا كان خريج الجامعة لا يحسن التعبير عن نفسه. اخلقوا البيئة الصالحة والمناخ السليم.. رددوا على أسماع الطلاب كل صحيح من الأساليب والتعبيرات وأعطوا الحرية لأستاذ اللغة العربية وأنا واثق من صحة النتائج. وإلا فما فائدة درس فى اللغة العربية يركز على الجانب النظرى، ولا يأخذ التطبيق العملى فيه إلا بضع دقائق، ثم يملأ بقية يوم التلميذ وليله بهذا الركام من التعبيرات العامية والأساليب الركيكة، ومنها ما يتردد فى أجهزة إعلامية تحتل مكاناً محترماً فى نفس التلميذ ويقلدها بدون وعى.

لا فائدة أبداً من درس نظرى لا يصحبه ولا يعقبه ساعات مضاعفة من التطبيق العملى، وإلا كنا كمن يتعلم السباحة عن طريق قراءة كتاب فى تعلم السباحة، ثم يكتشف حين ينزل إلى البحر أن الكتاب لم يفده شيئاً.

لا نتيجة أبداً لمدرس اللغة العربية إذا لم تتعاون سائر الأجهزة معه، وإذا لم تحترم وسائل الإعلام مستوى اللغة المطلوب، وإذا لم يتمسك أساتذة المواد الأخرى باللغة الفصيحة، وإذا لم تراع الكتب المدرسية وأصحاب الكلمة المكتوبة الأساليب العربية السليمة.

إن ما يبنيه مدرس اللغة العربية فى دقائق تتعاون هيئات متعددة على هدمه لساعات.. وأين عصا موسى التى يملكها مدرس اللغة العربية حتى تلتقم هذه الأفاعى التى تحيط به، والتى تحيل درسه إلى مجرد ملء فراغ وإلى معلومات نظرية تنسى بمرور الوقت.

إننى أدق اليوم أجراس الخطر وأحذر من مستقبل مظلم ينتظر لغتنا الفصحى إذا لم تتدخل الجهات المسئولة فى عالمنا العربى بالوسائل الكفيلة بحل المشكلة... وهى كثيرة وحاسمة.

ألا هل بلغت.. اللهم فاشهد.

أزمة اللغة العربية المعاصرة والحاجة إلى حلول غير تقليدية[1]

تخوض اللغة العربية المعاصرة معركة مريرة من أجل البقاء بعد أن هجرها أهلها، أو انحرفت بنطقها ألسنتهم، وبعد أن توارت فى دوائر الحكومة وفى المدارس والجامعات، وبعد ان انحسرت فى ساحات القضاء والبرلمان والخطابة السياسية والدينية.. فصارت كالغريب فى وطنه مما جعل كاتبا كبيرا مثل الأستاذ أحمد عبد المعطى حجازى يختار لأحد مقالاته فى صحيفة الأهرام (١٩٩٦/٦/١٢) عنوانا مثيرا هو «الفصحى.. هل أصبحت لغة ميتة؟»، وجعل كاتبا أكاديميا مرموقا هو الأستاذ الدكتور أحمد هيكل يخصص سلسلة من مقالاته الأسبوعية بالأهرام لمناقشة مشكلات لغتنا القومية يخلص فيها إلى أن وضعنا أوشك أن يمثل خطرا حقيقيا يهدد وجودها، وينذر بمستقبل غير مطمئن لثقافتنا وحضارتنا وقوميتنا وديننا (الأهرام ٥/١- ١٩٩٦/٦/٦).

وإنه لمما يبعث على الدهشة أن تكون للغة العربية كل هذه المكانة، وأن يكون لضعفها كل هذه الآثار السلبية ثقافيا وحضاريا وقوميا ودينيا، ثم لا يكون هناك تحرك إيجابى، فردى أو جماعى أو مؤسسى أو حكومى، ودون أن يوجد شعور بالاستنفار العام لإنقاذ اللغة العربية من محنتها، وإخراجها من أزمتها.

وإذا كان كثيرون ممن تناولوا القضية قد طرحوا عددا من الحلول، أو عرضوا بعض التصورات فإن معظمهم قدم حلولا تقليدية، وبعضهم سطح القضية حين اكتفى بإلقاء اللوم على مناهج التعليم، وعلى معاهد اللغة العربية وكلياتها.

والأمر أعمق من هذا بكثير لأنه يحتاج أولا إلى ترسيخ عدد من القيم الأساسية، وتصحيح عدد آخر من المفاهيم الخاطئة، ثم بعد ذلك تأتى الاقتراحات والحلول.

---

(١) بحث أعد مضمونة للنشر فى عدد خاص من مجلة «قضايا فكرية» ١٩٩٧.

فمما يجب ترسيخه أولاً: إذكاء الشعور الوطنى والدينى لدى أبناء الأمة العربية، وبث روح الغيرة على اللغة العربية فى نفوسهم، والتعامل معها لا على أنها مجرد وسيلة للتفاهـم، وإنما باعتبارها عنوان هويتنا، ووعاء ثقافتنا، وغايتنا فى ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا [١].

ولن أذهب بعيدا فى ضرب الأمثلة من اللغات الحية الأخرى، وإنما سأكتفى بضرب مثال واحد من اللغة العبرية الحديثة التى لم تحقق ما حققته من مكانة عن طريق القسر أو الضغط أو الإكراه من أفراد أو مؤسسات، وإنما قامت من مرقدها، ودبت فيها الحياة فى الأعوام الأخيرة لتكون اللغة الوطنية لدولة إسرائيل نتيجة لتنامى الشعور الوطنى، والإرادة الجماعية لليهود سواء المتكلمون منهم باللغة العبرية أو المتكلمون بغيرها من المهاجرين الجدد، والاعتزاز بالذات من أفراد المجتمع الذى يستخدمها.

وما يلفت النظر فى التجربة اليهودية السرعة المذهلة فى تنفيذها، وفعاليتها، وشمولها بدرجة جعلت هذه اللغة شبة الميتة ـ فى وقت قصير لا يزيد على مائة سنة ـ هى لغة الحياة، ووسيلة الاتصال داخل الدولة الحديثة، ووافية بالمراد لكل الأفراد من كل الجنسيات، ولجميع الأغراض، سواء كانت اجتماعية، أو تقنية فى مجتمع متقدم[٢].

وقد تم إحياء اللغة العبرية من خلال إرادة جماعة المتكلمين، وليس من خلال القرارات المجمعية (أنشئت أكاديمية اللغة العبرية فى إسرائيل عام ١٩٥٣)، أو المراسيم الحكومية، أو سياسة الأمر الواقع. وحين كانت اللغة العبرية تصادف بعض المقاومة كان الانتصار لها يأتى من الأفراد، ومن ضغط الرأى العام الذى يتحيز للغة العبرية، ويعتبرها جزءا أساسيا من كيانه ووجوده. وقد حدث هذا عند إنشاء «معهد التكنولوجيا» فى حيفا، فقد ثار جدل حول استخدام اللغة الألمانية فى البحث والتدريس فيه، ولكن انتصرت اللغة العبرية لا بتشريع، ولا بقوة قانون ولكن بقوة الضغط الجماهيرى، وبخاصة ضغط «اتحاد المعلمين»[٣].

---

(١) أحيل القارئ إلى المقال الذى كتبه الدكتور يحيى الرخاوى فى ملحق أهرام الجمعة (٩٦/٤/١٩) بعنوان: اللغة العربية والوعى القومى المعاصر.

(٢) انظر The Revival of Hebrew ص١.

(٣) السابق ص ٥ ، ٧.

ومما يجب ترسيخه ثانيا: الإيمان بأن المشروعات البحثية والتطبيقية اللغوية تدخل فى مجال المشروعات القومية من ناحية، والاستثمارات الاقتصادية من ناحية أخرى. وتمثل اللغة الإنجليزية هذه النظرة المزدوجة خير تمثيل بما أنجزه أهلها حولها من مشروعات لغوية تطبيقية، وما أصدروه من برامج تعليمية مختلفة، ومعاجم متنوعة بتكلفة تبلغ المليارات. ويمكنني التمثيل لهذا وذاك بما يأتي:

١ - ساهمت مشروعات اللغة الإنجليزية فى تحقيق معدل دخل للفرد فى بريطانيا بلغ عام ١٩٨٨ اثنى عشر ألفا وثمانمائة وعشرة دولارات[١].

٢ - وكان الاتجاه نحو الاستقلال السياسى فى الولايات المتحدة الأمريكية مرتبطا بالرغبة فى اتخاذ لغة وطنية (وعملة وطنية). ففى أواخر القرن الثامن عشر قام نوح وبستر بالترويج للاستقلال اللغوى للأمة[٢]، حتى صار المواطن الأمريكى يؤمن بأن شرفه يستلزم أن يحصل على نظام لغوى خاص به، وأن استقلاله سيرسخ ببناء لغة إنجليزية أمريكية يرجى لها أن تكون لغة قائدة فى المستقبل. وحينما صدر معجم وبستر عام ١٨٠٦ ورد فى مقدمته أن الإنجليزية الأمريكية ستصبح أكثر اللغات انتشارا حتى مع المقارنة باللغة الصينية[٣].

٣ - وقد أصبحت صناعة المعاجم فى بريطانيا الآن من الصناعات الرابحة على الرغم من مصاريفها الضخمة، وحقق معجم أكسفورد على المدى الطويل مكاسب هائلة. وحتى لو لم يفعل ذلك فيكفيه أنه حقق مكانة عظيمة لمطبعة جامعة أكسفورد[٤].

٤ - وقد حققت اللغة الإنجليزية لنفسها من الانتشار فى هذا القرن ما لم تحققه قط خلال تاريخها الطويل، حتى صارت اللغة الأولى فى شتى أنحاء العالم، وصارت أهم لغة فى مجالات العلم والاقتصاد والتجارة والسياحة والمراسلة وبنوك المعلومات وغيرها [٥] مما حقق لأهلها مكاسب مادية وأدبية لا يمكن تقدير قيمتها.

---

(١) Language and Economy ص ٢٣.

(٢) وصاحب ذلك تغيير العملة وإلغاء الجنيه الاسترلينى والبنى، وتقديم عملة جديدة هى الدولار والسنت، وقد تم ذلك عام ١٧٩٢ (السابق ص ٤٤).

(٣) السابق ص ٢٤.

(٤) السابق ص ٧٢.

(٥) السابق ص ٨٠.

ومما يجب ترسيخه ثالثا كقيمة اجتماعية هامة: تحسين صورة أستاذ اللغة العربية فى وسائل إعلامنا وبخاصة فى مسلسلاتنا ومسرحياتنا وأفلامنا، وعدم اتخاذه مادة للتندر والسخرية[1]. وحين تتحسّن هذه الصورة ستجد إقبالا على دراسة اللغة العربية من أصحاب المجاميع الكبيرة فى الثانوية العامة بدلا من تزاحمهم على الكليات ذات السمعة والصيت التى يتعطل خريجوها، أو تضيق أمامهم فرص العمل. وحين يرتفع مستوى خريجى كليات اللغة العربية ومعاهدها ـ نتيجة تفوقهم الدراسى منذ البداية ـ سنكون قد خطونا أول خطوة فى طريق الارتقاء بمستوى اللغة العربية بين صغار الناشئة، وتلاميذ المدارس.

أما ما يجب ترسيخه رابعا كحقيقة علمية: فهو أن الآلية الحقيقية للتواصل اللفظى فى اللغة المنطوقة إنما تكتسب فى سن الطفولة، وأنها باعتبارها مهارة خاصة تتطور مع الطفل بصوة لاإرادية، وبدون جهد واع، أو تعليمات إرشادية، ويتم اكتسابها تلقائيا من خلال منطقها الداخلى، وأن الإنسان يولد ولديه الميل الفطرى لأن يتكلم كما تكشف عن ذلك مرحلة المناغاة عند الرضع[2]. وأفضل سنّ لتعليم اللغة وتعلمها هى تلك المحصورة بين الثالثة[3] والخامسة عشرة، وهى تغطى ثلاث مراحل:

١ ـ من ٣ـ٥، وهى السنوات الثلاث السابقة لسن المدرسة.

٢ ـ من ٦ـ٨، وهى السنوات الثلاث الأولى من المدرسة.

٣ ـ من ٩ـ١٥، وتغطى بقية المرحلة الابتدائية وكل المرحلة الإعدادية[4].

فإذا ضاعت هذه السنوات دون إتقان المتعلم للغته قراءة وكتابة، ودون تعوده على استخدامها كوسيلة اكتشاف وتعلم واتصال، فمن الصعب عليه أن يتعلمها بعد ذلك، وإذا

---

(١) وهى صورة فريدة بالنسبة لمدرسى اللغات فى مصر، وبالنسبة لمدرسى اللغات الوطنية فى كل بلاد العالم. وهى بكل تأكيد أثر من آثار الهجمة الاستعمارية الشرسة فى الحديث، ودعاوى الشعوبية فى القديم.

(٢) انظر: The Language Instinct ص ١٧، ١٨.

(٣) يقول Steven Pinker عن طفل الثالثة: إنه يعد عبقريا فى اكتساب قواعد اللغة، وهو يملك قدرة فريدة باهرة على ذلك (السابق ص ١٩)، ويقول عن الطفل الإنجليزى: إنه عند سن الثالثة يستخدم الـ S مع المفرد الغائب بنسبة صحة لا تقل عن ٩٠٪، وإنه بعد عدة شهور من السنة الثالثة يبدأ الكلام فى جمل صحيحة (السابق ص ٤٤).

(٤) انظر The Functional Arabic ص ٨٧ ويقول Steven Pinker إن اكتساب اللغة أمر يسير للأطفال حتى سن السادسة، وهو فى حاجة إلى جهد مضاعف ابتداء من سنّ العاشرة حتى بعد سنّ المراهقة بقليل، وهو نادر بعد ذلك (ص ٢٩٣).

أنهى التلميذ المرحلتين الابتدائية والإعدادية دون أن يقيم لسانه أو يحسن التعبير الكتابى بجمل بسيطة فإننا نكون قد ضيعنا سدى أفضل سنوات الإنسان لتعلم اللغة، وتكون أى محاولة بعد هذا لإصلاح هذا الخلل محكوما عليها سلفا بالفشل الذريع.

ومعنى هذا أن المرحلة الجامعية ليست المناسبة لتعليم اللغة الوطنية، لأنها تأتى بعد سن تكون القدرات والمهارات اللغوية قد استقرت فيها ورسخت وأصبح من الصعب إن لم يكن من المستحيل تحويلها أو تعديلها[1].

ومعناه أيضا أن من غير المقبول أن تطالب أقسام اللغة العربية فى جامعاتنا بالانصراف عن مهمتها الأساسية وهى تدريس علوم اللغة والأدب، لتشتغل بتعليم طلبتها رفع الفاعل ونصب المفعول وحكم المبتدأ والخبر.. فتتحول بذلك إلى مدرسة ابتدائية تتولى محو أمية الملتحقين بها، وتعلمهم مبادئ القراءة والكتابة. فلو كانت هذه غاية دروس اللغة العربية فى الجامعة فماذا كانت غايتها فى مراحل الدراسة قبل الجامعية؟ وإذا كان رفع الفاعل ونصب المفعول، والتدريب على قراءة قصيدة للمتنبى أو نص فى الأغانى هو المطلب الملحّ فى الجامعة فماذا صنع مدرسو اللغة العربية خلال الاثنتى عشرة سنة الأولى من التعليم؟ وفيم عناء أعضاء هيئة التدريس بكليات اللغة العربية وأقسامها للحصول على أعلى المؤهلات الدراسية، والسفر فى بعثات أو مهمات علمية للدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية؟

وليسأل أولئك الذين يدعون إلى تحويل معاهد اللغة العربية إلى معاهد لتعليم مهارات اللغة – ليسألوا أنفسهم: وهل تفعل هذا معاهد اللغات الوطنية فى جامعاتها؟ أو حتى أقسام اللغات الأجنبية فى كلياتها أو كلياتنا؟

أما المفاهيم الخاطئة التى يجب تصحيحها فكثيرة، وقد استعرضنا أهمها فى الفصلين السابقين.

والآن.. ما السبيل إلى إخراج اللغة العربية من أزمتها، وماذا نقترح من حلول لإعادتها إلى سابق مجدها وعزتها؟

---

(١) ويضيف Steven Pinker إلى ذلك أن الإنسان يحسّ بصعوبة تعلم لغة ثانية عند سن البلوغ عنه عند تعلم الغة الأولى فى الطفولة، وأن معظم البالغين – إذا بدأو تعلم اللغة الأجنبية بعد سن السابعة عشرة – من الصعب عليهم إتقان اللغة. وقد أجريت تجربة على الصينين والكوريين فى الولايات المتحدة الذين أمضوا عشر سنوات على الأقل بها فوجد أن الذين حضروا بين سنّ الثالثة والسابعة طابقت لغتهم لغة المواطنين الأمريكيين، والذى حضروا بين الثامنة والخامسة عشرة لم يستطيعوا إتقان اللغة، والذين حضروا بعد هذه السن كانوا فى درجة عالية من السوء (ص ٢٩١).

هناك خطتان: إحداهما عاجلة وآنية، ويمكن البدء فى تنفيذها فورا، أما الثانية فخطة طويلة المدى يمكن تنفيذها خلال بضع سنوات بعد توفير الكوادر البحثية المتخصصة، والاعتمادات المالية اللازمة. ونبدأ بالخطة العاجلة التى تقوم على الأسس الآتية:

أولاً: الإعداد الجيد لمدرسى اللغة العربية بعد اختيارهم من حملة الثانوية العامة على أساس قدراتهم وإمكاناتهم اللغوية والتربوية، ومع توجيه أفضلهم إلى مرحلة التعليم الابتدائى التى هى أخطر سن وأهمها فى تعلم اللغة واكتسابها. ويقتضى هذا تغيير النظرة إلى مدرسى المرحلةب الابتدائية، وإعطاءهم عدداً من المميزات الأدبية والمادية لجذب أفضل العناصر إليها. ويدخل فى الإعداد الجيد لمدرسى هذه المرحلة تدريبهم على ممارسة مهنتهم تدريباً كافياً يشمل طرق التدريس، ووضع الدروس والتدريبات النموذجية والاختبارات واستخدام الوسائل التعليمية المعينة، وطرق التحليل التقابلى.

وقد سبق أن ذكرنا أن أفضل سن لتعلم اللغة واكتسابها هى تلك المحصورة بين الثالثة والخامسة عشرة أى تلك السن التى تغطى عامين قبل سن المدرسة وتمتد لتشمل المرحلتين الابتدائية والاعدادية، وهى الفترة التى ينبغى التركيز عليها إذا أريد للغة النشء أن ترقى، وللغة جيل المستقبل أن تصل إلى المستوى المطلوب. فهل نحن سائرون فى الطريق الصحيح حيال هذه الحقيقة؟ من الأسف أن نقول لا، فالتلميذ ينهى المرحلتين الابتدائية والإعدادية وهو لا يكاد يقيم لسانه أو يحسن التعبير الكتابى بجمل بسيطة سليمة.

ثانياً: بذل كل جهد ممكن لإعادة تقديم اللغة العربية إلى متعلميها فى صورة تكفل لها حداً أدنى من القواعد والقيود، وحدا أعلى من السهولة واليسر، ولن يتحقق ذلك إلا باتخاذ الوسائل لتحقيق ما يأتى:

أ ــ تبسيط الإملاء والتخفف من كثير من قواعد كتابة الهمزة، والألف المقصورة. ولا يكفى بالنسبة للهمزة أن نتبنى بعض الاقتراحات الحديثة لتيسير كتابتها، كتلك التى اقترحها مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بل الأفضل أن نتفق على كتابتها بطريقة واحدة ــ ولتكن على ألف ــ مهما اختلف موقعها، ومهما كانت الحركة التى تسبقها أو تتبعها.

وإذا كان القدماء قد فرضوا كتابتها بهذه الصور المتعدد فقد كان ذلك بقصد التنبيه

إلى الصورة التى ينبغى أن تؤول إليها الهمزة إذا أريد تخفيفها ياء أو واواً أو ألفاً. أما الآن ـ ومع التزامنا الهمزة دون تخفيف ـ فلم يعد هناك من فائدة فى تعديد أشكال كتابتها.

ويمكن كذلك التخفف من قواعد كتابة الألف الثالثة المقصورة بالنظر إلى أصلها الواوى أو اليائى، والالتزام بكتابتها ألفاً مطلقاً وهو رأى نادى به من قديم ابن ولاد فى كتابه «المقصور والممدود». وإذا كان هناك من حكمة فى نظر القدماء لتنويع كتابة هذه الألف فهى التنبيه إلى جواز إمالتها أو عدم جوازها، وهى حكمة زالت الآن باختيار الفتح على الإمالة.

ب ـ الاقتصار ـ فى تقديم القواعد النحوية ـ على الجانب الوظيفى، واختيار الأمثلة من اللغة الحية المعاصرة بالإضافة إلى تبنى أيسر الآراء النحوية والاتجاه إلى تعميم القاعدة، وإغفال القيود والشروط والتشعيبات الجزئية الكثيرة التى تحيّر المتعلم، وتقتضيه بذل جهد إضافى دون فائدة، والإكثار من التمرينات، والتدريبات العملية.. وأكتفى بذكر الأمثلة التوضيحية الآتية:

١ ـ فى اختيار الأمثلة والنماذج التوضيحية ينبغى الاتجاه نحو الجمل والعبارات والنصوص التى لا تنفصل عن لغة العصر، والتى يمكن أن تزود الطالب بمفردات وتراكيب يحتاجها فى حياته للتعبير عن ذات نفسه حتى نخلق الحافز لدى المتعلم. فبدلاً من أن تمثل كتب النحو لتثنية الممدود وجمعه بالمثالين:

هذان قُراءان متعبدان.

هؤلاء قُراءون متعبدون.

(وكلمة قُراء هنا بمعنى الرجل الكثير النسك والعبادة وما أظن أن هذا المثال قد مرّ أو سيمرّ بالطالب طوال حياته) كان الأولى أن تختار للتمثيل للهمزة الأصلية غير المبدلة أمثلة أخرى حية مثل كلمة «وضّاء»، كما يمكن استخراج عشرات الأمثلة القياسية عن طريق أخذ المصدر أو صيغة المبالغة على وزنى فَعّال أو مِفعال من الأفعال المهموزة اللام مثل قراء ورفاء ومبطاء.. وغيرها.

وبدلاً من أن تذكر الكتب المدرسية ضمن أخوات كان الفعلين «مافتىء» و«ماانفك»

وهما غير مستعملين الآن كان الأولى ذكر أفعال أخرى شائعة فى الاستعمال تأتى بمعنى «صار» مثل:

ارتد الأعمى بصيراً.

عاد الجو صحواً.

غدا الطقس جميلا.

كما كان من الضرورى التفرقة فى المعنى بين الفعلين «مازال» و «لازال»، وهما مما يقع الخلط فيه بكثرة بين المثقفين، وكان أولى بالتناول من أفعال مهجورة لا ترد فى الاستعمال الحديث.

٢ ـ مما يضيق به المتعلم كذلك كثرة القيود والتفريعات، والتقسيمات، والأحكام الجزئية فى مسائل يمكن ضم جزئياتها والتجاوز عن كثير من تفريعاتها دون أن يكون لذلك أثر على الاستعمال الصحيح. ومن العجيب أن نجد إصرارا من مؤلفى الكتب المدرسية على هذا المنهج الذى يؤدى إلى ضياع القاعدة الرئيسية وسط ركام التشعيبات والتفريعات والشروط والقيود مما ينتهى بدارس القاعدة إلى الخروج صفر اليدين[١].

٣ ـ ضرورة التخلص من التحليلات الإعرابية لكثير من الأساليب والقوالب التعبيرية التى ينبغى الاقتصار فيها على عرض الأسلوب، وبيان كيفية استعماله، وضبط أجزائه ومكوناته، دونما حاجة إلى التحليل أو الإعراب التفصيلى، وأكتفى بعرض المثال الآتى:

فى أسلوبى التعجب القياسيين لا تكتفى كتب النحو المدرسى بذكر شروط صياغتهما (وسيأتى رأينا فيها) وتقديم الأمثلة وضبطها بالشكل، وإنما تتطرق إلى إعراب الأسلوبين إعراباً تفصيلياً بصورة تثير حيرة الباحث ودهشتة دون أن يكون لهذا الإعراب أى فائدة فى تدريبه على النطق الصحيح.

وفى مثل هذه الحالة كان يكفى أن يقدم الكتاب نماذج لهذا الأسلوب ليعرف الطالب شيئين هما: ـ

* أن هذا الأسلوب يبدأ بـ «ما» متلوة بكلمة على وزن «أفعل» يليها المتعجب منه.

(١) انظر الفصل الثانى من الباب الثانى من هذا الكتاب.

(مع التجاوز عن أن الفتحة الأولى عند النحاة فتحة بناء والثانية فتحة إعراب لأنه لا أثر لذلك فى تصحيح النطق أو تقويم اللسان).

أما ما عدا ذلك ففضلاً عن عدم الحاجة إليه فإنه يثير كثيراً من التساؤلات التى لو فكر الطالب فيها لما وجد لها جواباً شافياً.

ج ـ غاب عن أذهان واضعى كتب النحو أن تعليم القواعد النحوية ليس مجرد عرض لعدد من الحقائق أو المعلومات، كما أنه ليس تعويداً على التفكير العلمى.. إنه مهارة وليس معرفة، ولو كان مجرد معرفة لكان يكفى أن يحفظ التلميذ قدراً من قواعد اللغة حتى يقال إنه متمكن منها. إن نجاح درس النحو لا يتحقق إلا إذا حوّل القاعدة إلى مهارة، ومكن الدارس من استعمال العبارات استعمالاً سليماً دون تفكير أو وعى بالقاعدة.

وفى تصورى أن الطريق الأمثل هو الالتزام بكثرة التمرينات والتدريبات مع تنويعها لتغطى المهارات اللغوية المختلفة، كما أنه لا سبيل إلى النهوض بدروس النحو إلا من خلال ما يأتى:

١ ـ التركيز على المباحث النحوية الوظيفية التى تستعمل فى الحياة وفى أساليب الكتاب.
٢ ـ البدء بالموضوعات الشائعة وتأخير الموضوعات الأقل شيوعاً، أو غير الشائعة.
٣ ـ اعتماد المنهج التقابلى الذى يهدف إلى التعرف على أخطاء التلاميذ الشائعة فى قواعد اللغة بسبب التأثر باللهجة أو بلغة أجنبية[١].

ويستتبع ذلك تصميم مقررات علاجية تقوم على تقديم نماذج تركيبية كثيرة. وهذا يستوجب تقديم أوراق عمل أو كراسة تمارين تشتمل على مجموعة كبيرة من التدريبات والأسئلة متعددة الاختيار التى تغطى جميع أجزاء الموضوع.

٤ ـ استقاء جميع أمثلة النحو من لغة الحياة أو اللغة التى تصادف المتعلم فى قراءاته، ويمكن أن يستخدمها فى تعبيراته حتى يتفاعل الطالب معها ويشعر بحاجته إلى معرفتها، وجعل الموضوعات التى تعرض من خلالها القواعد قريبة من بيئة التلميذ ونشاطه اللغوى.

(١) مثل تسكين أواخر الكلمات، وإلزام الأسماء الخمسة صيغة واحدة: أبوه ـ حماه، وإبدال ألف الفعل ياء مطلقا: دعيت ـ مشيت، والاحتفاظ بنون الجمع عند الإضافة: وجهتين نظر، والخطأ فى باب العدد: اثنين مليون ـ ثلاث تلاميذ.. الخ.

٥ – ضم الجزئيات المتناثرة والتقليل من القيود والشروط والتفريعات والتقسيمات عند التقعيد.

٦ – إعطاء النصيب الأوفر من الاهتمام للممارسة والتطبيق لا لحفظ القاعدة.

٧ – ترتيب جزئيات المادة فى تسلسل يسمح بأن يوجد بناء نحوى تصاعدى وإعطاء اهتمام خاص للجزئيات النحوية الأكثر التباساً أو تداخلاً مع اللهجات.

٨ – الالتزام بالتيسيرات الكثيرة التى أقرتها مجامع اللغة العربية وبخاصة مجمع اللغة العربية فى مصر. وإن كانت بعض هذه التيسيرات مجالاً للسخرية

٩ – تكثيف التدريبات اللغوية بالنسبة لمواطن اللبس وبعد تصنيف أخطاء الطلاب وتحديد الشائع منها. ويقتضى تحقيق هذا إنشاء مركز «للغويات التطبيقية» واتخاذ جملة من الإجراءات البحثية كما سنذكر فى خطتنا الطموحة الطويلة المدى.

تقوم هذه الخطة الطموحة على جملة من الأسس منها:

أولا: إعداد قاعدة بيانات شاملة لمادة اللغة العربية على امتداد عصورها مع البدء بالعصر الحديث.

ثانيا: التركيز على الجوانب التطبيقية فى دراسة اللغة وتدريسها، والاستفادة من النتائج الباهرة التى حققها علم اللغة التطبيقى بفروعه المتعددة.

ثالثا: إنشاء مركز للغويات التطبيقية مجهز بأحدث الأجهزة ومزود بالخبراء والباحثين اللغويين، تكون له صفة المرجعية اللغوية، ويهتم بوصف اللغة العربية بمستوياتها المختلفة (الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية)، ويتولى تأليف الكتب والمعاجم اللازمة، كما يتولى القيام بكل الإجراءات والخطوات التطبيقية، والإشراف على تنفيذ التوصيات والقرارات والاستفادة من معطيات علم اللغة التطبيقى.

وسنتناول بشىء من التفصيل ما سبق أن أجملناه:

أولا: قاعدة البيانات اللغوية الشاملة:

لم يعد إنشاء قاعدة بيانات شاملة لأى غرض من الأغراض بالأمر المستحيل أو الصعب الآن بعد استخدام الآلة وشيوع الميكنة فى معظم مراكز البحث. وهناك نوعان من الأجهزة

يحتاجهما إنشاء هذه القاعدة وهما: الحواسيب (أو أجهزة الكومبيوتر)، والماسحات الضوئية (Scanners).

وقد قامت بعض المؤسسات التجارية منذ عدة سنوات بإنشاء قواعد بيانات لغوية عربية خاصة بها، أنتجت من خلالها عددا من البرامج اللغوية الناجحة، ولكن العمل المقترح هنا أكبر بكثير من أن تتحمله مؤسسة تهدف إلى الربح أولا، وتنشد استرداد رأس المال المنفق فى فترة وجيزة ثانيا. وربما أثر هذا فى دقة العمل وشموليته مما سيترتب عليه قصور النتائج، وعدم الثقة فى تمثيل العينة المختزنة للغة العربية (المعاصرة) خير تمثيل.

وقد أتيح لى منذ أعوام قليلة الاطلاع على حجم العينة لواحدة من هذه المؤسسات التجارية فهالنى قصورها الشديد، وخلطها بين المادة اللغوية المعاصرة والقديمة، وعدم التدقيق فى تخزين المادة.

ولكى تكون العينة ممثلة للغة العصر الحديث ـ وليكن ذلك بدءا من الثلاثينيات من هذا القرن ـ ينبغى أن تغطى هذه العينة الأعمال الآتية (المكتوبة باللغة الفصيحة):

١ ـ كتب الأطفال والناشئة، سواء كانت كتبا علمية أو أدبية أو تاريخية أو دوائر معارف، أو قصصا وسواء كانت مكتوبة بالعربية، أو مترجمة إليها.

٢ ـ دواوين الشعراء المعاصرين، بحيث لا تقل العينة عن مئة، وسواء كان الشاعر حيا أو ميتا (يختار من الأخيرين الذين ماتو ابتداء من الثلاثينيات).

٣ ـ أعمال الأدباء وكبار الكتاب المشهود لهم بالسلامة اللغوية. وتضم هذه القائمة أسماء لا تقل عن مئة وتشمل كتاب المقالة والمسرحية والقصة، وأصحاب الفكر من فلاسفة، وعلماء نفس، ورجال دين، ومؤرخين، ورجال اقتصاد.. الخ.

٤ ـ الصحف والمجلات الواسعة الانتشار فى العالم العربى، ويقتصر فى العينة على السنوات العشر الأخيرة. وينبغى أن تمثل فى العينة مجلات المرأة والطفل.

٥ ـ المادة المسموعة التى تقدم بلغة سليمة (أو المفترض فيها ذلك)، من مثل نشرات الأخبار والتعليق عليها، ومواجز الأنباء، وأقوال الصحف، والأحاديث الدينية، وبعض البرامج الجادة التى تلتزم السلامة اللغوية.

٦ ـ الكتب المدرسية المتنوعة.

٧ – الكتب العلمية المكتوبة بلغة عربية سليمة، سواء كانت كتبا ثقافية عامة، أو كتبا مدرسية أو جامعية.

٨ – بعض الكتب التراثية التى تتمتع بأهمية خاصة، جعلت استعمالها ممتدا حتى العصر الحديث، مثل القرآن الكريم، والقراءات القرآنية، والأحاديث القدسية والنبوية، والحكم والأمثال.

٩ – أعمال المجامع اللغوية سواء كانت معاجم مصطلحات، أو ألفاظا وتعبيرات وأساليب أقرتها هذه المجامع.

١٠ – كتب التعبيرات السياقية، والتصحيح اللغوى.

١١ – كتب الرصيد اللغوى وغيرها من الأعمال الإحصائية التى تمت على اللغة العربية.

١٢ – المعاجم المسحية التى قامت على مادة وظيفية حية، سواء بصفة كلية أو جزئية.

ولا يظن ظان أن تخزين مثل هذه العينة فى ذاكرة الكومبيرتر بعد أمر صعبا أو يحتاج إلى وقت طويل، فقد تم عمله فى لغات أخرى كثيرة منها اللغة الانجليزية التى أكتفى بإلقاء الضوء عليها من خلال النموذجين الآتيين:

١ – قاعدة البيانات التى أعدتها مؤسسة Longman وأنجزت من خلالها عدة أعمال أهمها الطبعة الثالثة من معجم .

The Longman Dictionory of Contemporary English (١)

٢ – قاعدة البيانات التى أعدتها جامعة برمنجهام، وأنتجت من خلالها عدة أعمال معجمية وتدريبية منها:

a) Collins Cobuild English Language Dictionary.

(معجم متوسط يقع فى أكثر من ١٧٠٠ صفحة مقسمة إلى عمودين، وبعدد أسطر يتجاوز الثمانين سطرا فى كل عمود. وقد ظهرت طبعته الأولى عام ١٩٨٧ وأعيد طبعه عدة مرات).

b) Collins Cobuild Essential English Dictionary.

---

(١) انظر الطبعة الثالثة من المعجم المذكور التى صدرت عام ١٩٩٥. وقد اشتمل المعجم على ثمانين ألف كلمة وعبارة، وكان تحت يد فريق العمل فيه قاعدة بيانات مكونة من ١٠٠ مليون كلمة تشكل الرصيد اللغوى البريطانى، و ٣٠ مليون كلمة تشكل قاعدة بيانات لونجمان وجامعة لانكستر، وقاعدة ثالثة مكونة من ٥ ملايين كلمة جارية.

(معجم صغير يقع فى نحو ٩٦٠ صفحة، ظهرت طبعته الأولى عام ١٩٨٨).

c) Collins Cobuild Dicitonary of Phrasal Verbs

(يقع فى ٤٩٢ صفحة، وظهرت طبعته الأولى عام ١٩٨٩).

وسوف تساعد قاعدة البيانات اللغوية المخزّنة على إنجاز العديد من المشروعات اللغوية، مثل:

١ ـ إعداد معاجم متعددة الأحجام، والأغراض، والترتيب.

٢ ـ إعداد معاجم خاصة مثل معاجم المصطلحات، ومعاجم المترادفات، والمتضادات.

٣ ـ القيام بتحليلات لغوية بدءا من مستوى النص، ومرورا بمستويات الصوت والصرف والنحو والدلالة، وعمل تحليلات أسلوبية كذلك.

٤ ـ إنتاج برامج لضبط النطق والهجاء.

٥ ـ صنع معاجم ذات خدمات متعددة يمكن من خلالها استرجاع الكلمات من زوايا مختلفة كالهجاء، والمعنى، النطق، وغيرها.

وإلى جانب ذلك فإن استخدام مادة محوسبة سيعطى الباحثين العاملين فى إنجاز أحد المشروعات السابقة ـ سيعطيهم إمكانيات ضخمة لا تتوفر لغيرهم، من مثل:

١ ـ إمكانية الوصول إلى المعلومة من خلال مسالك متعددة، والسماح بتحقيقها، والإضافة إليها، والحذف منها بصورة لا يسمح بها الجمع اليدوى[1].

٢ ـ إمكانية التعامل مع مادة ضخمة يعجز العقل البشرى والعمل اليدوى عن التعامل معها.

٣ ـ سهولة القيام فى المعجم بعمليات الربط والإحالات من مكان إلى مكان آخر.

٤ ـ إمكانية إنجاز معاجم متعددة الأحجام على أساس إحصائى، وبناء على نسب تكرار الكلمات وترددها، ونسب تكرار الدلالات وترددها.

٥ ـ إمكانية استخلاص نوعين من المعاجم، أحدهما المعجم الورقى التقليدى والآخر

---

(١) انظر: Computational Lexicography ص ٣٢و Lexicomputing and the Dictionary of the Future ص ٨٤، ٨٨.

المعجم الإلكترونى بما يملكه الأخير من إمكانية التجديد فى كل لحظة، وادخال أى تعديل عليه.

كما أنه سيعطى مستعمل المعجم المحوسب[1] مميزات كثيرة من أهمها:

١ ـ الحصول على أى معلومة تتعلق بالكلمة سواء كان المطلوب الحصول على المرادفات أو أشباه المرادفات، أو المتضادات، أو علاقة الكلمة بغيرها من الكلمات سواء كانت العلاقة ترادفية أو هرمية أو تفريعية[2] .. الخ.

٢ ـ إمكانية الحصول على المادة الموجودة فى الملف بطرق مختلفةمثل:

(أ) استخلاص كل معنى معين.

(ب) استخراج كل فعل من نوع معين (متعد ـ لازم ـ متعد بحرف الخ).

(ج) استدعاء الكلمات التى ترتبط بمجال معين كالفلك، أو الطبخ، أو الفلسفة.. الخ.

٣ ـ إمكانية الحصول على المعلومات الصرفية، وأصول المشتقات، مع ردها إلى لغاتها المأخوذة منها[3].

٤ ـ الحصول على مصطلحات علم معين، مع ترتيبها أو تصنيفها بطرق مختلفة[4].

٥ ـ إمكانية الحصول على الكلمة المرادة عن طريق المحلل النحوى من خلال جذرها، أو سوابقها، أو لواحقها[5].

ثانياً: علم اللغة التطبيقى ومجالاته المتعددة:

يمكن القول إن الاتجاه نحو الاستخدام التطبيقى للمعرفة اللغوية، والاستفادة من النظريات اللغوية لحل المشكلات التى تتعلق بالجانب العملى للغة يعد اتجاها قديما، ولكن هذا الاستخدام لم يتبلور فى شكل علم مستقل إلا مؤخرا على الرغم من أنه لم يتم

(١) مع اختلاف فى النسبة بين المعجم الورقى والمعجم الإلكترونى.
(٢) انظر Dictionaries ص ٢٧٣، و Lexicomputing ص ٨٨.
(٣) Dictionaries ص ٢٧٦.
(٤) السابق ص ٢٧٩.
(٥) Lexicomputing ص ٨٩.

الاتفاق على حصر مجالاته حتى الآن مع كثرة ما عقد حوله من مؤتمرات وندوات، وما صدر بشأنه من مطبوعات ودوريات وما أسس للتعريف به من جمعيات ومراكز بحثية تطبيقية.

ويمكننا من تحليل عدد من الدوريات والمصادر فى علم اللغة التطبيقى[1] أن نحدد أهم مجالات هذا العلم فيما يأتى:

١ ـ التخطيط اللغوى والسياسة اللغوية، ويدخل فى ذلك: اللغة فى أجهزة التعليم، وتعريب لغة العلم وغيرها.

٢ ـ الترجمة.

٣ ـ صناعة المعاجم، بأنواعها المختلفة وأحجامها المتعددة.

٤ ـ علم اللغة التقابلى وتحليل الأخطاء.

٥ ـ تعليم اللغة وتعلمها (سواء اللغة الوطنية أو اللغة الأجنبية)، ويشمل ذلك قضايا الثنائية اللغوية واللهجية، وتعدد اللغات، والنحو التعليمى، والمهارات اللغوية، واكتساب اللغة، وتعليم النطق والأصوات، وعلاج عيوب النطق سواء كانت نتيجة أسباب نفسية أو عضوية.

٦ ـ تصميم الاختبارات اللغوية.

٧ ـ تقييم البرامج اللغوية.

٨ ـ أنظمة الكتابة وإصلاح الأبجديات وطرق الإملاء.

٩ ـ تحليل الخطاب.

١٠ ـ اللغة فى أجهزة الإعلام.

١١ ـ التحليل الأسلوبى.

١٢ ـ تقنيات التعليم، وإعداد مادة الكلام والاستماع للمختبر اللغوى، والمواد السمعية البصرية المساعدة فى تعليم اللغة.

---

(١) مثـــل مجلــة Linguistic Bibliography, The Annual Review of Applied Linguistics, (فى إصدارها عام ١٩٩٣)، The Encyclopedia of Language and Linguistics. (فى أجزائها العشرة The Edinburgh Course in Applied Lingiustics, Behavior Abstracts, وانظر The Encyclopedia of Language and Linguistics مادة Applied Linguistics

١٣ ـ مهارات الاتصال.

١٤ ـ المصطلحية والمصطلح.

١٥ ـ محو الأمية وتعليم الكبار اللغة.

١٦ ـ البراجماتية.

ولا شك أن تغطية هذه المجالات تحتاج إلى دراسة متوسعة تخرج بنا عن الهدف من الكتاب، ولذا سنقف عند المجالين الأولين ونترك ما عداهما.

١ ـ التخطيط اللغوى [١] ووضع سياسة لغوية:

ويعنى ذلك الاستجابة المقصودة لمشكلات اللغة بقصد التحكم فى وضع موجود، وبلورة سياسات لغوية يدعمها المسئولون وأصحاب القرار، باعتبار اللغة إنجازا حضاريا، واستثماراً قوميا. كما يعنى اتخاذ نظرة تنظيمية مستقبلية مبنية على تصور نظرى[٢].

ومن أمثلة التخطيط اللغوى التى تم القيام بها فى عدد من اللغات:

١ ـ إيجاد ألفبائيات جديدة، أو إصلاح ألفبائيات موجودة، وتغيير الحرف العربى فى اللغة التركية.

٢ ـ إصلاح قواعد الهجاء والإملاء فى اللغة الهولندية (عامى ٤٦، ١٩٤٧)، والدانمركية (عام ١٩٤٨)، وتبسيط الرموز الصينية واتخاذ النموذج الرومانى أساسا لها[٣].

٣ ـ نشر اللغة الوطنية داخليا وخارجيا..

٤ ـ تغذية اللغة بالمصطلحات اللازمة للعلوم والتقنيات والاقتصاد والسياسة وغيرها[٤].

---

(١) ظهر مصطلح التخطيط اللغوى Language Planning عام ١٩٦٦ ولاقى رواجا أكثر من غيره من المصطلحات مثل Language adaptation, Language Treatment, Language Policy.

(٢) انظر The Encyclopedia of Language, the Revival of Hebrew and Language Planning P.3

(٣) انظر Language and Economy ص ١٠٨، ١٠٩.

(٤) وتشكل كثير من الدول لجانا أو مؤسسات أكاديمية لدراسة مصطلحات اللغة الوطنية وربما يمثل هذا ـ فى عالمنا العربى أحسن تمثيل ـ مجمعا اللغة العربية بالقاهرة ودمشق. وهناك منظمات دولية كثيرة اهتمت بالجانب المصطلحى، ففى عام ١٩٧١ أنشأ اليونسكو المركز العالمى لمعلومات المصطلحات فى فينا. ثم أنشأت الهند وكالة المصطلحات التقنية والعلمية التى وضعت أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ مصطلح علمى للغة الهندية وحدها (Language and Economy ص ١٠٩).

٥ ـ رفع درجة كفاءة اللغة، وقدرتها الأدائية.

٦ ـ تنقية اللغة من الشوائب الأجنبية[١].

٧ ـ خلق مستويات معيارية جديدة للغة من تنوعات غير معيارية.

٨ ـ توجيه لغة الإعلام بما يضمن صحتها وسلامتها[٢]، وفى بعض البلاد مثل أستراليا قامت شبكة الإذاعات المحلية بتشكيل لجنة لتحديد الصيغ الملائمة للاستخدام العام.

٩ ـ عمل المعاجم التى يرجع إليها المستخدم ليعرف الصيغ والكلمات والاستخدامات الصحيحة، والدلالات الملائمة، والنطق المعيارى، والهجاء الصحيح.

١٠ ـ تحديث اللغة وجعلها أداة طيعة للاتصال والتعليم فى مختلف مراحله[٣].

ويختلف الوضع فى البلاد العربية بالنسبة لاتخاذ اللغة العربية أداة اتصال، ووسيلة تعليم، ففى حين تعانى دول المغرب (باستثناء ليبيا) من تعريب اللسان وفرنسة لغة التعليم منذ المراحل قبل الجامعية تعانى دول المشرق العربى (باستثناء سورية) من مشكلة تعريب لغة العلم، واتخاذ الإنجليزية لغة تعليم فى الكليات العلمية.

١١ ـ المشروعات الكثيرة لدعم تصدير اللغة[٤].

---

(١) كما حدث بالنسبة للغة للألمانية (١٩٣٣ ـ ١٩٤٥) وما يحدث الآن بالنسبة للغة الفرنسية التى وضع لها البرلمان الفرنسى مؤخرا قائمة سوداء من الكلمات التى يحظر استخدامها فى الإعلانات، والمدارس، والحكومة، والمؤسسات.

(٢) سواء الإعلام المكتوب نظرا لتأثير الصحف الكبير على لغة الحياة وقدرتها على ترويج الألفاظ والتراكيب وصور الهجاء المختلفة، أو الإعلام المسموع نظرا لامتداد أثره على المتعلمين والأميين على السواء.

(٣) ويقتضى ذلك البدء بمراحل التعليم الأولى، كما فعلت دول المغرب العربى بتشكيلها لجنة الرصيد اللغوى وإصدارها قائمة «الرصيد اللغوى لدول المغرب». ولكن العمل ـ مع الأسف ـ لم يستمر، ولم يتم تعميمه فى سائر البلدان العربية على الرغم من تشكيل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خمس عشرة لجنة عام ١٩٧٥ لجمع المادة المناسبة لتلاميذ المرحلة الأولى (انظر Towards a Functional Arabic ص ٨٢، ٨٨).

(٤) وعلى سبيل المثال يوجد فى وزارة الخارجية الألمانية قسم لتعزيز اللغة الألمانية تصل ميزانيته إلى ٥٠٪ من ميزانية المشروعات الثقافية. وتنفق الحكومة الفرنسية بسخاء على دعم تصدير اللغة الفرنسية، ففى عام ١٩٧٧ كان مجموع ما أنفقته الحكومة لتعزيز اللغة الفرنسية نحوا من ٣٠ مليار فرنك، وقد أنشئت حركة الفرانكفونية عام ١٩٨٦ تحت قيادة الرئيس متران نفسه. وتبلغ ميزانية المركز الثقافى البريطانى أكثر من ٢٠٠ مليون جنيه سنويا تنفق لدعم اللغة الإنجليزية ونشرها خارجيا. كما توجد مشروعات تخطيطية أخرى فى كل من الولايات المتحدة واليابان، وبلجيكا، وكندا، وروسيا، وأسبانيا لدعم لغتها وتصديرها (انظر Language and Economy ص ١١١ ـ ١١٣).

ويشترط العلماء لنجاح التخطيط اللغوى ما يأتى:

١ ــ حصر المشكلات اللغوية المراد حلها.

٢ ــ إنشاء مؤسسات وهيئات أكاديمية متخصصة لتولى المشروع، ورسم السياسات.

٣ ــ الجمع بين المشروعات القصيرة المدى التى تهدف إلى تحديث اللغة وترقية مجالات استعمالاتها والمشروعات الطويلة المدى التى تعتمد على المشروعات البحثية الجماعية.

٤ ــ اتخاذ كافة الوسائل الممكنة لتنفيذ هذه السياسات، ليس عن طريق الجبر والقسر، ولكن عن طريق الإقناع، والتوجيه.

ويوجد الآن على المستوى العالمى ما يقرب من ١٥٠ مؤسسة للتخطيط اللغوى تهتم بتتبع وملاحظة التطورات التى تلحق اللغة، والتوظيف الاجتماعى للغة من أجل تطويرها وتطويعها. ومن أهم هذه المؤسسات: الأكاديمية الفرنسية، والعبرية، والأكاديميات العربية فى مصر ودمشق وبغداد وعمان، وفى بلاد أخرى مثل أثيوبيا، وكينيا والسويد، واليابان، وهولندا، وبلجيكا.

وينبعى عدّ المعاهد البحثية والمؤسسات الجامعية المهتمة باللغة من بين مؤسسات التخطيط اللغوى[١] كتلك الموجود فى مصر [٢] ومعاهد علم اللغة التطبيقى[٣].

٢ - الترجمة:

ظهرت أهمية الترجمة فى العصر الحديث باعتبارها وسيلة للتفاهم بين الأمم، وقد انعكست آثار الدراسات اللغوية الحديثة على عملية الترجمة، حتى حولتها إلى علم بالإضافة إلى كونها فنا، بدلا من النظر إليها على أنها مهارة وتدرب وحسن فنى فحسب.

وكان من فضل الدرس اللغوى على الترجمة، أن بين للمترجم بالأمثلة التفصيلية، كيف يجب أن يعالج المفردات ومعانيها من نواحيها المختلفة، وكيف ينبغى أن يحلل الجمل التى يرغب فى ترجمتها، وكيف يصل إلى العلاقات المعنوية المباشرة القائمة بين

(١) انظر صفحات ١٠٦، ١٠٧، ٣١١، ٣٥٧ من Language and Economy .

(٢) مثل المركز القومى للامتحانات والتقويم التربوى، ومركز التقويم والامتحانات، والمركز القومى للبحوث التربوية والتنمية، ومركز تطوير المناهج، ومركز تطوير التعليم الجامعى.

(٣) مثل معهد الخرطوم الدولى للغة العربية.

العناصر الأولية التى تتألف منها الجملة، ثم كيف يستطيع أن يعيد تركيبها بالشكل أو الأشكال المسموح بها، فى اللغة الأخرى بحيث يحافظ على دقة المعنى، وعلى الخلفية الحضارية للغة. ويبين الدكتور فوزى عطية فى كتابه «علم الترجمة: مدخل لغوى» فضل الدراسات اللغوية على الترجمة فيقول: «ولقد دخلت الدراسات اللغوية بظاهرة الترجمة، إلى حيز تحليل وتعميم الاستنتاجات المستخلصة من واقع الممارسة العملية، وأسهمت معها، فى وضع ضوابط العلاقات المتبادلة، بين اللغات، وفى الكشف عن عناصر الاختلاف والتطابق بين سبل التعبير فى اللغات المختلفة»[1]. كما امتد تأثير الدراسات اللغوية إلى تحديد نوعيات الترجمة وأهدافها، فى ضوء تنوع عمليات الاتصال اللغوى، والإمكانات الوظيفية للغات. ولقد تفاعلت الترجمة مع علوم اللغة المختلفة فنراها ترتبط بعلم اللغة العام، وبعلوم الألفاظ والمعانى والنحو، والصرف، والأسلوب، وعلمى الاجتماع، والنفس اللغويين ومن ناحية أخرى باتت الترجمة مصدراً هاما من مصادر الدراسات اللغوية فى مجال الدراسات المقارنة، وازدواجية اللغة، وطرق تدريس اللغات.

وقد حدث تطور هائل فى مجال الترجمة بدءا من الخمسينيات حينما استخدم الحاسوب فى عمليات الترجمة فيما سمى بالترجمة الآلية Nachine Translation، وكانت المحاولة الأولى مجرد وضع كلمة مكان كلمة فى نص عن طريق الترجمة الحرفية، ولم يكن هناك اهتمام بمراعاة التركيب اللغوى للنص، ولذا كان الناتج ترجمة غير دقيقة إلى حد كبير.

ثم فى أوائل الستينيات ـ وبمساعدة النحو التوليدى ـ أمكن وضع أنظمة قادرة على التحليل التركيبى. وسمحت معظم الأنظمة آنئذ للترجمة أن تتابع تركيب النص الأصلى مع تغيير ما يجب تغييره فقط.

ومع منتصف الستينيات أعطت الترجمة الآلية أهمية كبرى لجانب المعنى، ولذا دأب العلماء على البحث عن وسيلة لإزالة الغموض فى بعض الكلمات والعبارات عن طريق تزويد الحاسوب بالاحتمالات الممكنة[2] وقيامه باختيار المعنى الملائم منها[3]. كما بحث

---

(١) ص ٦٨.

(٢) فى حين أن المترجم البشرى قد لا يعتبر جملة مثل: He went to the bank to get some money محتملة الإشارة إلى شاطىء النهر، فهذه الجملة غامضة بالنسبة لنظام الحاسوب.

(٣) وحملت الأساليب المستخدمة لحل هذه المشكلة اسم (العلاقات الدلالية وقيود الاختيار semantic markers and selectional restrictions.

العلماء عن وسيلة ليتمكن الحاسوب من التعامل مع اللغات المختلفة التراكيب مثل الإنجليزية واليابانية.

وإذا كانت الترجمة الآلية لم تثبت جدارتها الكاملة حتى الآن وبخاصة فى اللغة الأدبية واللغة العامة فقد أثبتت جدارتها فى ترجمة مصطلحات العلوم، وتم تسويق كثير من برامج الترجمة قامت بها شركات عالمية مثل شركة سيمونس التى قدمت عام ١٩٨٨ برنامجا للترجمة بين اللغتين الإنجليزية والألمانية يقوم على مفردات أساسية تصل إلى أكثر من عشرة آلاف كلمة، ومجموعة من القواعد النحوية والتركيبية تصل إلى ٥٠٠ قاعدة. وقامت شركة IBM بدراسات أنتجت برامج تساعد المستخدم فى استرجاع الكلمات من عدة معاجم. وفى جميع الحالات يحتاج النص بعد الترجمة الآلية إلى مراجعة وتحرير، وهو ما يسمى فى مصطلح المشتغلين بالترجمة الآلية Post - editing[(١)].

وبالنسبة للغة العربية ينبغى أن يأخذ أهلها الدرس من مبادئ غاندى التى كانت تعطى أهمية عظمى لقضية اللغة الوطنية، وتنظر إليها باعتبارها رمزا سياسيا. وكان مما أعلنه غاندى عام ١٩٢٠ أن الأمة قد عانت كثيرا من استخدام اللغة الإنجليزية مما حرم الأجيال من اكتساب الخبرات المتراكمة بلغة وطنية. وضرب غاندى مثلا باليابان التى لا توجد بها لغة أجنبية تحل محل اللغة الوطنية فى البحث والتعليم مما مكنها من تقديم منافس للغربيين بلغتهم اليابانية، وقد تطلب منهم ذلك ترجمة المفيد إلى اللغة الوطنية فحولوا التراث الغربى بذلك إلى تراث وطنى[(٢)]. كما ينبغى أن يأخذوا الدرس من اللغة العبرية التى تكشف إصدارتها من الكتب عن اعتزاز باللغة الوطنية، فمن بين ١١٤٧ عنوانا طبعت عامى ١٩٨٧/٨٦ ظهر ٨٤٪ منها ابتداء باللغة العبرية و ١٦٪ ترجمة إلى اللغة العبرية دون إصدار شيء بلغة أخرى[(٣)].

وقد اعتبر اللغويون الترجمات التى تتم فى أى لغة رصيدا يضاف إلى اللغة المترجم لها، واتخذوا من هذا الرصيد مؤشرا على قيمتها. ويعكس النشاط الترجمى إلى أى لغة مدى

(١) انظر فى كل ما سبق: The Encyclopedia of Langruage and Linguistics مادة machine translation، و Dictionaries ص ٢٩٠، و Language and Economy ص ١٣١، Computational Lexicography, ص ٢٣.

(٢) Language and Economy ص ٤٩، ٥٠.

(٣) السابق ص ٦٩.

ما تملكه هذه اللغة من الرصيد مؤشرا على قيمتها. ويعكس النشاط الترجمى إلى أى لغة مدى ما تملكه هذه اللغة من إمكانيات وما يملكه أهلها من وعى ثقافى ووطنى. ومرة ثانية نضرب المثل من اللغة اليابانية، فبين عامى ٨٤ و ١٩٨٨ ترجم أكثر من ٢٢,٠٠٠ كتاب إلى اللغة اليابانية. ويتضاعف الرقم إذا أخذنا فى الاعتبار الأبحاث والمقالات كذلك[١].

ثالثا: مركز اللغويات التطبيقية:

إن نقطة البدء للخروج باللغة العربية المعاصرة من أزمتها الحالية هى إنشاء مركز للغويات التطبيقية توكل إليه ثلاث مهمات رئيسية هى:

١ ـ التخطيط ورسم السياسات اللازمة للنهوض باللغة العربية.

٢ ـ التنسيق بين الجهات البحثية والتعليمية المهتمة باللغة بالعربية، وتوزيع المسئوليات عليها.

٣ ـ البحث غير التقليدى والمؤسس على أحدث النظريات اللغوية والاستفادة من الإنجازات الهائلة التى حققها علم اللغة التطبيقى.

وينبغى أن يقوم المركز على أساسين اثنين هما:

١ ـ توفير التجهيزات العلمية والتعليمية اللازمة مثل الحواسيب، والماسحات الضوئية، والمختبرات والمعامل اللغوية والصوتية.

٢ ـ توفير الكفاءات والخبرات اللازمة فى مجالات علم اللغة التطبيقى التى سبق أن أشرنا إليها بالإضافة إلى علم اللغة النظرى، وعلم اللغة النفسى، والاجتماعى، وطرق تدريس اللغات الوطنية والأجنبية.

وفى تصورى أن توفير التجهيزات المادية أيسر بكثير من توفير الكفاءات البشرية فكثير من هذه التجهيزات موجود فى مصر، ولكنه موزع بين مؤسسات مختلفة مثل مجمع اللغة العربية، ومعهد الإحصاء والمركز القومى للبحوث، وكلية الحاسبات بالإضافة إلى المؤسسات الخاصة الموجودة بمصر أو خارج مصر والتى سيكون لها دور كبير فى إنجاح مهمة المركز.

---

(١) السابق ص ٧٧.

وفى تصورى كذلك أن دور النشر الكبرى فى مصر يمكن أن تساهم بجزء من رأس المال، وبجزء من الخبرة التى تملكها[1]، وسيكون العائد عليها ضخما حين تتوالى الإصدارات، وتنشر البحوث، وتطبع الكتب والمعاجم التى ينجزها المركز[2].

كما يمكن اللجوء لتدعيم رأس المال إلى عدد من المؤسسات والهيئات العربية والعالمية التى تدعم البحوث، ولا تنتظر الربح مثل مؤسسة الكويت للتقدم العلمى بالكويت، والصندوق العربى للإنماء الاقتصادى والاجتماعى، ومؤسسة فولبرايت وغيرها. بل من الممكن أن يطرح مشروع المركز كمشروع قومى وإنجاز إسلامى يخدم لغة القرآن والدين، ويجمع له التبرعات والإسهامات من الهيئات الخيرية ومؤسسات الزكاة فى العالمين العربى والإسلامى.

وسيكون من المهمات ذات الأولوية العاجلة التى يقوم بها المركز ما يأتى:

١ ـ إعداد قاعدة البيانات الشاملة لمادة اللغة العربية بالطريقة التى سبق أن تحدثنا عنها، وإنجاز المشروعات اللغوية المستخلصة من هذه القاعدة التى سبق أن أشرنا إلى أهمها.

٢ ـ تقييم برامج اللغة العربية فى جميع مراحل التعلم بما فى ذلك التعليم الجامعى.

٣ ـ العمل على توحيد وتطوير المناهج بين المعاهد والكليات والأقسام التى تتولى تخريج مدرسى اللغة العربية.

٤ ـ إعداد دورات وبرامج تدريبية للقائمين بالتدريس حاليا لتزويدهم بالمعارف الضرورية والوسائل التى تعين فى دروس اللغة وتخرجها من إطارها النظرى إلى جانبها الوظيفى والعملى.

٥ ـ إنشاء لجان بحثية يتولى كل منها التركيز على جانب أو أكثر من جوانب علم اللغة التطبيقى التى سبق أن أشرنا إليها.

٦ ـ إصدار مجلة متخصصة فى علم اللغة التطبيقى.

---

(١) مثل مؤسسة الأهرام، والهيئة العامة للكتاب، ودار الشروق. كما يمكن الاستعانة بدور النشر الأخرى فى العالم العربى مثل مكتبة لبنان، ودار العلم للملايين.

(٢) بيع ـ على سبيل المثال ـ من الطبعة الثامنة من معجم Webster's Collegiate Dictionary أحد عشر مليون نسخة خلال عشر سنوات (انظر مقدمة الطبعة التاسعة من المعجم).

٧ – اقتراح إدخال موضوعات أو مقررات جامعية جديدة للمتخصصين في دراسة اللغة العربية مثل: نظريات تعلم اللغة واكتسابها، ونظريات الاستعمال اللغوى ومستوياته فى الإطار الاجتماعى، والدراسات التقابلية، وإعداد المادة التعليمية، وتصميم الاختبارات، وطرق التقييم والقياس اللغويين، والتكنولوجيا الممكن استخدامها فى تعليم اللغات، وعلم اللغة النفسى، والتراكيب اللغوية الحديثة.. وغيرها.

٨ – التنسيق بين هذا المركز ومراكز البحث اللغوى الأخرى وبخاصة:

(أ) مجمع اللغة العربية الذى ستناط به أعمال أكاديمية محددة مثل إعداد المصطلح وتصنيف المعاجم التخصصية، وتزويد المعجم تزويدا شبه يومى بألفاظ الحضارة.

(ب) الكليات التى تهتم بدراسة اللغة العربية وتدريسها لتوجيه الرسائل التى يقدمها طلاب الدراسات العليا إلى الدراسات اللغوية الوظيفية والتطبيقية ضمن خطة مرسومة.

(٩) الاهتمام بميدان تعليم اللغة العربية للأجانب، والاستفادة من الجهود التى تمت خارج مصر أو العالم العربى مثل جهود جامعة هارفارد فى تخزين قواعد اللغة العربية فى ذاكرة الحاسوب، واستخدامه فى تدريب الطلاب وتصميم اختباراتهم وتصحيحها، وجهود جامعة متشجان (دائرة دراسات الشرق الأدنى بها) فى إحصاء التراكيب النحوية المستعملة فى الكتابات الأدبية النثرية، والتوصل عن طريق الحاسوب إلى معرفة المفردات الأكثر شيوعا فى اللغة العربية المعاصرة، ومدى استعمال المفردات والتراكيب الأجنبية فيها.

١٠– متابعة اللغة المستعملة فى أجهزة الإعلام لتصحيحها أو تفصيحها لما للغة الإعلام من قوة تأثيرية على الجماهير، وكذلك البحث عن مقابلات عربية للألفاظ الأجنبية الشائعة أو التصرف فى بنيتها من أجل تعريبها.

١١– إصدار التوصيات الضرورية (التى ينبغى أن تكون لها صفة الإلزام أحيانا) فى القضايا اللغوية ذات التأثير الجماهيرى من مثل:

(أ) الدعوة إلى استخدام اللغة العربية فى أسماء الشركات والمحلات والمؤسسات.

(ب) الدعوة إلى استخدام أساتذة اللغة العربية فى دروسهم وحوارهم مع الطلاب اللغة العربية الفصيحة لننتقل من هذا إلى الدعوة إلى استخدامها فى باقى المواد.

(ج) الدعوة إلى الاهتمام بالتدريب اللغوى واستخدام المختبرات اللغوية فى التدريب.

(د) تغليب الجانب الوظيفى فى دروس النحو والبلاغة والنقد والأدب والمطالبة بساعات إضافية لها دون التركيز على المطالبة بزيادة درجاتها.

(هـ) تجربة طرق جديدة لتدريس النحو العربى والتدريب عليه مثل طريقة التعليم المبرمج، ومثل طريقة تعليم التراكيب اللغوية من خلال النماذج لا القواعد، ومثل طريقة تحليل الأخطاء باستخدام المنهج التقابلى الذى يكشف كثيرا من صور الانحرافات اللغوية وصعوبات التعلم.

إنه لابد لنا لكى ننقذ اللغة العربية من كبوتها ـ لابد لنا من ثورة فى طرق تدريس اللغة العربية ودراستها، ثورة تخرج على كل القيم والأساليب المتبعة فى تعليمها وتعلمها بعد أن ثبت فشلها الذريع وانتهت بنا إلى الحال المزرية التى صرنا إليها.

لقد قيل فى الماضى إن شمس العرب قد سطعت على أوربا. وأخشى ما أخشاه أن ينقلب الوضع ـ حتى فيما يمس أخص خصائصنا وهو اللغة ـ فتشرق شمس اللغة علينا من الغرب (أو من الشرق)، ونقف مبهورين أمام ما تبدعه عقول الآخرين لنا. ودعونا نأمل ـ رغم كثافة الظلام ـ فى غد مشرق، ونتطلع ـ رغم كآبة الصورة ـ إلى مستقبل أفضل يفك عن لغتنا الحصار، ويطلقها من عقالها لتجتاز الصعاب، وتنتصر فى معركة الحضارة.

مراجع الفصل

أولا: المراجع العربية:

١ ـ صحيفة الأهرام:

* اللغة العربية والوعى القومى ـ يحيى الرخاوى (١٩/٤/١٩٩٦).

* المقالة الأسبوعية ـ أحمد عبد المعطى حجازى (١٢/٦/١٩٩٦).

* المقالة الأسبوعية ـ أحمد هيكل (١/٥ ـ ٦/٦/١٩٩٦).

٢ ـ علم الترجمة: مدخل لغوى ـ فوزى عطيه محمد ـ دار الثقافة الجديدة ١٩٨٦.

٣ ـ مقدمة ابن خلدون ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة.

ثانيا: المراجع الانجليزية:

1 - Annual Review of Applied Linguistics (1980 - 1995), Cambridge University Press.

2 - Applied Linguistics, Vols. 1-13, Oxford University.

3 - Arabic Lexicography, J.A. Haywood, Leiden, 1960.

4 - The Changing Face of Modern Written Arabic, Adrian Gully, in Al-Arabiyya, Vol. 26, 1993.

5 - Collins Cobuild Dicitionary of Phrasal Verbs, Harper Collins Publishers, 1995.

6 - Collins Cobuild English Language Dictionary, Harper Collins Pulishers, 1993.

7 - Collins Cobuild Essential English Dictionary, Collins Publishers, 1990.

8 - Computational Lexicography, ed.by Bran Boguraev and Ted Briscoe, Longman, 1989.

9 - Dictionaries The Art and Craft of Lexicography, Sideney Landau, U.S.A, 1996.

10- The Edinburgh Course in Applied Linguistics, ed. by JP. Allen and S.Pit Corder, Vol. 3, London- Oxford ,1974.

11- The Encyclopedia of Language and Linguistiscs, ed. by R.EAsher, Vols.

1-10, Pergamon Press 1994.

12- Language and Economy, Florian Coulmas, 1992.

13- The Language Instinct, Steven Pinker, Penguin Books, 1995.

14- Lexicomputing and The Dictionary of the Future, W. Steven Dodd, University of Exeter.

15- Linguistic Bibliography for the Year 1993, the Permanent International Committe of Linguistics.

16- The Revival of Hebrew and Language Planning, Menachem Dagut, in Language Standards and their codification, Vol. 9, University of Exeter, 1985.

17- Towards a Functional Arabic, Youssef Mahmoud, in AL- Arabiyya, Vol. 15.1982.

18 - Webster's Ninth New Collegiate Dicitionary, 1991.

أساس الحكم على كلمة ما بالخطأ أو الصواب

تنقسم مادة اللغة العربية إلى نوعين:

١- نوع يخضع لقاعدة عامة تجمع الأشباه، وتضم النظائر، وتربط الجميع بخيط واحد. وهذه يحتكم فيها إلى كتب القواعد النحوية والصرفية.

٢- ونوع لا توجد فيه صلة بينه وبين غيره، ولذا فهو لا يخضع لقاعدة ولا مجال للاحتكام فيه إلى كتب النحو والصرف، وإنما يكون الاحتكام فيه إلى السماع من العرب وإلى المعاجم اللغوية.

فمثال النوع الأول الذى يحتكم فيه إلى قاعدة نحوية أو صرفية: رفع الفاعل ونصب المفعول به، وتعدية الفعل اللازم بالهمزة، وجمع المفرد بشروط معينة جمع مذكر سالماً أو جمع مؤنث سالماً أو جمع تكسير، واشتقاق اسم الفاعل، واسم المفعول.. وغير ذلك.

ومثال النوع الثانى ضبط عين الفعل الثلاثى المجرد بالشكل، فالفعل نضج مضارعه «ينضج» بفتح الضاد، والفعل «رأس» مضارعه «يرأس» بفتح الهمزة وليس يرئس بكسرها كما ينطق الكثيرون. ومثاله كذلك مجئ بعض الأفعال متعدياً بنفسه بدون الهمزة وبعضها متعدياً بالهمزة، فالفعل «حنى» يأتى متعدياً بنفسه، ولذا لا معنى لإدخال الهمزة عليه والقول «أحنى رأسه» والفعل «بهر» يأتى كذلك متعدياً بنفسه، ولذا لا معنى لتعديته بالهمزة وأخذ اسم الفاعل منه والقول: «الضوء المبهر» ومثله أن تقول: شئ ملفت للنظر، وإنما هو «لافت للنظر»، من الفعل «لفت» وليس ألفت وهكذا.

ويسمى اللغويون النوع الأول مقيساً، والثانى مسموعا. ومعنى هذه التفرقة ــ رغم

استناد النوعين إلى سماع عربى صحيح ـ أن النوع الأول يمكن أن يستخدم فيه المرء القياس دون حاجة إلى تتبع كلام العرب، أما النوع الثانى فلا يصح فيه القياس، إذ لابد فى كل مثال منه من الرجوع إلى كلام العرب وإلى إثبات ورود الاستعمال أو عدم وروده فى كلامهم.

والسماع العربى الصحيح الذى أشرنا إليه يعتمد على خمسة أمور هى:

أولاً : القرآن الكريم. وقد اعتبره اللغويون فى أعلى درجات الفصاحة، وخير ممثل للغة الأدبية، ولذا وقفوا منه موقفاً موحداً فاستشهدوا به، وقبلوا كل ما جاء فيه. والمراد بالقرآن: النص القرآنى المدون فى المصحف بالأحرف السبعة المشهورة، والمنقول إلينا نقلاً متواتراً.

ثانياً: القراءات القرآنية. وهى الوجوه المختلفة التى سمح النبى بقراءة المصحف بها قصداً للتيسير والتى جاءت وفقاً للهجة من اللهجات العربية. يقول ابن الجزرى فى كتابه النشر: كانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى يعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها، أو من حرف إلى حرف آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج لاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتاباً. كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم حين أتاه جبريل فقال له: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف فقال صلى الله عليه وسلم أسأل الله معافاته ومعونته إن أمتى لا تطيق ذلك. ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف. فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع». ويقول ابن قتيبة فى كتاب تأويل مشكل القرآن: «فكان تيسير الله تعالى أن أمر نبيه بأن يقرئ كل أمة بلغتهم وما جرت عليه عاداتهم، فالهذلى يقرأ عتى حين والأسدى تِعلمون...».

ثالثاً: وثالث ما يعتمد عليه لإثبات السماع: الحديث النبوى الشريف، لأن الرسول أفصح من نطق بالضاد، كما يقول الأثر المشهور، وللأسباب الآتية:

١ ــ أن الأحاديث أصح سنداً من كثير مما ينقل من أشعار العرب. ولهذا قال صاحب المصباح المنير بعد أن استشهد بحديث «فأثنوا عليه شرا»[١] على صحة إطلاق الثناء على

(١) ورد الحديث فى الصحيحين ونصه: (مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال عليه الصلاة والسلام وجبت. ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا فقال عليه الصلاة والسام وجبت..).

الذكر بشر ــ قال: «قد نقل هذا العدل الضابط عن العدل الضابط عن العرب الفصحاء عن أفصح العرب، فكان أوثق من نقل أهل اللغة، فإنهم يكتفون بالنقل عن واحد ولا يعرف حاله».

٢– أن من المحدثين من ذهب إلى «أنه لا تجوز الرواية بالمعنى إلا لمن أحاط بجميع دقائق اللغة، وكانت جميع المحسنات الفائقة بأقسامها على ذكر منه فيراعيها فى نظم كلامه. وإلا فلا يجوز له روايته بالمعنى». على أن المجوزين للرواية بالمعنى معترفون بأن الرواية باللفظ هى الأولى، ولم يجيزوا النقل بالمعنى إلا فيما لم يدون فى الكتب، وفى حالة الضرورة فقط. وقد ثبت أن كثيراً من الرواة فى الصدر الأول كانت لهم كتب يرجعون إليها عند الرواية. ولاشك أن كتابة الحديث تساعد على روايته بلفظه وحفظه عن ظهر قلب مما يبعده عن أن يدخله غلط أو تصحيف.

٣– أن كثيراً من الأحاديث دوّن فى الصدر الأول قبل فساد اللغة على أيدى رجال يحتج بأقوالهم فى اللغة. فالتبديل على فرض ثبوته إنما كان ممن يسوغ الاحتجاج بكلامه. فغايته تبديل لفظ يصح الاحتجاج به بلفظ كذلك.

٤– أن هناك أحاديث عرف اعتناء ناقلها بلفظها لمقصود خاص كالأحاديث التى قصد بها بيان فصاحته صلى الله عليه وسلم ككتابه لهمدان، وكتابه لوائل بن حجر، والأمثال النبوية.

٥– وإذا كان قد وقع فى رواية بعض الأحاديث غلط أو تصحيف فإن هذا لا يقتضى ترك الاحتجاج بها جملة، وإنما غايته ترك الاحتجاج بهذه الأحاديث فقط، وحمله على قلة ضبط أحد الرواة فى هذه الألفاظ خاصة. وقد وقع فى الأشعار غلط وتصحيف، ومع ذلك فهى حجة من غير خلاف. وإذا كان العسكرى قد ألف كتاباً فى تصحيف رواة الحديث. فقد ألف كتاباً فيما وقع من أصحاب اللغة والشعر من التصحيف.

رابعاً: ورابع ما يستشهد به الشعر العربى الذى يعد الدعامة الأولى للغويين والنحاة. وقد قسموا الشعراء إلى طبقات أربع هى:

١– الشعراء الجاهليون، وهم قبل الإسلام.

٢– الشعراء المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام.

٣- الشعراء الإسلاميون، وهم الذين كانوا فى صدر الإسلام كجرير والفرزدق، وآخرهم ابن هرمة. قال: الأصمعى: «ختم الشعر بابن هرمة»، وقال أبو عبيدة: «افتتح الشعر بامرئ القيس، وختم بابن هرمة».

٤- المولدون، وهم من بعدهم إلى زماننا هذا كبشار وأبى نواس.

فالطبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما إجماعاً، وإن كان من بينهم بعض شعراء طعن فيهم، كعدى بن زيد، وأبى دؤاد الإيادى. قال الأصمعى: «عدى بن زيد وأبو دؤاد الإيادى لا تروى العرب أشعارهما، لأن ألفاظهما ليست نجدية». وقال المرزبانى: «كان عدى بن زيد يسكن الحيرة، ويراكن الريف فلان لسانه وسهل منطقه».

أما الطبقة الثالثة فالصحيح جواز الاستشهاد بشعرها. وقد كان أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبى إسحق والحسن البصرى وعبد الله بن شبرمة يلحنون الفرزدق والكميت وذا الرمة وأضرابهم.. وكانوا يعدونهم من المولدين. وقد كان الأصمعى ينكر أبرق الرجل وأرعد، فلما احتج عليه ببيت الكميت:

أبـــرق وأرعـــد يـا يزيـــ ـــد فمـا وعيـدك لى بضائـر

لما احتج عليه ببيت الكميت هذا قال: ليس بيت الكميت بحجة، إنما هو مولد.

وقال الأصمعى: «جلست إلى أبى عمرو بن العلاء ثمانى حجج، فما سمعته يحتج ببيت إسلامى».

وبعض اللغويين ـ مثل الزمخشرى ـ يحتج بطبقة المولدين. وقد سئل الزمخشرى كيف يستشهد فى الكشاف بشعر لأبى تمام فرد قائلاً: «أجعل ما ينظمه بمنزلة ما يرويه»، يشير إلى مجموع أبى تمام المعروف باسم ديوان الحماسة، والذى تلقاه العلماء بالقبول والثقة.

خامساً: أما خامس ما يستشهد به فهو النثر العربى سواء جاء فى شكل خطبة أو وصية أو مثل أو حكمة أو نادرة، أو جاء فى شكل نقل عن بعض الأعراب فى حديثهم العادى وكلامهم اليومى.

وقد وضع اللغويون شروطاً تشمل الزمان والمكان بالنسبة لهذا النوع من المادة.

أما من ناحية الزمان، فقد حددوا نهايةالفترة التى يستشهد بها بآخر القرن الثانى

الهجرى بالنسبة لعرب الأمصار وآخر القرن الرابع بالنسبة لعرب البادية، وأما المكان فقد ربطوه بفكرة البداوة والحضارة، فكلما كانت القبيلة بدوية أو أقرب إلى حياة البداوة كانت لغتها أفصح والثقة فيها أكثر. وكلما كانت متحضرة، أو أقرب إلى حياة الحضارة كانت لغتها محل شك ومثار شبهة، ولذلك تجنبوا الأخذ عنها. وفكرتهم فى ذلك أن الانعزال فى كبد الصحراء، وعدم الاتصال بالأجناس الأجنبية يحفظ للغة نقاوتها ويصونها عن أى مؤثر خارجى، وأن الاختلاط يفسد اللغة وينحرف بالألسنة.

ويترخص كثيرمن اللغويين المعاصرين الآن، كما تترخص المجامع اللغوية فى تصحيح بعض الأساليب والتعبيرات الشائعة التى كان ينكرها الأقدمون أو التى لم تسجلها المعاجم اللغوية، وذلك بعد تخريجها أو تفسيرها على وجه من الوجوه يصححها ويرد لها وجهها العربى. وستأتى أمثلة كثيرة لذلك فى الباب الرابع من هذا الكتاب.

القيمة اللغوية للقراءات القرآنية

لا يغيبن عن البال أن القراءات القرآنية تعد كنزا لغويا أو أدبيا لم يكتشف بعد، وأنها بما أثارته من حوار وجدل قد أخصبت التفكير اللغوى العربى، وشحذت الهمم والعقول لمناقشتها وتحليلها والحكم عليها.

وهى بالإضافة إلى هذا وذاك يمكن أن تزود اللغوى - فى فهمه وتحليله للغة العربية الفصحى ولهجاتها - بمعين لا ينضب وزاد لا ينفد. وأستطيع أن أضرب عشرات الأمثلة للأهمية اللغوية للقراءات وإن كان المجال لا يسمح بذلك. ولهذا فسأقتصر على بعض الأمثلة التى بدت لى أكثر أهمية من غيرها:

أولا: لا ينكر أحد أن القراءات القرآنية وطرق التلاوة للنص القرآنى تعد المثال الحى الوحيد لكيفية نطق الفصحى قديما وحديثا. وكثيرا ما نحتاج عند وصف صوت من الأصوات أو ظاهرة صوتية معينة إلى الاستهداء بنطق المجيدين من قراء القرآن. أما باقى المصادر اللغوية فقد وردتنا مكتوبة لا منطوقة، وكثيرا ما أوقعت طريقة الكتابة العربية فى التصحيف والتحريف.

ثانياً: أن بعض القراءات قد يوضح المراد من الآية ويلقى الضوء على معناها. ومن ذلك قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**﴾. وقد جاءت قراءة ابن مسعود لتحديد اليد التى يُبدأ بقطعها وهى «**فاقطعوا أيمانهما**». ومنه قوله تعالى فى نفس السورة: ﴿**فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام**﴾ وقد قرأ أبىّ وابن مسعود وغيرهما: فصيام ثلاثة أيام متتابعات، فدلت القراءة على شرط التتابع. كما أن اختلاف القراءة قد يؤدى إلى

اختلاف الحكم الفقهي. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين**﴾. فقراءة حفص المثبتة في نص المصحف بنصب «أرجلكم» عطفا على الوجوه والأيدى. وبذلك تكون الأرجل داخلة في الأعضاء المغسولة. أما قراءة ابن كثير وأبى عمرو وحمزة وغيرهم فكانت بكسر «أرجلكم» بالعطف على الرءوس، فتكون الأرجل داخلة في المسح مع الرأس. وقد قال الفقهاء إن القرآن قد نزل بالمسح على الرأس والرجل أولا، ثم عادت السنة إلى الغسل.

ثالثا: كثير من القراءات يكمّل بعضه بعضا أو يفسّر بعضه بعضا. فكما أن القرآن يفسر بعضه بعضا فكذلك القرءات يفسر بعضها بعضا ويفسر بعضها بعض القرآن. وأضرب على ذلك الأمثلة القليلة الآتية:

أ - يقول تعالى: ﴿**هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات. فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله. وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا**﴾.

فقد اختلف المفسرون فى معنى الآية، فمنهم من قال: إن الذى يعلم تأويله: الله والراسخون فى العلم، وبذلك عطفوا الراسخون فى العلم على لفظ الجلالة.

ومنهم من قال: إن الذى يعلم تأويله هو الله فقط،ثم استأنف قائلا: والراسخون فى العلم يقولون آمنا به.

والرأى الثانى أرجح وأوضح، ولهذا جاءت قراءة أبيّ وابن عباس: وما يعلم تأويله إلا الله. ويقول الراسخون فى العلم.. جاءت قراءتهم قاطعة بأن المراد هو المعنى الثانى لا الأول.

ب - يقول تعالى متحدثا عن فئة من اليهود: ﴿**ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا. ليًا بألسنتهم وطعنا فى الدين**﴾ فكانوا يسكتون على «راعنا» لتوهم أنهم يريدون «الرعاية» مع أن قصدهم «الرعونة». ولذا جاءت قراءة الحسن وابن محيصن كاشفة نية اليهود حينما نونت كلمة «راعنًا». وهذا واضح من قول بقية الآية: «**ليًا بألسنتهم وطعنا فى الدين**».

جـ - قال تعالى: ﴿وما كان لنبى أن يَغُلّ﴾ وهناك قراءة: ﴿وما كان لنبى أن يُغَلّ﴾. فمعنى الأولى: أن يخون أصحابه بأخذ شئ من الغنائم خفية. ومعنى الثانية: أن يُخوَّن. وقد جاء فى الأثر أن أحد المنافقين قال يوم بدر حين فقدت قطيفة حمراء من الغنيمة: خاننا مُحَمَّد وغلّنا، فأكذبه الله عز وجل. ولا شك أن القراءتين يكمل بعضهما بعضا.

د - ومثال أخير من سورة يوسف فى قوله تعالى: **﴿قالوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا﴾**. وحيث لم يكن الأخ سارقا حقيقة، وإنما كان متهما بالسرقة، جاءت القراءة التالية لتدل على هذا المعنى، وهى: **﴿قالوا يا أبانا إن ابنك سُرِّق﴾**.

رابعا: تشتمل القراءات على شواهد لغوية سكتت المعاجم عن إثباتها. ويحضرنى من هذا النوع قوله تعالى: **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾**. ولكن الشائع بيننا الآن وبخاصة فى مراسلاتنا ومكاتباتنا استخدام كلمة «التقدير» بمعنى التعظيم والاحترام وقد جاءت القراءة القرآنية بالتشديد مصححة لهذا الاستعمال، جاء فى الكشاف: «وقرئ بالتشديد على معنى: وما عظموه كنه تعظيمه». ولم يرد هذا الاستعمال فى المعاجم.

خامسا: يمكن اتخاذ القراءات القرآنية مرتكزا لتحقيق التيسير ودليلا لتصحيح كثير من العبارات والاستعمالات الشائعة الآن، والتى يتحرج المتشددون عن استعمالها. وأضرب على ذلك الأمثلة الآتية:

أ - يكثر فى الاستعمال الحديث ضبط الفعل «تَوَفَّى» مبنيا للمعلوم فى مثل قولهم: «تَوَفَّى فلان» إذا مات. وعلى الرغم من أن الاستعمال الفصيح هو «تُوُفِّى» بالبناء للمجهول، فقد جاءت القراءة القرآنية مصححة النطق الحديث، وذلك فى قوله تعالى: **﴿ومنكم من يُتَوَفَّى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾**، فقد قرأ الأعمش وغيره: «ومنكم من يَتَوَفَّى» - بالبناء للمعلوم. قال النحاس فى إعراب القرآن وأبو حيان فى البحر المحيط: أى يستوفى أجله.

ب - نحن نقول الآن: «أُمْسِيَّة جميلة»، «أُمْسِيَّة ثقافية». ويتشدد بعض المحدثين فيضع شدّة على الياء لتكون «أُمسِيّة». ولكننا نجد فى بعض القراءات ما يصحح هذا النطق على أساس من التخفيف، ومن ذلك:

* قوله تعالى: ﴿تلك أمانِيُّهُمْ﴾ الذى قرأه أبو جعفر والحسن أمانِيهِم.

* قوله تعالى: ﴿ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتاب﴾ الذى قرأه أبو جعفر والحسن: ليس بأمانيكم ولا أمانِى أهل الكتاب.

* قوله تعالى: ﴿إلا إذا تمنّى ألقى الشيطان فى أمنيّته﴾ الذى قرأه أبو جعفر كذلك: فى أمنيَتِه.

فهل بعد هذا نتحرج من أن نقول: أُمْسِيَة وأُمْنِيَة وأُضْحِيَة وأُغْنِيَة ونحوها؟

جـ ـ يشيع فى الاستعمال الحديث استعمال «كلا» مع المثنى المؤنث المجازى التأنيث فنقول كلا الدولتين، وكلا الصحيفتين.. ونحو ذلك. وقد جاءت القراءة القرآنية لتصحح هذا الاستعمال وذلك فى قوله تعالى: ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾، فقد قرأها ابن مسعود: كلا الجنتين آتت أكلها. قال فى البحر: أتى بصيغة التذكير لأن تأنيث الجنتين مجازىّ.

د – ونحن نستعمل الآن الفعل هرَع ويهرَع مبنيا للمعلوم، فنقول: هرَعت سيارات الإسعاف، هرَع رجال الشرطة.. والمذكور فى المعاجم وفى كتب الصرف ملازمة الفعل للبناء للمجهول. ولكنّ من القراء من قرأ فى قوله تعالى: وجاءه قومه يُهرعون إليه: وجاءه قومه يَهْرَعون إليه، كما ذكر أبو حيان فى البحر المحيط.

هـ ـ تذكر كتب النحو أن من مواضع وجوب الكسر لهمزة «إن» وقوعَها مفعولا للقول. ولكنّ كثيرا من المتحدثين يفتحونها. وقد كنت حينا من الدهر أفكّر فى وسيلة لتصحيح ذلك حتى انتهيت إلى تخريجه على تقدير حرف الجر، وحذف حرف الجر قياسىّ مع «أن». وظللت مترددا فى إعلان هذا الرأى حتى وقعت على القراءات القرآنية الآتية:

* إذ قالت الملائكةُ يامريمُ أنّ الله يبشّرُكِ بكلمةٍ منه.

* ولئن قُلْتَ أنّكم مبعوثون من بعد الموت. قال فى البحر لأن «قلت» فى معنى «ذكرت».

و ـ يمثل باب العدد مشكلة كبيرة للمتعلم العربىّ، فتارة يخالف وتارة يطابق، وغير ذلك. وتزداد المشكلة بالنسبة للعدد من ثلاثة إلى عشرة لأن تمييزه جمع، ولابد من رد الجمع إلى المفرد للحكم بتذكير التمييز أو تأنيثه. ومعنى هذا أن من يريد أن يقول ٣ اختبارات أو ٣ دول لابد أن يقوم بثلاث خطوات ليضع العدد فى صورته الصحيحة: رد الجمع إلى المفرد / الحكم عليه بالتذكير أو التأنيث / مخالفة العدد للمعدود. ألا يحل

المشكلة أن ننصح المتعلم بأن يقدم المعدود ويؤخر العدد وحينئذ تجوز له المطابقة لأنه نعت، وتجوز المخالفة لأنه عدد؟

وقد جاء المَخْرَج في قوله تعالى: وكنتم أزواجا ثلاثة، فقد قرئ كذلك: وكنتم أزواجا ثلاثا، كما ذكر ابن خالويه في مختصر البديع.

سادسا: من الممكن ضم القراءات القرآنية إلى النص المصحفى وإعادة الدراسة لبعض الأبواب الصرفية المعقدة أو التى تتسم بالاضطراب والفوضى، وذلك فى محاولة للخروج بقاعدة عامة تزيل الاضطراب، أو تبنى رأى قد يكون مرجوحا لكنه يزيل حرجا ويصحح خطأ.

وأضرب مثالين لتوضيح ما أقول:

أ – تشكل عين الفعل الثلاثى المجرد عبئا كبيرا على كاهل المتحدثين، وتتوزع أبواب هذا الفعل بين الكسر والفتح والضم فى كل من الماضى والمضارع دون ضابط صارم. وأكثر الأبواب شيوعا فى اللغة العربية ما كان بفتح الماضى مع ضم مضارعه أو كسره (طبقا لقاعدة المخالفة). ولكن المتحدث يقف حائرا – إن لم يرجع إلى المعجم – فى كثير من الأحيان هل مخالفة حركة الماضى فى المضارع تكون إلى الكسر أو الضم؟

ولعلنا نجد فى أمثلة القراءات القرآنية ما يسمح لنا بفتح باب الاختيار فى حركة المخالفة فنكسر أو نضم حسب ما شاع على ألسنة المثقفين وقبله العرف اللغوى الحديث. وقد وردت الأفعال الآتية – وغيرها كثير – بالكسر والضم:

ثم لننسفنه فى اليم نَسْفا.
فكنتم على أعقابكم تنكصون.
ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله.
ويوم يحشر أعداءَ الله إلى النار. (على قراءة البناء للمعلوم).
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما.
فلما أراد أن يبطش بالذى هو عدوّ لهما.
عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة.
ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون.
فمن نكث فإنما ينكث على نفسه.
فسيقولون بل تحسدوننا.

ولا تلمزوا أنفسكم.
سنفرغ لكم أيها الثقلان.

ب – قلّ من المتحدثين من يلاحظ فتح ما قبل واو الجماعة وياء المخاطبة إذا كان الفعل منتهيا بألف مثل: أنتم تسعون إلى ما فيه مصلحة عامة/ أنت تسعين إلى ما فيه خير الوطن. والشائع بيننا الآن ضم ما قبل الواو وكسر ما قبل الياء طردا للباب على وتيرة واحدة وتأثرا بما يحدث مع الأفعال المنتهية بواو أو ياء.

ألا نستأنس بما ورد فى بعض القراءات القرآنية فنرفع الحرج عن نفوس المتحدثين ونجيز ما أجازوه هم بالفعل لأنفسهم؟

لقد قرأ الحسن: فقل تعالُوا ندع أبناءنا وأبناءكم (٦١ آل عمران) كما قرأ: وإذا قيل لهم تعالُوا إلى ما أنزل الله (٦١ النساء). وقرأ كثير من القراء: لا تسمعوا لهذا القرآن والغُوا فيه (٢٦ فصلت).

سابعا: بعض القراءات يعد من باب التفسير اللغوى لبعض الألفاظ مما يكون له الأفضلية على غيره من التفسيرات، أو يلقى ضوءا على المعنى المراد من اللفظ، ومن ذلك:

* تكاد السموات يتفطرن منه – قرأها ابن مسعود: يتصدعن منه.
* إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم – قرأها أبىّ وعلىّ وعائشة وغيرهم: حطب جهنم.
* حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها – قرأها أبىّ وابن عباس: حتى تستأذنوا.
* كالعهن المنفوش – قرأها ابن مسعود: كالصوف المنفوش.

ثامنا: تسجل القراءات كثيرا من اللهجات العربية التى جاءت وفقالها. ولهذا فهى مجال خصب لمن يريد دراسة اللهجات العربية القديمة والحديثة. ويمكننا تلمس كثير من صور النطق الحديث فى هذه القراءات مثل:

أ – نطق وزن فُعول بكسر فائه كما فى:
إنك أنت علام الغيوب.
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم.

وليضربن بخمرهن على جيوبهن.
وفجّرنا فيها من العيون.

ب – نطق كلمة أربعين بكسر الباء، كما فى قوله تعالى: وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة.

جـ – نطق كلمة «شجرة» بإبدال الجيم ياء، كما فى قوله تعالى: ولا تقربا هذه الشجرة، التى قرئت: الشِّيَرة.

د – نطق كلمات الثلث والربع والسدس والثمن.. وغيرها من الكسور بسكون الحرف الثانى كما فى النطق الحديث.

هـ – نطق كلمة «الجهاز» بكسر الجيم، كما قرئ فى قوله تعالى: فلما جهّزهم بجَهَازهم.

و – نطق كلمة «الجمعة» بسكون الميم كما قرئ فى قوله تعالى: ﴿من يوم الجُمُعة﴾.

تاسعا: تحوى القراءات القرآنية كثيرا من أحكام الإلقاء والتلاوة كالوقوف على التاء المربوطة، وحذف الحركة أو تسهيلها، وأحكام الوقف والإمالة والإدغام والإبدال والمد والقصر والتفخيم والترقيق وغيرها.

وأخيرا نقول إن كثيرا من القراءات قد يضع علامات استفهام أمام بعض الأحكام والقواعد النحوية السائدة التى تتعلق بباب الممنوع من الصرف وبحذف ألف ما الاستفهامية عند سبقها بحرف جرّ، وبدلالة بعض صيغ الجموع وأنواعها على القلة أو الكثرة، وبجر المنقوص الممنوع من الصرف بفتحة مقدرة، وبهمز عين مفاعل إذا كانت ياء أو واوا، وغير ذلك.

الباب الثانى

كيف نحد من أخطاء المثقفين اللغوية؟

تمهيد

هناك إجتماع بين المعنيين بأمور اللغة العربية على أن اللغة العربية - فى صورتها الفصيحة - تعانى من أزمة خانقة، وتمر بمحنة تزداد سوءاً يوم بعد يوم.

وكثيراً ما طرحت مشكلة اللغة العربية أو مشكلاتها على بساط البحث، وكثيراً ما عقدت المؤتمرات والندوات بحثا عن حلول لها.. ومع هذا لم يبد أى أمل فى الحل، ولم يظهر ولو بصيص من النور يبدد هذا الظلام الدامس. ذلك أن قرارات المؤتمرات، وتوصيات الندوات تظل حبيسة الأدراج، وتبقى حبرا على ورق لاتجد من المسئولين الحماس لتنفيذها، أو اعتماد النفقات اللازمة لتجربتها.

وفى رأيى أننا - بإمكاناتنا الذاتية - نستطيع أن نحد - بدرجة كبيرة - من أخطاء المثقفين اللغوية، وأن نساعد الجاد منهم فى تعلم لغته وإتقانها لو أننا حصرنا المشاكل التى يعانى منها ابن اللغة، وحاولنا أن نضع الحلول لها.

وربما كانت أهم المشاكل ما يأتى:

١ - الاعتماد على الكلمة المطبوعة فى اكتساب اللغة.

٢ - كثرة التفريعات أو القيود فى قواعد اللغة العربية.

٣ - كثرة الشذوذ فى أبواب معينة.

وسنحاول أن نلقى نظرة سريعة على هذه المشاكل فى الفصول التالية:

الفصل الأول

مشكلات الكلمة المطبوعة

مع انتشار الكلمة المطبوعة وكثرة الصحف والمجلات، ومع حلول العين محل الأذن في تعلم اللغة واكتسابها حدثت الكارثة التي تعانى منها اللغة العربية الآن. وسبب الكارثة في انتشار الكلمة المطبوعة أن طريقة الكتابة العربية معيبة لاكتفائها بتمثيل السواكن دون الحركات، مما يجعل القارئ الذي يتلقى الكلمة لأول مرة عن طريق العين يتصرف في كيفية نطقها بالشكل الذي يراه. وتختلف صور التصرف بالطبع من شخص إلى شخص مما أدى إلى نوع من الفوضى في نطق الكلمات العربية لاتكاد تراه في لغة أخرى.

فزعيم كبير يقف في الأمم المتحدة يتحدث عن مدينة القدس قبلة الإسلام والمسلمين فيضم القاف من «قبلة»، ويتحدث عن سماحة الإسلام الذي لايميز بين عرق أو لون فينطق كلمة «عرق» بفتح العين والراء. ومثقف كبير يرأس قسم اللغة العربية في إحدى الجامعات العربية يقف خطيبا في ندوة عامة ويقول: ليس ثمة شك في كذا.. فيضم الثاء من «ثمة». وزميل كريم في قسم اللغة العربية بجامعة الكويت لا ينطق كلمة «يتم» إلا بضم التاء.. وأمثلة أخرى لا حصر لها تصادفنا كل يوم فتؤذى أسماعنا وتجرح مشاعرنا..

ولقد فكرت مرة أن أحصى الأخطاء التي تعود إلى طريقة الكتابة العربية، وأتتبع ما امتلأت به كتب اللغة من تصحيف وتحريف نتيجة هذه الطريقة، ثم فكرت أن أبدأ بأساتذة قسم اللغة العربية في محاضراتهم واجتماعاتهم – في عدد من الجامعات العربية، ولكننى توقفت عن الفكرة بعد أن هالنى ما تتعرض له هذه اللغة على ألسنة أساتذتها من تشويه وتحريف، وخفت إن استمروت في الدراسة أن أتهم بالتشنيع أو أرمى بالتجريح وأنا منهما براء.

وفي رأيي أن نصف أخطاء المتكلمين باللغة الفصيحة – على الأقل – يمس بنية الكلمة وضبط حروفها الداخلية وليس حروف إعرابها، وبهذا فإن النحو لايحل هذه

المشكلة، ولا يقدر على معالجتها. والحل الوحيد هو فى اكتساب الكملة منذ البداية بنطقها الصحيح لا بنطقها المحرف. وكيف يتم ذلك ووسيلة الاكتساب الأساسية عند الصغار هى العين؟

إن الحل لن يكون إلا بالتزام المطابع بالضبط الكامل بالشكل لجميع الكتب المدرسية ولكتب الصغار ومجلاتهم، ثم السماح بتقليل الشكل بصورة تدريجية بعد هذا حتى يكتفى بضبط الكلمات الغامضة، أو التى يكثر الخطأ فيها فقط.

ومع هذا فإننى أرى أن الاعتماد على طريقة الشكل الحالية فى المطبعة حيث توضع الحركات فوق الحرف أو تحته ليس الطريقة المثلى فى الكتابة. ونحن إن قبلناها الآن فعلى مضض، ولأنها الوسيلة الوحيدة الممكنة فى الوقت الحاضر. ولكننا لابد أن نبحث عن بديل يحتفظ بأشكال الحروف الساكنة كما هى، ويضع الحركات فى صلب الكلمة، على نفس مستوى السطر مع الحروف الساكنة.

إن اللغة العربية تتمتع بميزة قلما توجد – وربما لا توجد – فى غيرها وهى أن كتابتها شبه صوتية أى أنها تكاد تخلو من معظم المآخذ التى توجد فى الأبجديات وطرق الكتابة الأخرى مثل:

١ – التعبير عن الصوت الواحد بأكثر من رمز فى اللغة الإنجليزية كما فى كلمتى as و zoo.

٢ – التعبير عن صوتين برمز واحد فى اللغة الإنجليزية كما فى كلمتى City و Cat.

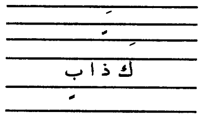
٣ – تمثيل الصوت البسيط بمجموعة رمزية فى اللغة الإنجليزية مثل th.

٤ – عدم تمثيل هجاء الكلمة لنطقها فى كثير من الأحيان وهذا واضح فى اللغة الفرنسية بوجه خاص وشائع فى اللغة الإنجليزية كذلك.

ولكنها من ناحية أخرى تعانى نقصا لاتعانى منه اللغات الأوربية، وهو عدم تمثيل الحركات فى صلب الكلمة، وعدم كتابتها فى معظم حالات المطبعة، وخلو الآلة الكاتبة منها، وعدم التعود على استخدامها فى الكتابة اليدوية، مع أن الحركة من الناحية الصوتية أهم من الصوت الساكن وأكثر بروزا ووضوحا.

ولا أدل على فشل طريقة الضبط الحالية فى صون اللسان عن الخطأ مالاحظته أثناء تدريبى لطلاب الجامعة على قراءة نص مضبوط بالشكل، فقد لاحظت أنهم يخطئون مع وجود الضبط، مما يدل على عدم فاعليته.

والسبب فى هذا واضح وهو أن العين لكى تراعى الشكل لابد أن تصعد وتهبط عدة مرات قد تصل إلى ست فى الكلمة الواحدة. فكلمة كذاب (بالجر) لو ضبطت بالشكل لاحتاجت إلى ستة مستويات من النظر على النحو التالى:



وهذا يستلزم صعود العين وهبوطها بسرعة لا يتمكن من تحقيقها النظر العادى.

لن أقول – كما قال غيرى – إن الحل فى تبنى الحروف اللاتينية، أو فى إدخال تعديلات جذرية على حروف اللغة العربية، لأننى ضد هذ وذاك. فأى إصلاح للحروف العربية يجب أن يتم فى أضيق الحدود، ويجب ألا يبعد كثيراً عن الشكل القديم حتى لا تنقطع صلة القارئ العربى بالتراث العربى والإسلامى.

وينبغى ألا نتخوف من أى تعديل ندخله على طريقة الضبط بالشكل، فقد مرت الحروف العربية بصور من التعديلات والتحسينات فى تاريخها الطويل حتى أخذت صورتها الحالية.

ولعلّى أطمع فى تعديلات تشمل النقاط الآتية:

١ – الرمز للحركات القصيرة (الفتحة والضمة والكسرة) برموز فى صلب الكلمة. وفى هذه الحالة سنلغى السكون، لأن غياب الحركة يعنى سكون الحرف [١].

---

(١) لا خوف من زيادة العبء على الطابع. فقد أمكن بعد محاولات كثيرة اختصار هذه الحروف إلى نحو النصف كما فعل الأستاذ الأخضر الغزال مدير معهد الدراسات والأبحاث التعريب – الرباط. فإضافة الرموز المقترحة لن يسبب إزعاجا أو تكلفة مادية. بالإضافة إلى مايتيحه التوسع فى استخدام الحاسوب الآن من إمكانات ضخمة لم تكن متاحة من قبل.

وإذا تعسر ذلك مؤقتا فلعلنا نقبل الرمز إلى الكسرة بحركة فوق الحرف لاتحته حتى نقلل من حركات العين.

٢ ـ أن نضع رمزا للهاء الأخيرة يختلف عن رمز التاء المربوطة، حتى لايقع الخلط بين الصوتين، وكثيرا ما يقع. ولعل من الممكن فى هذا المقام أن نبقى رمز التاء المربوطة كما هو، ونستخدم للهاء الأخيرة رمز الهاء المتوسطة.

٣ ـ أن نضع رمزا للهمزة يخالف رمز الألف حتى نتخلص من مشكلة التخفف من الهمزات فى أول الكلمة، ونقضى على التداخل بين همزتى الوصل والقطع.

٤ ـ أن نكتب الهمزة بشكل واحد فى جميع حالاتها.

٥ ـ أن نكتب الألف المقصورة ألفا دائماً بغض النظر عن أصلها الواوى أو اليائى.

الفصل الثانى

الحد من القيود والتفريعات عند التقعيد

من المشكلات التى تواجه متعلم اللغة العربية وقواعدها تضخم مادتها وتشعبها نتيجة خلط القبائل العربية فى مجال التقعيد، وعدم اتخاذ مستوى واحد لوضع المعيار أو استخلاص القاعدة. وبالتالى كثرت فى النحو العربى الأوجه المتعددة فى الشىء الواحد، وتعددت التفريعات والتشعيبات، وبدأ الاضطراب وعدم الاطراد فى كثير من القواعد.

وترتب على ذلك إيقاع المتعلم فى الارتباك، وتعريضه للخطأ حتى فى القاعدة الأساسية.

وقد أحسن مجمع اللغة العربية بالقاهرة صنعا حين سار فى الاتجاه المضاد، وحين قام بدراسة لبعض مشكلات النحو وقواعده انتهى منها إلى تخفيف الكثير من القيود وإلغاء الكثير من الشروط، وحذف التفريعات الكثيرة.

وسنسير فى هذا الفصل على هذا المنوال، وسنعرّج خلاله على بعض النماذج التى درسها مجمع اللغة العربية. وسيكون منهجنا فى معالجة المشكلات ما يأتى:

(أ) فى حالة وجود تفريعات أو أحكام جزئية تخرج على القاعدة الأساسية ينبغى التخلص من هذه التفريعات كلما أمكن، وإخضاع التفريعات للقاعدة العامة.

(ب) فى حالة تعدد القيود أو الشروط على القاعدة ينبغى التخفف منها بقدر الإمكان.

والأمثلة على هذا وذاك كثيرة، وتحتاج إلى إحصاء شامل وبحث مستقل، ولكننا سنكتفى بضرب الأمثلة الآتية:

أولاً: تتلخص قاعدة النسب إلي ما آخره ألف فيما يأتي:

١ ـ إذا كانت الألف خامسة فصاعدا حذفت (مثل حبارى ـ مصطفى).

٢ ـ إذا كانت الألف رابعة وثانى الاسم متحرك حذفت (مثل جَمَزَى).

٣ ـ إذا كانت الألف رابعة وثانى الاسم ساكن جاز حذفها، وقلبها واوا، وزيادة الألف قبل الواو. تقول فى النسب إلى طنطا (طنطىّ وطنطوى وطنطاوى).

٤ ـ إذا كانت الألف ثالثة تقلب واوا (ربا).

ويمكن تخفيض هذه التفريعات والاقتصار على اثنين منها فقط فيقال:

١ ـ إذا كانت الألف ثالثة تقلب واوا.

٢ ـ وفميا عدا هذا تحذف الألف (دخل تحت الحذف: الحذف الوجوبى والحذف الجوازى).

ثانيا: في النسب إلي ما آخره همزة ممدودة يفرّق بين:

١ ـ الهمزة الأصلية وهذه تبقى كما هى مثل إنشاء وقُرّاء (للمتنسك).

٢ ـ همزة التأنيث وهذه تقلب واوا مثل حمراء.

٣ ـ الهمزة المنقلبة عن أصل، وهذه يجوز بقاؤها همزة وقلبها واوا.

ويمكن تيسير القاعدة لتكون:

إن كانت الهمزة للتأنيث قلبت واوا وفيما عدا هذا تبقى الهمزة كما هى.

ثالثا: من مواضع قلب الواو ياء في باب الإعلال والإبدال:

١ ـ إذا وقعت الواو متطرفة بعد كسرة (رضى).

٢ ـ إذا وقعت ساكنة (غير مشددة) بعد كسرة (ميزان).

٣ ـ إذا وقعت عينا لمصدر فعل أعلت فيه وقبلها كسرة وبعدها ألف (صيام).

٤ ـ إذا وقعت عينا لجمع تكسير صحيح اللام وقبلها كسرة وهى معتلة فى المفرد (مثل دار وديار ـ قيمة وقيم).

٥ ـ أنْ تكون الواو فى المفرد ساكنة وفى الجمع بعدها ألف (مثل سوط وسياط).

٦ ـ أن تجتمع هى والياء فى كلمة واحدة وتسبق إحداهما بالسكون بشرط ألا يفصل بينهما فاصل (مثل سيد وميت).

ويمكن صوغ القاعدة فى عبارة موجزة تقول مثلا:

من مواضع قلب الواو ياء وقوعها فى صحبة كسرة أوياء.

رابعًا: في أحكام المستثني بإلا ترد التفصيلات الآتية:

١ ـ إذا كان المستثنى منه موجودا والاستثناء موجب (يجب النصب).

٢ ـ إذا كانت المستثنى منه موجودا والاستثناء مسبوق بنفى أو شبهه (يجوز النصب ويجوز الإتباع) إذا كان الاستثناء متصلا.

٣ ـ إذا كان المستثنى منه موجودا والاستثناء مسبوق بنفى أو شبهه (يجب النصب) إذا كان الاستثناء منقطعا (وتجيز قبيلة تميم الإتباع).

٤ ـ إذا كان المستثنى منه موجودا والاستثناء مسبوق بنفى أو شبهه وتقدم المستثنى على المستثنى منه (الأكثر النصب ويجوز الإتباع على قلة).

٥ ـ إذا كان الاستثناء مفرغا (يتبع المستثنى ما قبل إلا فى الإعراب).

ويتضح من الأقسام أن ماعدا الاستثناء المفرغ، النصب فيه صحيح إما على سبيل الوجوب أو التفضيل أو التخيير، فماذا يحدث لو اختصرنا القاعدة وقلنا:

فى الاستثناء المفرغ يكون الضبط بحسب العوامل، وفيما عداه ينصب المستثنى بإلا.

خامسًا: شروط أفعل التفضيل:

أثقل النحاة باب التفضيل، وباب التعجب بشروط تتعلق بكيفية صياغتهما.

وقد كانت هذه الشروط موضع دراسة مستفيضة من مجمع اللغة العربية بالقاهرة انتهت إلى التخفف من كثير منها حين قرر:

١ ـ التخفف من شرط تجرد الفعل الثلاثى وفاقا لسيبويه والأخفش.

٢ ـ التخفف من شرط البناء للمعلوم أخذًا بقول ابن مالك.

٣ ـ التخفف من شرط كون الفعل تامًا أخذًا بقول الكوفيين.

٤ ـ التخفف من شرط ألا يكون الوصف منه على أفعل فعلاء، وهو مايكون فى الألوان والعيوب، أخذًا بقول الكوفيين والكسائى وهشام والأخفش.

٥ ـ التخفف من شرط عدم الاستغناء عنه بمصوغ من مرادفه لأن من النحاة من تركه. ومن

ذكره لم يورد له إلا مثالا واحدا[1] (ص ١٢١ من كتاب: فى أصول اللغة ١٩٦٩) وفى الصفحات التالية بحوث شائقة اشترك فيها كثير من أعضاء المجمع حول هذه الشروط.

سادساً: شروط جمع الصفة جمع مذكر سالماً.

يشترط النحاة لصحة جمع الصفة جمع مذكر سالماً أن تكون الصفة لمذكر عاقل خالية من تاء التأنيث ليست من باب أفعل فعلاء، ولا من باب فعلان، فعلى، ولا مما يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث.

وقد درس مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذه الشروط وانتهى إلى إلغاء الشرطين الأخيرين وذلك فى قراراته الآتية:

١ ـ يجوز أن تلحق تاء التأنيث صيغة فعول بمعنى فاعل .. وعلى هذا يجرى على تلك الصيغة ما يجرى على غيرها من الصفات فتجمع جمع تصحيح للمذكر والمؤنث (فى أصول اللغة ص ٧٤).

٢ ـ يجوز أن يقال عطشانة وغضبانة وأشباههما. ومن ثم يصرف فعلان وصفاً، ويجمع فعلان ومؤنثه فعلانة جمعى تصحيح. (السابق ص ٨٠).

٣ ـ يجوز أن تلحق التاء فعيلا بمعنى مفعول، سواء ذكر معه الموصوف أو لم يذكر (السابق ١٠٦).

---

(١) اقترح المرحوم الأستاذ أمين الخولى إسقاط شرطين آخرين وهما شرط ثلاثية الفعل وشرط قبول التفاضل. وبهذا يتحرر أفعل التفضيل من شروط سبعة ويهون على المتعلمين ويتداول فى سهولة ويسر بين المتكلمين (فى أصول اللغة ص ١٣١ ، ١٣٢).

تخليص بعض الأبواب من الاضطراب

هناك إحكام فى كثير من القواعد العربية يبلغ حد الكمال. ولكن يوجد إلى جانب ذلك كثير من الأبواب والأحكام التى تتسم بفوضى التقعيد، واضطراب التصنيف، مما يجعل التمكن منها والسيطرة عليها أمراً مستحيلاً، ويشكل عبئاً ضخماً على المتخصص بله الرجل العادى.

ولعل من أوضح الأمثلة على هذا الاضطراب:

١ ـ ضبط عين الماضى والمضارع من الفعل الثلاثى.

٢ ـ تمييز المؤنث المجازى من المذكر.

٣ ـ تغييرات النسب.

٤ ـ قواعد جمع التكسير.

٥ ـ قواعد المصدر من الفعل الثلاثى.

وسنقتصر فى هذا الفصل على معالجة الموضوعين الأولين:

أولاً: عين الفعل الثلاثي المجرد

ربما لا تحوى مسألة نحوية أو صرفية من المشكلات والتشعيبات والتعقيدات مثل ما تحويه عين الفعل الثلاثى المجرد، مما جعل بعضهم يعتبر ضبطها «كميناً منصوبا» ومظنة زلل مؤرقة. وقد ترتب على ذلك طائفة من وجوه الضبط الخاطئة أصبحت من أخطائنا اللغوية الشائعة. (نهاد الموسى: فى تاريخ العربية ص ٢٧).

وعلى الرغم من محاولة الدكتور إبراهيم أنيس الموفقة (فى كتابه «من أسرار اللغة») لم

شتات هذه المسألة وتقليل الشذوذ فيها مرة عن طريق إحصاء كل الأفعال الثلاثية التى وردت فى القرآن الكريم حيثما كان الماضى ومضارعه مستعملين فى النصوص القرآنية، ومرة عن طريق إحصاء كل الأفعال الثلاثية التى جاءت فى القاموس المحيط ماضياً ومضارعاً ـ أقول على الرغم من تلك المحاولة فما زالت القضية تشكل عبئاً كبيراً على كاهل المتحدثين ومشكلة أساسية بالنسبة لمن يريد ضبط نطقه وتقويم لسانه.

ولن أتناول هذه القضية تناولاً تاريخياً ـ كما فعل غيرى ـ كما لن يكون اعتمادى على المعاجم فى اختيار الأمثلة، وإنما على لغة الحياة، وبخاصة ما يرد على ألسنة المذيعين والمتحدثين بالفصحى.

وقبل المعالجة التطبيقية لهذه المسألة أشير بإيجاز إلى جملة القواعد التى تحكم ضبط هذه العين فى كل من الماضى والمضارع.

١ ـ أولى هذه القواعد قاعدة المغايرة أو المخالفة بين حركتى العين فى الماضى والمضارع ويشمل ذلك أبواباً ثلاثة هى :ـ

(أ) فعَل يفعُل مثل نصر ينصر.

(ب) فعَل يفعِل مثل ضرب يضرب.

(جـ) فعِل يفعَل مثل سمع يسمع.

٢ ـ وثانى هذه القواعد قاعدة حرف الحلق وتتعلق بباب واحد هو باب فعلَ يفعَل، وتقول هذه القاعدة إن أى فعل من باب فعَل يفعَل لابد أن يكون حلقى العين أو اللام(١).

٣ ـ وثالثها قاعدة الثبوت واللزوم وتتعلق بباب واحد هو باب فعُل يفعُل فحيث غلب فى هذا الباب دلالته على الصفات الثابتة كالغريزة، وحيث كانت أفعاله كلها لازمة غير متعدية ثبتت حركته ولزمت فى الماضى والمضارع(٢).

ومشكلات هذه القواعد الثلاثة ما يأتى:

---

(١) يجب أن ننتبه إلى عدم صحة العكس بمعنى أنه ليس ضروريا أن يكون كل فعل حلقى العين أو اللام من باب فعل يفعل.

(٢) لاحظ عدم ذكر باب فعل يفعل بالكسر فى الماضى والمضارع لقلته ولدخوله فى باب فعِل يفعَل من الصحيح.

١ ــ أن معظمها تقريبى غالب لايمكن تعميمه فى اطمئنان.

٢ ــ أنه لا قاعدة تحدد منذ البداية ضبط عين الماضى حتى نفرّع على هذا الضبط احتمالات ضبط المضارع.

٣ ــ أن المخالفة مع فتح عين الماضى قد تكون إلى الكسر وقد تكون إلى الضم فكيف نميز بينهما؟

٤ ــ أن بعضاً من أفعال باب فَعُل يفعُل لايدل على صفات ثابتة وبعضاً مما يدل على صفات ثابتة جاء على غير هذا الباب. ومع هذا فسنرى فى الأمثلة التطبيقية وقائمة الأفعال التى يشيع الخطأ فيها فائدة هذه القواعد ومساعدتها كثيراً فى التوصل إلى الضبط الصحيح[١].

ونعرض الآن لبعض الأفعال الشائعة التى تعرضت للخطأ على ألسنة المثقفين المعاصرين لنرى وجه الصواب فيها[٢]، مع ملاحظة مايأتى:ــ

باب نصر = فعَل يفعُل

باب ضرب = فعَل يفعِل

باب فتح = فعَل يفعَل

باب فرح = فعِل يفعَل

باب كرم = فعُل يفعُل

وقد استعنا فى ضبط هذه الأفعال بمعجمى «ديوان الأدب» و «القاموس المحيط» وهما أفضل المعاجم فى مشكلة الضبط.

(١) أحسن الفارابى عرض قواعد هذا النوع من الأفعال فى معجمه (ديوان الأدب) وقد تحدث عن قاعدة المخالفة حين قال «وذلك أن الماضى مخالف للمستقبل (المضارع) فى المعنى فوجبت المخالفة بينهما فى بناء أمثلتهما، فلما فتحت العين فى الصدر (الماضى) لزم ضمها أو كسرها فى التلو (المضارع) ولم يجز فتحها إلا أن يعتل الحرف (يشير إلى قاعدة حرف الحلق) ولما كسرت فى الصدر وجب فتحها أو ضمها فى التلو ولم يجز كسرها، فاستعمل من هذين المذهبين أحدهما وأهمل الآخر لثقل الضمة إلا فى الشاذ».
وتحدث عن قاعدة حرف الحلق حين قال «فأما المفتوح العين فى الماضى والمستقبل فهو لايقوم إلا أن يكون فيه أحد حروف الحلق فى موضع العين أو اللام». وتحدث عن قاعدة الثبوت واللزوم حين قال: «والمضموم العين فى الماضى والمستقبل خاص للطبائع وما شاكلها مما لايتعدى. ولم يرو فيه شىء يتعدى إلى مفعول إلا حرف رواه الخليل وهو قولك: رحبتك الدار (٢ / ١٣٨ ، ١٣٩).

(٢) لن نتعرض هنا لما حدث من خطأ أو خلط بين المجرد والمزيد، وإنما سنقتصر على ما كان الخلط فيه بين بابين من أبواب الثلاثى المجرد.

الفعل	الخطأ فى ضبط عينه		الصواب من باب	ملاحظات
	الماضى	المضارع		
أرق	بالفتح		فرح	
(سهر ليلا)				
أمل	بالكسر	بالفتح	نصر	لم يضبطها الفيروز إبادى على قاعدته[1].
بخل	بالفتح		فرح وكرم	
بذخ	بالفتح		فرح	
برد		بالفتح	نصر وكرم	
بقى	بالفتح		فرح	إلا فى لهجة طيىء
تعب	بالفتح		فرح	
تمّ		بالضم	ضرب	
ثبت	بالضم			
(ثباتا			نصر	ومن باب كرم للثابت العقل
وثبوتا)		بالكسر		
حث			نصر	
حرص	بالكسر		ضرب	وكسر الماضى لهجة
حسب		بالكسر		
(من			نصر	
الحساب)	بالضم			
حصل		بالضم	نصر	
حفر			ضرب	
حفل (كثر		بالضم		
ـ اجتمع)		بالكسر	ضرب	
حلم (رأى			نصر	
فى نومه)		بالكسر		

(١) فى ترك ضبط عين المضارع من باب نصر.

الفعل	الخطأ فى ضبط عينه: الماضى	الخطأ فى ضبط عينه: المضارع	الصواب من باب	ملاحظات
حلم (من الأناة والعقل)	بالفتح		كرم	
حمد	بالفتح		فرح	
حنث	بالفتح		فرح	
حنق (اغتاظ)	بالفتح		فرح	
خشى	بالضم		فرح	إلا فى لهجة طيئ
خفت		بالضم	نصر أو ضرب	الأولى من القاموس والثانية من ديوان الأدب.
خفق (قلبه)		بالضم	ضرب	
دعم		بالكسر	فتح	
رأس		بالكسر	فتح	
رجف	بالفتح	بالفتح	نصر	
رخص (السعر)	بالكسر		كرم	
رسخ		بالكسر	نصر وفتح	الأول من القاموس والثانى من ديوان الأدب.
رسم	بالفتح		نصر	؟ أى خطأ هنا ؟
رضى	بالفتح		فرح	إلا فى لهجة طيئ
رقى	بالفتح		فرح	إلا فى لهجة طيئ.
رهب		بالكسر	فرح	
رهن	بالفتح		فتح	
روى (من الماء)	بالفتح		فرح	
سخط		بالضم	فرح	
سفك (الدم)		بالضم	ضرب	

الفعل	الخطأ فى ضبط عينه: الماضى	الخطأ فى ضبط عينه: المضارع	الصواب من باب	ملاحظات
سنح		بالضم	فتح	
شرب		بالضم	فرح	
شمت	بالفتح		فرح	
صحب	بالفتح		فرح	
صدأ	بالفتح	بالفتح	فرح	
صدق	بالضم		نصر	
صرخ		بالفتح	نصر	أهمل ضبطها القاموس
صعد	بالفتح	بالكسر	فرح	
صغر	بالفتح		كرم وفرح	
طال	أين الخطأ ؟		نصر	
عدم			فرح	
عطش	بالفتح		فرح	
عمد	بالكسر		فرح	
عمل	بالفتح		فرح	
غرب	بالضم		نصر	
غرق	بالفتح	بالفتح	فرح	
غلط	بالفتح		فرح	
فسد	أين الخطأ ؟		نصر وضرب وكرم	
فشل			فرح	
فنى			فرح	إلا فى لهجة طيئ
قبض	بالفتح	بالضم	ضرب	
قطف	بالفتح	بالضم	ضرب	
قنع	أين موضع الخطأ		فرح	
كبح		بالكسر	فتح ونصر	الأخيرة عن القاموس

الفعل	الخطأ فى ضبط عينه – الماضى	الخطأ فى ضبط عينه – المضارع	الصواب من باب	ملاحظات
كتم	بالفتح	بالكسر	نصر	
كذب	بالكسر		ضرب	
كره	بالفتح		فرح	
كسب	بالكسر		ضرب	
كسل	بالضم	بالضم	فرح	
كفل		بالفتح	ضرب ونصر وكرم	
لبس	بالفتح	بالكسر	فرح	
لحس	بالفتح		فرح	
لحن		بالكسر	فتح	
لعق	بالفتح		فرح	
لمس	بالكسر		نصر وضرب	
مخر		بالضم	فتح	
مرن	بالكسر	بالفتح	نصر	
نبذ		بالضم	ضرب	
نبض	بالفتح	بالضم	ضرب	
نحف	بالفتح		فرح وكرم	
نسى	بالفتح		فرح	إلا فى لهجة طيئ
نشب	بالفتح		فرح	
نشط	بالضم		فرح	
نضج		بالفتح	فرح	
نضح (عرقا)	بالكسر	بالفتح	ضرب	
نعق	بالفتح	بالفتح	فتح وضرب	ليس [illegible] خطأ على أساس [illegible] فتح
نفد			فرح	
نفض		بالكسر	نصر	
هتف		بالضم	ضرب	

الفعل	الخطأ فى ضبط عينه		الصواب من باب	ملاحظات
	الماضى	المضارع		
هدف		بالكسر	نصر	يجوز الوجهان (انظر الوسيط
هرب		بالفتح	نصر	
هلع	بالفتح		فرح	
وضح	بالضم		ضرب	
وطأ	بالفتح		فرح	
وعى	بالكسر		ضرب	
ولع	بالفتح		فرح	

وهناك أخطاء فى أبواب المضعف يأتى معظمها فى الماضى من فعل يفعل (بكسر ففتح) إذ ينطقه جمهور المتحدثين بالفتح فى الماضى. ويفتضح هذا الخطأ حين فك الإدغام عند إسناد الفعل إلى ضمائر الرفع المتحركة. وأمثلة ذلك الأفعال الآتية:

بحّ (صوته) ـ برّ (والديه) ـ بشّ (بضيوفه) ـ خس (من الخسة) ـ سف (الطعام) ـ شج (رأسه) شح (بخل) ـ شل (أصيب بالشلل) ـ شم (رائحة) ـ ضنّ (بعلمه) ـ ظل ـ عض ـ غص (بالماء) ـ لج (فى خصومته) ـ مس ـ مصّ ـ ملّ (صحبته).

حيث ينطقها معظم المتكلمين بفتح عينها والصواب الكسر.

ثانياً: تمييز المؤنث المجازي من المذكر

قضية التذكير والتأنيث من أعقد القضايا فى اللغة العربية[1]، ويكفى أن نعلم أن اللغويين العرب قد ألفوا كتبا مستقلة لعلاج هذه القضية ولم أطرافها، ويكفى كذلك أن نقول إن محمد بن القاسم الأنبارى ألف كتابه «المذكر والمؤنث» فيما يزيد على ستمائة وخمسين صفحة (انظر: كتاب المذكر والمؤنث تحقيق د. طارق عبد عون الجنابى) ونظرة سريعة على موضوعات هذا الكتاب ترينا مدى العبء الكبير الذى يلقى على عاتق المتعلم حين يريد أن يلم شتات هذه الموضوعات، ويستظهر أحكامها من مثل:

باب ما يستوى فيه المذكر والمؤنث مما التأنيث فى المؤنث منه غير حقيقى لازم.

باب ما يذكر ويؤنث باتفاق من لفظه واختلاف من معناه.

باب ما يذكر من أسماء الأعياد والأيام و... ويونث منهن.

باب ما يذكر من الإنسان ولا يؤنث.

باب ما يؤنث من الإنسان ولا يذكر.

باب ما يذكر من الإنسان ويؤنث.

باب ما يذكر من سائر الأشياء ولا يؤنث.

باب ما يؤنث من سائر الأشياء ولا يذكر[2].

ويترتب على تمييز المذكر من المؤنث أحكام كثيرة مثل:

تذكير الفعل وتأنيثه ـ استخدام اسم الإشارة المناسب ـ استخدام الاسم الموصول المناسب ـ

---

(١) يقول أحمد أمين: من أصعب الأبواب وأكثرها خلطا فى اللغة العربية المذكر والمؤنث (فى أصول اللغة ص ١١٠).

(٢) وانظر كذلك كتابنا: اللغة واختلاف الجنسين ص ٧٦ وما بعدها.

أحكام فى باب العدد ـ أحكام فى أبواب الخبر والحال والنعت ـ أحكام فى بعض مسائل التصغير ـ أحكام فى الصرف وعدمه.

ولأهمية هذا الباب قال ابن الأنبارى فى مقدمة كتابه السابق «إن من تمام معرفة النحو والإعراب معرفة المذكر والمؤنث لأن من ذكر مؤنثا أو أنث مذكرا كان العيب لازما له كلزومه من نصب مرفوعا أو خفض منصوبا أو نصب مخفوضا».

وقد كانت مشكلة التذكير والتأنيث موضع اهتمام مجمع اللغة العربية بالقاهرة واتخذ فيها بعض القرارات ولكنها ـ فى نظرى ـ لم تكن كافية لحل كثير من تعقيداتها.

وأحب قبل أن أقدم اقتراحى فى هذا الخصوص أن أقتبس بعض النماذج والآراء من كتب النحو واللغة:

١ ـ ورد فى لسان العرب (كتب) ما نصه: وحكى الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء أنه سمع بعض العرب يقول، وذكر إنسانا فقال: فلان لغوب جاءته كتابى فاحتقرها. فقلت له: أتقول: جاءته كتابى؟ فقال: نعم، أليس بصحيفة؟

٢ ـ الأرض مؤنثة، ومع ذلك قال الشاعر (وهو من شواهد سيبويه):

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها

وخرجه النحاة على أنه أراد بالأرض الموضع والمكان فذكّر.

٣ ـ قال تعالى: السماء منفطر به. ومع ذلك يقول الفراء: تذكير السماء قليل. وأوّلها يونس بالسقف، ولذا قبل تذكيرها. ويقول الأنبارى إذا أريد بالسماء المطر تكون مؤنثة (ص ٣٦٨)، ولكن يقول ابن منظور (اللسان ـ سما): السماء: المطر مذكر... ومنهم من يؤنثه وإن كان بمعنى المطر، كما تذكر السماء وإن كانت مؤنثة. واستشهد على تذكير السماء بمعنى المطر بقول معود الحكماء:

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

٤ ـ هناك قاعدة متداولة أن أعضاء البدن الثنائية مؤنثة، ومع ذلك نجد:

(أ) أعضاء ليست ثنائيه وهى مؤنثة مثل الإصبع والسنّ.

(ب) أعضاء ثنائية وهى مذكرة مثل الحاجب والخد والمرفق والثدى والمنكب والجفن.

(جـ) أعضاء ثنائية يجوز تذكيرها وتأنيثها مثل الذراع والكراع والإبط (انظر الأنباري ص ٢٦٤ ـ ٣٠٣).

٥ ـ علق اللغويون على مجيء «الكف» مذكرا في شعر للأعشى يقول فيه:

أرى رجلا منهم أسيفا كأنما يضم إلى كشحيه كفا مخضبا

وعلى مجيء «العين» مذكرا في قول الشاعر:

والعين بالإثمد الحاريّ مكحول

بقولهم:

الأنباري: يجوز أن يكون ذكّر مخضبا وهو للكف وهي مؤنثة لأن الكف لا علامة للتأنيث فيها.

الفراء: لأنه وجده ليس فيه الهاء، على تذكير المؤنث إذا لم تكن فيه الهاء.

غيره: ذكر العين لأنه حملها على معنى الطرف (الأنباري ٢٧٩، ٢٨٣).

٦ ـ ذكر أبو جعفر النحاس في كتابه إعراب القرآن أن المبرد كان يقول: «مالم يكن فيه علامة التأنيث، وكان غير حقيقي التأنيث فلك تذكيره نحو: هذا نار». حقيقي

٧ ـ ورد في خاتمة المصباح المنير للفيومي ما نصه: «والعرب تجترئ على تذكير المؤنث إذا لم يكن فيه علامة تأنيث، وقام مقامه لفظ مذكر. حكاه ابن السكيت وابن الأنباري وحكى الأزهري قريبا من ذلك». (بتحقيق عبد العظيم الشناوي ص ٧٠٣).

فبناء على هذا كله، ومن أجل التيسير على مستخدمي اللغة أقترح القاعدة الآتية:

«كل ما كان مجازي التأنيث بدون علامة يجوز تذكيره». وعلى هذا ينصح كل من يقابله لفظ بدون علامة تأنيث وليس لمؤنث حقيقي أن يعامله معامله المذكر..

وعلى هذا نرفع الحرج عن نفس من يقول:

بئر عميق (وقد خطأها العدناني ص ٣٣)، ويمين غليظ (وقد خطأها العدناني ص ٢٧٦) وسنّ مكسور (وقد خطأها جواد ص ١٢٩)، وكبرياء كاذب...

وينبغي أن نذكر أخيرا أن الكوفيين يجيزون تذكير الفعل مع الفاعل المؤنث تأنيثا مجازيا إذا لم تكن فيه علامة التأنيث، سواء كان الفاعل اسما ظاهرا أو ضميراً. وقد خرجوا على ذلك قول الشاعر:

فـلا مـزنـة ودقـت ودقـهـا ولا أرض أبقـل إبقـالـهـا

الباب الثالث

تحقيقات لغوية

مفاعل ومفاعيل(1)

ع ي

المشهور بين الباحثين أن كل ما بدئ بميم زائدة من أسماء الفاعلين والمفعولين لا يصح جمعه جمع تكسير، وإنما يجمع جمع مذكر سالما، أو جمع مؤنث سالما، ولا يستثنى شيء من ذلك. وقد نص الزمخشرى على أن هذا النوع مما «يستغنى فيه بالتصحيح عن التكسير» وأيد ابن يعيش هذا الزعم واعتبر أن ما جاء من هذا النوع مكسرا من قبيل الشاذ الذى يحفظ ولا يقاس عليه[2].

ولكن سيبويه يفصل، فيجيز فى مُفْعِل (بضم الميم وكسر العين) الذى يكون للمؤنث ولا تدخله الهاء أن يكسر، وذلك نحو مُطْفِل ومَطَافِل، ومُشْدِن ومشادن ويمنع تكسير ماعدا ذلك[3].

ومع ذلك نلاحظ على سيبويه أن عبارته ليست صريحة فى المنع، فهو يقول: «قالوا مكسور ومكاسير، وملعون وملاعين، ومشئوم ومشائيم، ومسلوخة ومساليخ.. فأما مجرى الكلام الأكثر فأن يجمع بالواو والنون، والمؤنث بالتاء، وكذلك مُفْعَل (بضم وفتح) ومُفْعِل (بضم وكسر) إلا أنهم قد قالوا مُنْكر ومناكير، ومُفْطر ومفاطير ومُوسر ومياسير». فكلمة الأكثر تفيد أن جمع التكسير كثير لا قليل.

وهذا الذى اشتممته من كلام سيبويه، كان حافزى إلى محاولة درس هذه القاعدة من جديد، وتتبعها فى كتب اللغة والنحو والأدب. وبعد جولة طويلة فى عشرات من أمهات مصادرنا، تبين لى أن هذا المنع لامسوغ له، ولا يستند إلى واقعنا اللغوى، ودليلى على ذلك ما يأتى:

(1) نشرت فى مجلة الأزهر رمضان شوال سنة ١٣٨٣ ـ فبراير مارس ١٩٦٤. ثم أعيد نشرها فى كتابى (من قضايا اللغة والنحو) (١٩٧٤).

(2) شرح المفصل لابن يعيش ٥ / ٦٧.

(3) الكتاب ٢ / ٢١٠.

أولاً: أننى وجدت من اللغويين من صرح بصحة التكسير، ومن هؤلاء الفارابى (أبو إبراهيم إسحق بن إبراهيم صاحب ديوان الأدب. وقد توفى سنة ٣٥٠ هـ) فقد قال: «وإذا كانت الزيادة ميما مفتوحة فهو اسم الزمان والمكان والمصدر. هذا إذا كانت العين مفتوحة.. وإذا كانت العين مكسورة مع فتح الميم فهو اسم المكان والزمان مما كان مستقبله على يفعل بكسر العين. وما كان بضم الميم وفتح العين فهو اسم المكان والزمان والمصدر والمفعول من أفعل يفعل، وإذا كسرت العين منه فهو اسم الفاعل من هذا الباب.. وإذا كانت الميم مكسورة والعين مفتوحة فهو ما يعتمل به وينقل[1]... وجمعها جميعا بالهاء كان أو بغير الهاء: على مفاعل»[2].

وقد وجدت هذا الرأى كذلك عند الميدانى صاحب «السامى فى الأسامى» إذ يقول: «وإذا كان أول حرف منه ميما زائدة جمع على وجه واحد سواء كانت الميم مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة.. وكذلك القياس فيما رابعه حرف مدولين نحو مملوك ومماليك ومغرود ومغاريد... وكذلك إن كان مثقل الحشو نحو مُخنَّث ومخانيث». فهذا صريح فى جواز هذا الجمع.

وورد فى لسان العرب لابن منظور ما يفيد قياسية هذا الجمع. ففى مادة (قيد) جاء ما نصه: «هذه أجمال مقاييد أى مقيدات، قال ابن سيده: إبل مقاييد: مقيَّدة. حكاه يعقوب. وليس بشىء لأنه إذا ثبتت مقيَّدة فقد ثبتت مقاييد».

كذلك يؤخذ من كلام ابن سيده فى مقدمة «المحكم» قياسية هذا الجمع إذ يقول: «لا يلزم إذا كان لفظ الجمع مَفَاعِل أن يكون الواحد مَفْعلاً، بل قد يكون مَفعلا (بفتح وكسر) ومَفْعلاً (بفتح الميم والعين) ومُفْعلا (بضم وكسر) فى بعض المواضع».

ويقول بعد أن عدد منهجه فيما تركه: «ومنه أنى لا أذكر تكسير المزيد من الثلاثى ولا تكسير بنات الأربعة، ولا يعتل على بذكرى متائيم فى جمع مُتْئم ونحوه فإنما أذكر ذلك لأشعر أن مُفْعلا (بضم وكسر) فى نية مِفْعَال»[3]. ومفهوم هذا أن جمع متئم على متائم قياس.

ثانياً: أن هذا الجمع قد تردد كثيرا فى كلام اللغويين الثقات دون أن يكون مثاراً للنقد،

(١) يعنى به اسم الآلة.
(٢) ديوان الأدب ١ / ٨٣.
(٣) مقدمة المحكم ص ٧، ١١.

رغم كثرة ما ألف في نقد اللغويين وتتبع زلاتهم، ومن ذلك قول ابن قتيبة في كتابه «أدب الكاتب» بعد أن ذكر بعض الكواكب ومنازلها، «فهذه الكواكب ومنازل القمر مشاهير الكواكب»[1]. ويقول الفارابي في معجمه «ديوان الأدب»: «وإبل دقاق أي مهازيل»، ويقول: «ابن مُناذر (بضم الميم) شاعر، وبعضٌ يفتح الميم منه فيقول مَناذر يريد جمع مُنْذِر»، ويقول: «وحَفَّتهم الحاجة إذا كانوا محاويج»، ويقول: «الخذف بالحصى: الرمى به بالأصابع، وهو أحد مناكير قوم لوط». وقد استعمل الفيروز آبادى في قاموسه كلمة «المشاهير[2]» واستعمل الزبيدى في مستدركه كلمة المشاكل[3].

ثالثاً: أن هذا الجمع قد تردد في كثير من الشواهد النثرية والشعرية ومن ذلك قوله تعالى: **﴿وحَرَّمنا عليه المراضع من قبل﴾**.

وقول الشاعر:

قالت سُليمى لا أحِبُّ الجَعْدِينْ ... ولا السبـاط إنـهـم مَناتينْ

وقول الآخر:

ترى آنفا دُغما قِباحًا كأنها ... مَقاديمُ أكيْارٍ ضخام الأرانب[4]

وقول الهذلى:

كأنَّ مصاعيب غلب الرقا ... بِ في دار صرم تلاقى مريحا[5]

وقول الفرزدق:

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ... ولا ناعب إلا ببين غرابها[6]

وقول أبي ذؤيب:

وإنّ حديثا منك لو تبذلينه ... جنى النحل في ألبان عوذٍ مطافل

---

(١) ص ٩٦، ٩٧.

(٢) ١ / ٢٢.

(٣) تاج العروس ـ مادة شكل.

(٤) لسان العرب مادة نتن وكير.

(٥) ديوان الهذليين ١٣٠.

(٦) كتاب سيبويه ١ ـ ٤١٨.

وقول الراجز:

ألا انهماها إنها مناهيمُ[1]

وغير ذلك:

رابعًا: أنني رجعت إلى كثير من كتب اللغة لأحصى ما جمع من هذا النوع جمع تكسير فأحصيت ما يربو على الثمانين كلمة. ولا أزعم أنني أحصيتها كلها، كما لا أزعم أنها كل ما جمع من هذا النوع جمع تكسير، وهذه هي الكلمات مرتبة ترتيبا هجائيًا بحسب حرفها الأول:

همزة: مؤتمر (بضم وكسر ومعناه شهر المحرم) ومآمر ومآمير ــ مأسور ومأسير.

باء: مبسِق (بكسر السين من أبسقت الناقة وقع فى ضرعها اللبأ قبل النتاج) ومباسق ومباسيق ــ مبهِلة (بكسر الهاء، الناقة لاخطام عليها) ومباهيل.

تاء: مُتْهِم (بضم وكسر) ومتاهم ومتاهيم ــ متئم ومتائِيم.

ثاء: مثلوج ومثاليج ــ مثقوب ومثاقيب.

جيم: مُجَالِح (بكسر اللام الناقة تدر على الجوع) ومَجَاليح ــ مجْهِض (بكسر الهاء) ومجاهيض ــ مجْسَد (بفتح السين، ما أشبع صبغه من الثياب) ومَجاسد، مُجْرِع (بكسر الراء، الناقة ليس فيها مايروى) ومجاريع ــ مجهولة ومجاهيل ــ مجنون ومجانين.

حاء: مُحْنِق (بكسر النون، وهو الضامر) ومحانيق ــ محدث (بكسر الدال، الناقة دنا نتاجها) ومحَاديث ــ مُحَرَّم (بتشديد الراء وفتحها) ومحارم ومحاريم ــ محتاج ومحاويج.

خاء: مُخْرِط (بكسر الراء، الناقة تَعَقَّدَ لبنها) ومخارط ومخاريط.

دال: مُدْنية ومدَانِ.

ذال: مذهب (بضم الميم وفتح الهاء) ومذاهب.

راء: مُرِدّ بكسر الراء وتشديد الدال، الناقة شربت الماء فورمت، ومرَادّ ــ مُرْءِ (الناقة استبان حملها) ومرَاءٍ ــ مُرْسَل بفتح (السين) ومراسيل. مُرْصِع (بكسر الصاد، النحلة لها فراخ) ومراصيع ــ مرجوع ومراجيع.

---

(1) ديوان الأدب ٢ ــ ٢٢٠.

زاى: مَزْمُور ومزامير.

سين: مُسْنَد (بفتح النون) ومَسَاند ـ مسلوخة ومَسَاليخ ـ مُسْنِفة (بكسر النون، متقدمة) ومسانيف.

شين: مُشرِّق (بتشديد الراء وفتحها) ومشارق، مشئوم ومشائيم ـ مُشْدِن (بكسر الدال، الظبية شَدَن ولدها أى طلع قرنه) ومَشَادن ومشادين.

صاد: مُصعب (بفتح العين) ومصاعب ومصاعيب.

ضاد: مضمون ومضامين.

طاء: مُطْفل ومَطَافل ومطافيل ـ مُطْرف (بفتح الراء، رداء من حرير مربع) ومَطَارف.

عين: مُعْضلة ومعاضيل ـ مُعْجِل (بكسر الجيم) ومعاجيل ـ مُعْصِر ومعاصر ومعاصير ـ مُعوِز (بكسر الواو) ومعاوز.

غين: مُغِدّ (بكسر الغين وتشديد الدال) ومَغَادّ ـ مُغْتَلِم ومغاليم.

فاء: مُفْرِق (بكسر الراء) ومَفَارق ـ مُفيق ومَفَاويق ـ مُفْطِر ومفاطير.

قاف: مقعنسس ومَقَاعس ـ مقلوب ومقاليب ـ مُقْرِب (بكسر الراء) ومقاريب ـ مقطوع ومقاطيع ـ مُقَيَّد ومقاييد ـ مقَدَّم ومُقْدِم (بكسر الدال) ومقاديم.

كاف: مكسور ومكاسير ـ مُكْعِر (بكسر العين، ولد الناقة إذا نبت فى سنامه الشحم) ومكاعير ـ مكبون (من صفات الفرس) ومكابين.

لام: ملعون وملاعين ـ مُلْقِح (بكسر القاف) ومَلاقح ـ ملقوحة وملاقيح.

ميم: مُمْلِط (بكسر اللام، الناقة ألقت جنينها) ومماليط ـ مُمْلِص (بكسر اللام) ومماليص ـ مُمْغِر (بكسر الغين، للناقة تحلب لبنا خالطه دم) وَمَمَاغير ـ مُمجِر (بكسر الجيم، الشاة التى لا تستطيع النُّهوض) ومَمَاجر ـ مملوك ومماليك.

نون: مُنْغِر ومناغير ـ منهوم ومناهيم. مُنْجِد ومناجد ـ منسوب ومناسيب ـ منزوح ومنازيح ـ مُنقية (سمينة) ومَنَاق ـ مُنتن ومناتين ـ مُنجب ومَنَاجبة ـ مُندب ومنادبة ـ منكود ومَناكيد ـ مُنْكَر (بفتح الكاف) ومناكير.

هاء: مُهْرَع (بفتح الراء) ومهارع ـ مُهَذَّب (بتشديد الذال وفتحها) ومهاذيب ومهاذبة ـ مهزول ومهازيل.

واو: مُوَقرة (بكسر القاف وفتحها) وموقِرَ (بكسر القاف وفتحها) وُموقَّرة جمعها مواقر – مومس ومَوامس ومَيامس ومَيَاميس.

ياء: ميسور ومياسير – ميمون وميامين – موسر ومياسير.

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أسجل على النحاة تناقضهم مع أنفسهم بخصوص هذا الجمع. فمع أنهم يمنعونه – كما سبق النقل عنهم – نجدهم عند حديثهم عن حذف بعض حروف المفرد التى تخل بالجمع، لم يلتزموا ما قالوه من عدم جمع هذه الكلمات جمع تكسير، وابن مالك نفسه يقول فى ألفيته:

والسين والتّا من كمستدع أزِلْ
إذ بِبِنا الجمع بقاهمُا مخلّ
والميم أولى من سواه بالبَقَا
والهمزَ واليا مثْله إن سَبَقَا

ويقول ابن عقيل فى شرح الألفية: إذا كان الخماسي مزيدا فيه حرف، حذفت ذلك الحرف إن لم يكن حرف مد قبل الآخر، فتقول فى فدوكس فداكس وفى مدحرج دحارج، ويقول تعقيبا على بيتى ابن مالك السابقين: مُسْتَدْع تقول فى جمعه مَدَاع، فتحذف السين والتاء وتبقى الميم لأنها مصدرة ومجردة للدلالة على معني. ويقول الخضرى: كلام المصنف يشمل ما كان رباعى الأصول زيد فيه حرف كمُدَحْرِج أو حرفان كمتَدَحْرِج فيقال دَحَارِج، ويقول: حرف اللين الأصلى كمختار ومنقاد لايقلب بل يحذف ويقال: مخاتر ومناقد. وفيه نظر ظاهر إذ القياس أن يقال: مخاير ومقايد.

وأظننا – الآن – بعد هذه الجولة الطويلة لانجد حرجا فى استعمال كلمات مثل معاجم ومشاكل ومواضيع ومفاهيم ومضامين ومشاريع ومراسيم ومظاريف وغيرها، مما شاع استعماله على ألسنة المتحررين من الكتاب[1].

(١) نشر هذا البحث عام ١٩٦٤. وفى الدورة السادسة والثلاثين (١٩٦٩ – ١٩٧٠) لمجمع اللغة العربية بالقاهرة اتخذ المجمع قرارا بقياسية هذا الجمع. (انظر البحوث والمحاضرات للدورة السادسة والثلاثين ص ١٢٤ ، ١٢٥).
وانظر كذلك مؤتمر الدورة التاسعة والثلاثين (ص ٢٠٩). وانظر أيضاً: أزاهير الفصحى – عباس أبو السعود (ص ٢٣).

صيغ أخرى للمبالغة[1]

يتحدث النحويون عن صيغ المبالغة المشهورة فيحصرونها فى خمس صيغ هى فَعَّال وفَعُول وفعيل ومِفْعَال وفَعِل. ومع ذلك نجدهم يختلفون فى شأن هذه الصيغ ومدى صحة القياس عليها، فمنهم من ذهب إلى أن الصيغ فَعّال ومِفْعال وفَعُول هى الكثيرة، ومنهم من ذهب إلى أن صيغة فَعّال خاصة هى القياسية المطردة، وذهب بعضهم إلى أن الصيغ الخمسة قياسية من الفعل المتعدى فقط، وبعض آخر إلى أنها قياسية من المتعدى واللازم.

وقد اعتبر سيبويه هذه الصيغ الخمسة أصلا فى المبالغة دون أن يقول بقياسيتها، ثم عاد فاعتبر صيغة فعيل قليلة وما عداها أصلا، وخالف نفسه بعد ذلك فقال إن صيغة فَعِل أقل من فعيل بكثير.

ومع هذا الخلاف الشديد اتفقوا على أن ما عدا هذه الصيغ الخمسة قليل فى الاستعمال مقصور على السماع.

ولكننا نجد فى كتب اللغة خلاف ذلك. ونرى فى كلام اللغويين ما يفيد وجود صيغ أخرى تستعمل بكثرة للدلالة على معنى المبالغة. وهذه الصيغ هى:

(١) فعيل. (٢) فُعَلَة.

(٣) فُعْلَة. (٤) فُعّال.

وبين هذه الصيغ صيغة فريدة لدلالتها على المبالغة فى المفعول (لا الفاعل كسائر الصيغ) وهى صيغة فُعْلَة التى لا يوجد فى سائر الصيغ ما يحل مَحلّها أو يغنى عنها.

---

(١) مقالة نشرت بمجلة الأزهر ـ جمادى الأولى ١٣٨٣ ـ أكتوبر ١٩٦٣. ثم أعيد نشرها فى كتابى (من قضايا اللغة والنحو) (١٩٧٤).

وقد لاحظ اللغويون ـ من قديم ـ ما فى هذه الصيغ من مبالغة فذكروا ذلك صراحة أو ضمنا. ومنهم من أشار إلى كثرتها أو اطراد بعضها. كما أننا نجد منهم من يذكر أمثلة للصيغة لا يذكرها غيره.

وسنتناول الآن كل صيغة على حدة لنرى أقوال اللغويين فيها وأقدم ما استطعت أن أجمعه من أمثلة لكل منها:

١ ـ فِعِّيل:

قال ابن قتيبة: «ما كان على فِعِّيل فهو مكسور الأول.. وهو لمن دام منه الفعل» وبعد أن ذكر أمثلة لذلك تلاها بقوله: «ومثل ذلك كثير. ولا يقال لمن فعل الشىء مرة أو مرتين حتى يكثر منه أو يكون له عادة»(١).

وكذلك نص ابن السكيت على أن صيغة فِعِّيل تدل على المبالغة، فالسِكِّير الكثير السُّكر والفِسِّيق الكثير الفسق. إلى آخر ما مثل به(٢).

كما لاحظ الفارابى (أبو إبراهيم إسحق بن إبراهيم المتوفى سنة ٣٥٠ هـ وصاحب ديوان الأدب) معنى المبالغة فى هذه الصيغة فكان يقرنها بما يفيد المبالغة ومن ذلك قوله: الشِرِّيب المولع بالشرب، الزِّمِّيت أشد من الزميت، الخِمِّير الدائم الشرب للخمر، رجل شِرِّير أى صاحب شر جداً..

أما الأمثلة التى أمكننى أن أجمعها من كتب اللغة لهذه الصيغة فهى:

شريب، خريت، زميت، سكيت، صميت، عِميت، حديث، خبيث، عبيث، خريج، مريح، مسيح، عنيد، غريد، مريد، جبير، ختير، خِمير، سكير، سمير، شخير، شرير، شمير، ظفير، غدير، فجير، فخير، فكير، قسيس، نطيس، عقيص، عريض، صريع، ثقيف، حريف، خريق، صديق، طليق، عشيق، فسيق، مسيك، ضليل، هزيل، ظليم، غليم(٣).

ولهذه الصيغة أهمية خاصة، لأنها كثيرة الدوران على ألسنة العوام فى مصر (ولكن بفتح أولها) للدلالة على معنى المبالغة، وطغيانها على ما عداها من الصيغ، فهم يقولون: أَكيل، وحبيب، وجميع، ورسيم، وعويم، وكَسِّيب، ولَعيب. وغير ذلك.

(١) أدب الكاتب ص ٣٢٤.

(٢) إصلاح المنطق ص ٢١٩.

(٣) راجع الجمهرة ج ٣/ ٣٧٦، والقول المجمل ص ٣٩٠، واللسان وديوان الأدب فى عدة مواضع.

ومن أجل هذا لانستبعد أن تكون هذه الصيغة أقدم فى الدلالة على معنى المبالغة من صيغة فَعّال التى يعترف بها النحويون، وأنها تطورت فى اللغة الفصحى إلى فِعِّيل أو فَعّال طبقًا لقانون الانسجام الصوتى، وظلت محتفظة بفتح أولها فى بعض اللهجات، ثم انحدرت إلينا مع بعض القبائل العربية التى نزحت إلى مصر.

ومن الغريب أن يبلغ عدد ما جمعته من أمثلة لهذه الصيغة خمسة وأربعين مثالا — ولا أزعم أنه كل ما جاء منها — ثم نجد ابن دريد ينص على أنها سماعية، ويحذر من القياس عليها. فهو يقول فى جمهرته بعد أن عد ما يقرب من ثلاثين مثالا: «اعلم أنه ليس لمولد أن يبنى فِعِّيلا إلا ما بنت العرب وتكلمت به. ولو أجيز ذلك لقلب أكثر الكلام (!!) فلا تلتفت إلى ما جاء على فِعِّيل مما لم تسمعه إلا أن يجئ به شعر فصيح».

٣.٢ - فُعَلَة و فُعْلَة:

قال ابن قتيبة، « وكُلُّ حرف على فُعَلَة وهو وصف فهو للفاعل نحو هُذَرة ونُكَحة وسُخَرة إذا كان مهذارا، نكّاحا، مطلاقاو ساخراً من الناس، فإن سكنتْ العين من فُعَلة وهو وصف فهو للمفعول به. تقول رجل لُعْنة أى يلعنه الناس، فإن كان هو يلعن الناس قلت لُعَنة. ورجل سُبّة أى يسبه الناس، فإن كان هو يسب الناس قلت سُبَبة. وكذلك هُزْأة وهُزَأة وسُخْرة وسُخَرة وضُحْكة وضُحَكة وخُدْعة خُدَعة. وقال مرة أخرى: وفُعْلة من صفات المفعول وفُعَلَة من صفات الفاعل» ، ثم ذكر أمثلة لذلك [١].

وقال ابن السكيت : « واعلم أنه ما جاء على فُعَلة بضم الفاء وفتح العين من النعوت فهو فى تأويل فاعل، وما جاء على فُعْلة ساكنة العين فهو فى معنى مفعول به» [٢].

وعقد الثعالبى بابا بعنوان «فصل فى الفرق بين ضدين بحرف أو حركة» قال فيه: «وذلك من سنن العرب. وما كان فرقه بحركة كما يقال: رجل لُعَنَة إذا كان كثيرا للعن، ولُعْنة إذا كان يلعن. وكذلك ضُحَكة وضُحْكة» [٣].

بل نص ابن منظور على أن هذين البناءين يطردان فى معنى المبالغة، وكرر هذا أكثر من مرة فقال:

---

(١) أدب الكتاب ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٥٥٠.
(٢) إصلاح المنطق ص ٤٢٧.
(٣) فقه اللغة ص ٢٥٤.

(١) نُكَحة كثير النكاح، وفُعَلة من أبنية المبالغة لمن يكثر منه الشيء.

(٢) رجل بولة كثير البول يطرد على هذا باب.

(٣) اللُعْبَة الأحمق الذى يُسخر به، ويطرد عليه باب.

(٤) صُرَعة كثير الصراع لأقرانه وصُرْعة يُصرع كثيراً، يطرد على هذين باب.

(٥) رجل لُومة يلومه الناس ولُوَمة يلوم الناس. يطرد عليه باب.

(٦) اللُعَنة الكثير اللعن للناس، واللُعْنة الذى لايزال يُلعن لشرارته، والأول فاعل، والثانى مفعول. ويطرد عليهما باب.

أما الألفاظ التى أمكننى أن أجمعها لصيغة فُعَلة فهى:

تُكأة ــ خُجأة ــ زكأة ــ هزأة ــ خضبة ــ سببة ــ شربة ــ طلبة ــ عيبة ــ قوبة ــ كذبة ــ لعبة ــ نجبة ــ خرجة ــ لججة ــ ولجة ــ نكحة ــ حمدة ــ قعدة ــ بذرة ــ دغرة ــ سخرة ــ سهرة ــ عقرة ــ قذرة ــ قشرة ــ هذرة ــ لمزة ــ همزة ــ جلسة ــ كؤصة ــ رفضة ــ قبضة ــ لقطة ــ خدعة ــ خضعة ــ صرعة ــ ضجعة ــ طلعة ــ لسعة ــ مجعة ــ هجعة ــ هقعة ــ هلعة ــ ولعة ــ نتفة ــ طرقة ــ طلقة ــ عرقة ــ ضحكة ــ مسكة ــ أكلة ــ بولة ــ حولة ــ خذلة ــ سؤلة ــ عذلة ــ غسلة ــ وكلة ــ برمة ــ جثمة ــ حطمة ــ لومة ــ نومة ــ أمنة ــ علنة ــ لحنة ــ لعنة[١].

وأما ما استطعت أن أجمعه لصيغة فُعْلة فهو:

نهبة ــ سبة ــ هزأة ــ لعنة ــ سخرة ــ ضحكة ــ همزة ــ لمزة ــ خدعة ــ ضورة ــ لعبة ــ صرعة ــ لومة ــ لحنة ــ عمدة[٢].

٤ ـ فُعَّال:

قال ابن قتيبة: «قال أبو عبيدة: فإذا أرادوا المبالغة شددوا فقالوا: كُرَّام وكُبَّار وظُرَّاف وعُجَّاب، فالكُرَّام أشد كرماً من الكُرَام»[٣].

---

(١) نشر هذا البحث عام ١٩٦٣ واتخذ مجمع اللغة العربية قرارا بقياسية الصيغة نشر مع بحث للأستاذ عطية الصوالحى عام ١٩٧٥ (فى أصول اللغة ٢ ــ ١٥).

(٢) انظر فى كل ما سبق اللسان ــ المواد المذكورة، وإصلاح المنطق ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، والجمهرة ١ / ٢٣٦، والغريب المصنف ص ٢٢٨ ، ٢٢٩، وأدب الكاتب ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، والمزهر ٢ / ١٥٥.

(٣) أدب الكاتب ص ٥٥٨ ، ٥٥٩.

وقال ابن السكيت: «ورجل.. طويل وطُوّال، فإذا أفرط في الطول قيل: طُوّال». ونقل عن الكسائي قوله: «سمعت كبير وكُبَار، فإذا أفرط قالوا كُبّار»(1).

وقال كراع: «رجل طويل وطُوَال، فإذا أسرف في الطول قيل طُوّال»(2).

ونص الزركشي على أن من صيغ المبالغة الواردة في القرآن الكريم صيغه فُعّال، ومثّل لها بقوله تعالى: ﴿ومكروا مكرا كُبّارا﴾. ثم نقل عن أبي العلاء المعري أنه قال في كتابه اللامع العزيزي: فَعيل إذا أريد به المبالغة نقل به إلى فُعَال، وإذا أريد به الزيادة شددوا فقالوا: فُعّال، من ذلك عجيب وعُجاب وعُجّاب، وقرأ أبو عبد الرحمن السلَمي: (إن هذا لشيء عُجّاب) بالتشديد: وقالوا طويل وطُوَال وطُوّال(3).

أما الألفاظ التي أمكنني أن أجمعها لهذه الصيغة فهي:

عجاب ـ كبار ـ ظراف ـ جمال ـ كرام ـ حسان ـ طياب ـ طوال ـ ملاح ـ جسام ـ صباح(4).

وأعتقد أننا بعد هذا يمكننا أن نضيف هذه الصيغ إلى الصيغ الخمسة التي ذكرها النحويون وننقلها من دائرة السماعي إلى دائرة القياسي.

---

(1) إصلاح المنطق ص ١٠٨.
(2) المنتخب ص ٩٤.
(3) البرهان ٢ / ٥١٣ ، ٥١٤.
(4) ديوان الأدب في عدة مواضع؛ والبرهان ٢ / ٥١٣ ، ٥١٤، والمنتخب ص ٩٤، والمخصص ٢ / ٧٦، وإصلاح المنطق ص ١٠٩.

الفصل الثالث

معنى كلمة جيل

كلمة جيل ـ فى معناها الشائع بيننا الآن وهو «أهل الزمان الواحد» ـ لم ترد فى المعاجم القديمة. وإنما وردت فيها بمعنى آخر وهو: كل صنف من الناس، فالترك جيل، والصين جيل، والعرب جيل، والروم جيل... وهكذا. وذكرت المعاجم القديمة أن الجيل كذلك: الأمة أو كل قوم يختصون بلغة.

ولم ترد كلمة «جيل» فى القرآن الكريم ولكنها وردت فى قراءة لعلى بن أبى طالب فى قوله تعالى: ولقد أضل منكم جيلا كثيراً. فقد قرأها على رضى الله عنه ـ كما ذكر أبو حيان فى البحر المحيط، والآلوسى فى روح المعانى ـ قرأها: ولقد أضل منكم جيلا كثيرا[1]. قال الآلوسى فى تفسيرها: واحد الأجيال وهو الصنف من الناس كالعرب والروم.

ووردت كلمة «جيل» فى الحديث الشريف بنفس المعنى وهو الصنف من الناس. ففى الحديث النبوى: ما أعلم من جيل كان أخبث منكم، أى: من صنف من الناس.

ومعنى هذا أن كلمة جيل تطلق على الجماعة من الناس يختلف مكانها. أما إطلاقها على الجماعة من الناس يختلف زمانها فلم يرد فى أى معجم قديم.

وأول معجم وجدته يسجل هذا المعنى هو تاج العروس للزبيدى الذى توفى عام ١٢٠٥ هـ أى منذ مائتى عام تقريباً. وقد استدرك هذا المعنى على صاحب القاموس المحيط الذى اقتصر على قوله: الجيل: الصنف من الناس، فجاء صاحب تاج العروس وقال: ومما يستدرك عليه: والجيل: القرن.

ثم جاءت المعاجم الحديثة فسجلت هذا المعنى.

ففى المحيط للبستانى: الجيل الصنف من الناس... ويطلق الجيل توسعا على عمر الإنسان. وعلى مائة سنة، وعلى أهل الزمان الواحد.

---

(١) وانظر معجم القراءات القرآنية ٥ / ٢١٨.

وفى المنجد: الصنف من الناس ـ وأهل الزمان الواحد ـ والقرن.

وفى أقرب الموارد للشرتونى: الصنف من الناس، ويتوسع فيه فيطلق على أهل الزمان الواحد.

وفى المعجم الوسيط من إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة: الجيل الأمة ـ والجنس من الناس ـ والقرن من الزمن ـ وثلث القرن يتعايش فيه الناس.

وقد ورد لفظ «الجيل» فى شعر المتنبى وهو قوله يمدح أبا عبيد الله محمد بن عبد الله القاضى الأنطاكى:

وإنما نحن فى جيل سواسية شر على الحر من سقم على بدن
حولى بكل مكان منهم خِلَق تخطى إذا جئت فى استفهامها بمن

ويقول العكبرى اللغوى (من علماء القرنين السادس والسابع الهجريين) فى شرحه على ديوان المتنبى ـ يقول: نحن فى قرن من الناس قد تساووا فى الشر دون الخير. ولا أعلم أحدا ممن تعقبوا المتنبى وتتبعوا زلاته قد اعترض على هذا الاستعمال.

ومعنى هذا أن إطلاق الجيل على القرن من الناس أو على أهل الزمن الواحد إن لم يكن منقولا عن العرب القدماء فهو موجود فى شعر العصر العباسى على سبيل التوسع أو المجاز.

أما الكلمة العربية القديمة المستخدمة للدلالة على اختلاف الزمان فهى كلمة «قرن» وقد فسرتها المعاجم بقولها: القرن: الأمة تأتى بعد الأمة ـ قيل مدته عشر سنين وقيل عشرون وقيل ثلاثون وقيل أربعون وقيل ستون وقيل سبعون وقيل ثمانون وقيل مائة.

وفى الحديث النبوى أنه مسح رأس غلام وقال: عش قرنا فعاش مائة سنة. والصحيح أن الكلمة استخدمت دون تحديد دقيق، بمعنى أهل كل زمان أو مقدار التوسط فى أعمار أهل الزمان. وقد ورد فى الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم: خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم واشتقاق القرن من الاقتران، فهو يشمل كل المقترنين فى وقت بعينه. أما من يأتون بعدهم فهم ذوو اقتران آخر.

وقد وردت «قرن» فى القرآن الكريم سبع مرات بصيغة المفرد وثلاث عشرة مرة بصيغة الجمع، ووردت مرتين فى آية واحدة هى قوله تعالى فى سورة الأنعام **﴿ألم يروا كم أهلكنا**

من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض مالم نمكن لهم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا لأنهار تجرى من تحتم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾ قال الفخر الرازى فى تفسيره: القرن المقترنون فى زمان من الدهر.. ولما كانت أعمار الناس فى الأكثر الستين والسبعين والثمانين قال بعضهم القرن هو الستون وقال آخرون هو السبعون وقال قوم هو الثمانون. والأقرب أنه غير مقدر بزمن معين لايقع فيه زيادة ولا نقصان، بل المراد أهل كل عصر: فإذا انقضى منهم الأكثر قيل قد انقضى القرن.

ونعود إلى كلمة «جيل» فنقول إنه على تفسيرها بالقرن كما ذكر الزبيدى فى تاج العروس يكون الخلاف فى تحديد مدتها الزمنية كالخلاف فى تحديد المدة الزمنية لكلمة قرن.

تحتهم الأنهار

الفصل الرابع

نفساني وروحاني

يشيع على الألسنة والأقلام الآن استعمال كلمتي «نفساني» و «روحاني» في مجالات الأمراض وطرق العلاج النفسي والروحي. ويرفض بعضهم استخدام هاتين الكلمتين ويفضل عليهما كلمتي: «نفسي» و «روحي».

فما الرأي الفصل في هذا الخلاف؟

من المعروف أن قاعدة النسب تقتضي زيادة الياء المشددة على المنسوب إليه دون تغيرات أخرى (إلا في حالات خاصة منصوص عليها). وعلى هذا يكون النسب إلى نفس: نفسيّ وإلى روح: روحي.

ولكن باب النسب كما يقول السيوطي يكثر فيه الشذوذ، وبنص عبارته «شواذ النسب المخالفة لما مر لاتحصى» (الهمع ٦ / ١٧٣).

فهل ورد عن العرب في هاتين الكلمتين ما يشذ عن القاعدة الأساسية؟ لم أجد في المراجع القديمة ما يدل على استخدام القدماء لكلمة نفساني، ولكنني وجدت كلمات كثيرة نسب العرب إليها بزيادة الألف والنون من بينها كلمة روح ومن ذلك:

١ ، ٢ ـ برّاني وجواني (وردت الكلمة الأخيرة في المعاجم بضم الجيم وبفتحها). ومن كلام سليمان: من أصلح جوانيته بر الله برانيته. وورد: من أصلح جوانيه أصلح الله برانيه.

٣ ـ جُمّاني للعظيم الجُمّة وهو شعر الرأس إذا وصل إلى المنكب.

٤ ـ ديّراني لصاحب الدير.

٥ ـ ربّاني للحبر ورب العلم أو الذي يعبد الرب. زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب.

٦ ـ رَقَباني لعظيم الرقبة غليظها.

٧ ـ روحانى لما خلق روحا بغير جسد نحو الملائكة والجن. أو لكل ذى روح من الناس والدواب والجن.

٨ ـ شعرانى لكثير شعر الرأس والجسد طويله.

٩ ـ لحيانى لطويل اللحية عظيمها.

١٠ ، ١١ ـ جثمانى وجسمانى لضخم الجثة.

١٢ ، ١٣ ـ مخبرانى ومنظرانى لحسن المخبر والمنظر.

١٤ ـ نسبوا إلى الجوْل والجوْلان: التراب والحصى الذى تجول به الريح فقالوا: جولانى.

١٥ ـ وقالوا صيدلانى فى النسبة إلى مهنة الصيدلة.

١٦ ـ وقالوا منبجانى نسبة إلى موضع يسمى منبج.

١٧ ـ وقالوا نصرانى نسبة إلى نصرى أو ناصرة أو نصورية (بالشام).

١٨ ـ وقالوا رَوْحانى نسبة إلى الرَّوح.

(انظر لسان العرب ـ الهمع ٦ / ١٧٤ ـ الأشمونى ٤ / ٢٠٢ ـ ديوان الأدب ٣ / ٣٨٥ ـ أزاهير الفصحى ـ عباس أبو السعود ص ٣٥٧ وما بعدها)

وقد ذكر المعجم الوسيط كلمات أخرى تنسب بزيادة الألف والنون مثل حق وحقانى[1] وتحت وتحتانى وذكرت بعض المعاجم فوق وفوقانى وسفل وسفلانى. ويشيع كذلك الآن استخدام عقل وعقلانى.

ومن يتأمل الأمثلة السابقة وتعليقات اللغويين عليها يلاحظ أن الألف والنون قد زيدتا فى صيغة النسب للدلالة على أحد معنيين:

١ ـ معنى المبالغة والوصف بالضخامة أو الغزارة أو العظم، وهو المعنى الغالب فى معظم كلمات هذا النوع.

٢ ـ معنى الوصف بالعلمْ. فقد ورد فى لسان العرب مانصه: «الربانى الذى يعبد الرب. زيدت الألف والنونَ للمبالغة فى النسب، وقال سيبويه: زادوا ألفا ونونا فى الربانى إذا أرادوا تخصيصا بعلم الرب دون غيره كأن معناه: صاحب علم بالرب دون غيره من العلوم... فالربىّ منسوب إلى الرب والربانى الموصوف بعلم الرب». وهناك تفسير ثالث

(١) كانت وزارة العدل فى مصر حتى وقت قريب تسمى وزارة الحقانية.

بدا لى وهو أن تكون زيادة الألف والنون فى بعض هذه الكلمات قد قصد بها اشتقاق أوصاف تدل على المبالغة، بغض النظر عن النسبة إليها أولا. ولعل أوضح الأمثلة على هذا التفسير كلمة «الرقبانى» فقد ورد فى لسان العرب بجانبها كلمة «الأرقب»، كما ذكر ابن دريد (الجمهرة ١ / ٢٧١) أنه يقال كذلك، رجل رقبان. ومن الممكن التمثيل لذلك بكلمة حيان التى ينسب إليها فى اللهجة المصرية وتستعمل وصفا لنوع من «البلح» حين ينادى عليه البالغ قائلا: (حيانى يا رطب). وربما كانت كلمة إنسان قد تطورت عن هذا الطريق حيث زيدت الألف والنون على كلمة «إنس» ثم نسب إلى إنسان فقيل إنسانى[1].

وحيث كانت زيادة الألف والنون فى النسب تحمل معنى إضافيا على مجرد النسبة فلا معنى إذن لاعتبار هذا النوع من الكلمات من شواذ النسب أو من نادر معدول النسب على حد تعبير سيبويه.

وعلى هذا فلامانع من استعمال كلمتى نفسانى وروحانى بمعناهما الحديث، للدلالة على معنى الموصوف بعلم النفس (أو المنسوب إليه) أو الموصوف بعلم الروح (أو المنسوب إليه) وتكون الدراسة الروحانية والطب الروحانى هما المتعلقان بعلم الروح، والدراسة النفسانية والطب النفسانى هما المتعلقان بعلم النفس. ولعل هذا كان هو السبب فى اختيار الدكتور فاخر عقل (مؤلف معجم علم النفس) ترجمة كلمة Psychological إلى سيكولوجى أو نفسانى، وتعليقه على هذا بقوله: نسبة إلى سيكولوجيا (علم النفس) وليس إلى النفس (ص ٩١). فيكون نفسانى نسبة إلى علم النفس ونفسى نسبة إلى النفس وروحانى نسبة إلى علم الروح، وروحى نسبة إلى الروح وهى تفرقة دقيقة ما أحرانا أن نلتزم بها.

وأخيرا أشير إلى أن المعجم الوسيط (إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة) قد أورد كلمة الطب الروحانى وإن اعتبرها مولدة، كما أورد كلمة «عَلْمانى» نسبة إلى العَلْم بمعنى العالَم (وهو خلاف الدينى أو الكهنوتى) دون أن يحدد مستوى الاستخدام.

(١) لاحظ كذلك أن كلمتى جثمان وجسمان وردتا فى المعاجم أيضاً بدون نسبة.

الفصل الخامس

النسب إلى فعيلة

يكثر على الألسنة الآن النسبة إلى كلمات على وزن فعيلة مثل: بديهة ـ حنيفة (أبو حنيفة) ـ سليقة ـ صحيفة ـ ضريبة ـ طبيعة ـ عقيدة ـ غريزة ـ قبيلة ـ كنيسة ـ مدينة ـ وثيقة ـ وظيفة.

ويختلف الاستعمال الحديث فى النسبة إلى هذه الكلمات:

١ ـ فالنسب إلى أبى حنيفة: حَنَفى ولا أحد يقول حنيفى.

والنسب إلى صحيفة: صَحَفى، ولا أحد يقول صحيفى (ولكن قد يقال صُحُفى بالنسب إلى الجمع).

والنسب إلى قبيلة: قَبَلى، ولا أحد يقول قبيلى.

والنسب إلى مدينة: مَدَنى، ولا أحد يقول مدينى.

٢ ـ أما الكلمات: بديهة وطبيعة وعقيدة وغريزة وكنيسة ووظيفة فينسب إليها المحدثون مع الاحتفاظ بالياء فيقولون: بديهى وطبيعى وعقيدى وغريزى وكنيسى ووظيفى. وتوجد قلة قليلة تنسب إليها بحذف الياء.

٣ ـ وأما كلمة ضريبة فلا ترد فى الاستعمال الحديث إلا بالياء فيقال: العدالة الضريبية والبطاقة الضريبية، والقوانين الضريبية... ولم أسمعها أو أجدها بدون الياء فى أى عبارة حديثة.

٤ ـ وأما كلمة وثيقة فيندر النسبة فيها إلى المفرد، ويفضل المعاصرون فيها النسب إلى الجمع فيقال: بحث وثائقى، ودراسات وثائقية. وقد ينسبون إلى كلمة كنيسة بالجمع كذلك فيقولون كنائسىّ، كما قد ينسبون إلى عقيدة بالجمع فيقولون عقائدى.

وليس الاستعمال القديم بأكثر استقرارا أو اطرادا من الاستعمال الحديث:

ففى حين تتحدث المعاجم وكتب النحو عن قاعدة النسبة إلى فعيلة (بشروط) على فَعَلِىّ وتضرب المثل بصحفى وحنفى وربعى ومدنى (نسبة إلى صحيفة وحنيفة وربيعة ومدينة) نجدها تذكر كلمات كثيرة وردت بالنسب مع إثبات الياء بعضها دون خوف الالتباس بشىء وبعضها مخافة الالتباس بلفظ آخر. فقد قال العرب فى النسب إلى عَميرة: عميرى، وإلى سليقة: سليقى[1]، وقد جاء عليه قول الشاعر:

ولست بنحوى يلوك لسانه ولكن سليقى أقول فأعرب

وفرق أبو البركات عبد الرحمن بن الأنبارى بين الحنفى والحنيفى، فالأول عنده نسبة إلى مذهب أبى حنيفة، والثانى إلى قبيلة بنى حنيفة. قال السيوطى: «كما فرقوا بين المنسوب إلى المدينة النبوية وإلى مدينة المنصور، فقالوا فى الأول: مدنى وفى الثانى مدينى» (الهمع ٦ / ١٦٢).

وخوف اللبس الذى تحدث عنه ابن الأنبارى والسيوطى هو مدخلنا إلى إجازة النسب إلى فعيلة على لفظها فيما لم يرد فيه سماع صحيح. فإذا كان النسب إلى فَعيلة على فَعَلى، وإلى فَعولة على فَعَلى، وإلى فَعل (كملك) على فَعَلى، وإلى فَعَل على فَعَلى ألا يخشى من كل هذا الوقوع فى اللبس؟ فإذا قلنا حَدَقِىّ لم تعرف أهى نسبة إلى حدقة العين أم إلى الحديقة. وإذا قلنا جزَرى لم تعرف أهى نسبة إلى الجزَر أم إلى الجزيرة. فضلا عن أن النسبة بحذف الياء فى فعيلة ستباعد بين لفظى المنسوب إليه والمنسوب مما قد يوقع فى خطأ الضبط بالشكل فى النصوص المكتوبة.

فمن سيقرأ طَبَعِىّ ووثَقَىّ ووَظَفَى... ونحوها قراءة سليمة؟ ومن سيدرك المعنى المراد بسهولة ولا يتوقف لمحاولة فهمه؟

ومن الغريب أن المراجع القديمة لا تستشهد إلا ببضع كلمات نسب فيها العرب إلى فعيلة على فعلى وتعطيها الغلبة فتبنى عليها قاعدة وتخرج من النظر نوعين من الكلمات:

١ ـ النوع الذى وردت النسبة فيه بدون حذف الياء ومن ذلك: الحنيفية. وفى الحديث: أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة، ويقال كذلك ملة حنيفية. ومنه كذلك سليقية وعميرية وسليمية.

---

(١) سمع كذلك سليمى. فمنهم من اعتبره نسبة إلى سليم (الهمع ٦ / ١٦٢) ومنهم من اعتبره نسبة إلى سليمة (الأشمونى ٤ / ١٨٦).

٢ ـ النوع الذى لم تتحدث فيه المراجع عن كيفية النسبة إليه وهو الكثرة الكاثرة من الكلمات مثل: حقيبة ـ خميرة ـ حريسة ـ فريسة ـ لقيطة ـ حديقة ـ قسيمة ـ عشيرة ـ جريدة ـ ذبيحة ـ عصيدة ـ جبيرة ـ حصيرة ـ خريطة ـ شريعة ـ قطيعة ـ خليفة ـ خليقة ـ خميلة ـ عقيلة ـ رهينة ـ سفينة ـ وديعة ـ وليمة ـ خريدة.. وعشرات أخرى من الكلمات.

فكيف نعطى الترجيح لأحد الطرفين المتوازنين[١] على الرغم من خروجه على الأصل ونغفل الطرف الآخر على الرغم من معاضدة القاعدة الأصلية له؟

وإذا كان العرب قد قالوا رَبَعىّ ومدنى وصحفى وحنفى فهل ورد عنهم أنه لا يقال ضريبى وطبيعى وبديهى ووظيفى وغريزى.... إلخ وما أطرف ما يرويه ابن منظور عن حالة مشابهة أفتى فيها الأصمعى بفتوى متشددة منع بها استخدام كلمة «زوجة» للمرأة وألزم المتكلم باستخدام كلمة «زوج» للذكر والأنثى. وحينما استشهد الأصمعى بقوله تعالى: ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ اعترض عليه أحد اللغويين قائلا: فهل قال عز وجل: لا يقال زوجة؟ وعقب ابن منظور على هذا الاعتراض الساخر بقوله: «وكانت من الأصمعى فى هذا شدة وعسر». ونعود الآن إلى مناقشة رأى النحاة فى قضية القلة والكثرة وإلى تعويلهم على أربع كلمات بنوا عليها قاعدة فنقول إنه على الرغم من إجماع كتب النحو على اتباع سيبويه فى حذف ياء فعيلة[٢]، فقد ثبت بالاستقراء الحديث أن ماورد عن العرب بإثبات الياء أكثر بكثير مما ورد بحذفها. وقد كان أول من هز القاعدة النحوية وشكك فى صحتها الأب أنستاس مارى الكرملى الذى نشر مقالة فى مجلة المقتطف يوليو ١٩٣٥ أثبت فيها أن النسبة إلى فعيلة على وزن فعيلى ليست شاذة ثم عرض مائة وثلاثة شواهد على تأييد رأيه، وأكد أن تلك الشواهد ليست كل الوارد إذ لم يتسع وقته لجمع الباقى الذى يقطع بوجوده. واستند أيضا فى تأييد رأيه إلى قول ابن قتيبة فى كتابه أدب الكاتب: «إذا نسبت إلى فعيل وفعيلة من أسماء القبائل والبلدان وكان مشهورا ألقيت منه الياء مثل ربيعة وبجيلة تقول: رَبَعى وبَجَلى وحنيفة حَنَفى، وفى ثقيف ثَقَفى وعتيك عَتَكى، وإن لم يكن مشهورا لم تحذف الياء فى الأول ولا فى الثانى» (فى أصول اللغة ٥٨/٢ وما بعدها، معجم الأخطاء الشائعة ٦٢٣). وتقدم أكثر من عضو بمجمع اللغة العربية بمصر باقتراح تعديل القاعدة النحوية، منهم الأمير

(١) التوازن بالنسبة لروايات النحاة. وسيرد مايثبت رجحان كفة الطرف المخالف فيما بعد.
(٢) لاحظ أن ابن منظور اعتبر كلمة صحفى مولدة (اللسان ـ صحف).

مصطفى الشهابي الذى قدم بحثا بعنوان «ملاحظات لغوية واصطلاحية» تناول فيه النسب إلى فعيلة وطالب بإثبات يائها فى غير المشهور من الأعلام. ثمن قدم الأستاذ عبد الحميد حسن بحثا بعنوان «مسائل نحوية ولغوية تتطلب النظر» اقترح فيه إبقاء صيغة النسب إلى فعيلة بفتح فكسر وفعيلة بضم ففتح من غير حذف مع المحافظة على ماورد عن العرب النسب إليه بالحذف، وقدم الأستاذ عباس حسن بحثا بعنوان: النسب إلى فَعيلة وفُعيلة سار فى نفس الاتجاه ولخص رأيه فى أن النكرات لا يحذف منها شيء لأن علة الحذف القياس على المسموع، مع أن السماع مقصور على المشهور من الأعلام ،بل إن العرب لم تلتزم فيه الحذف. وما ليس من الأعلام المشهورة يجب فيه إثبات الياء إذ لاسند له من المسموع، وما سمع عن العرب بالحذف يجوز فيه الأمران عملا برأى بعض الأئمة الذين نصوا على جواز تطبيق المطرد على المسموع للتيسير (فى أصول اللغة ص ٨٦).

وأخيرا أصدر المجمع قراره بإجازة الحذف والإثبات. الحذف مراعاة لما سمع بحذف الياء، والإثبات مراعاة للأصل وهو النسب بغير حذف شيء إلا تاء التأنيث ولما سمع بإثبات الياء. وعلى الرغم من أن المجمع لم يمنع حذف الياء فقد وجدت بعض آراء تمنعه فيما لم يسمع عن العرب، واقترح بعضهم أن تكون القاعدة على النحو التالى:

١ ـ القياس المطرد فى النسب إلى فعيلة هو فعيلى فيما لم يكن علما أو كان علما غير مشهور.

٢ ـ يجوز النسب إلى فعيلة العلم على فَعَلى إذا اشتهر الاسم شهرة تمنع اللبس.

٣ ـ ماورد عن العرب منسوبا بحذف الياء يبقى على ماورد السماع به ويلتزم.

٤ ـ ماورد عن العرب بحذف الياء كان مقصورا على الأعلام. وقد وردت كلمة طبيعة منسوبة بالياء فى المصباح المنير (مادة جبل) وكلمة سليقة بالياء كذلك.

ولعل هذا الرأى هو الأولى بالقبول وهو الذى تطمئن النفس إليه. وقد مال إليه الأستاذ محمد العدنانى فى كتابه «معجم الأخطاء الشائعة»، والدكتور مصطفى جواد فى كتابه «قل ولا تقل». الذى يقول: «فإذا كانت هذه القاعدة (حذف الياء) لاينبى عليها إلا فى الأعلام، وكثر الشذوذ منها فى الأعلام بأعيانها، فكيف يبنى عليها فى أسماء الجنس كالبديهة والقبيلة والكنيسة؟ فإذا جاز حذف الياء فى العلم فذلك لأن العلم له من الشهرة والاستفاضة ما يحفظه عند الحذف، وله من قوة المنسوب ما يميزه عن غيره ويبعده من اللبس». ثم انتهى إلى قوله : فقل بديهى وقبيلى وكنيسى وسليقى ولا تقل بدهى وقبلى وكنسى وطبعى.

الفصل السادس

أفعل التفضيل بين قواعد النحو وواقع الاستعمال

يعرف أفعل التفضيل بأنه صفة على وزن «أفعل» أو «فُعْلَى» تدل على زيادة وجود الصفة فى شخص أو شىء إما مطلقاً أو بالنظر إلى غيره.

كيفية صياغته:

هناك وسائل ثلاث لصياغة أفعل التفضيل وهى:

أ ـ صياغة «أفعل» من الفعل مباشرة مثل:

﴿ ياقوم أرَهطِى أعزُّ عليكم من الله ﴾ (قرآن)

﴿ هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ﴾ (قرآن)

﴿ ليوسفُ وأخوه أحبُّ إلى أبينا منا ﴾ (قرآن)

ب ـ صياغة «أفعل» من فعل مساعد والإتيان بالمصدر الصريح بعده من الوصف المراد تفضيله منصوبا على التمييز مثل:

﴿ فهى كالحجارة أو أشدّ قسوة ﴾ (قرآن).

﴿ فأهلكنا أشدّ منهم بطشاً ﴾ (قرآن).

﴿ والذين آمنوا أشدُّ حباً لله ﴾ (قرآن).

﴿ ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ (قرآن).

﴿ أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾ (قرآن).

جـ ـ صياغة «أفعل» من فعل مساعد والإتيان بالمصدر المؤول بعده من الوصف المراد تفضيله مثل:

﴿ فالله أحق أن تخشوه ﴾ (قرآن).

﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ (قرآن).

﴿ أفمن يهدى إلى الحق أَحَقُّ أن يُتَّبع ﴾ (قرآن).

﴿ ذلك أدنى أن يُعْرفن فلا يؤذين ﴾ (قرآن).

﴿ ذلك أدنى ألا تعولوا ﴾ (قرآن).

﴿ ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا ﴾ (قرآن).

وقد قال صاحب البحر فى الآية الأخيرة: «وقُدر: أدنى لأن لا ترتابوا»، أو «أدنى إلى أن لا ترتابوا»، أو: «أدنى من أن لا ترتابوا»، ثم حذف حرف الجر فبقى منصوبا أو مجرورا على الخلاف»[1].

وتتعدد أنواع الأحداث التى يراد أخذ التفضيل منها لتأخذ أربعة أشكال:

١ ـ فنوع يؤخذ أفعل التفضيل منه بأى وسيلة من الوسائل الثلاث حسب ما يتطلبه المقام.

٢ ـ ونوع يؤخذ أفعل التفضيل منه بالوسيلتين الثانية والثالثة.

٣ ـ ونوع يؤخذ أفعل التفضيل منه بالوسيلة الثالثة فقط.

٤ ـ ونوع لا يؤخذ أفعل التفضيل منه مطلقاً.

والمشهور أن النوع الأول يتحقق فى الأحداث التى تتوافر فيها الشروط الآتية:

أ ـ أن يكون فعلاً ـ متصرفاً ـ قابلاً للتفاوت أو التفاضل.

ب ـ أن يكون الفعل ثلاثيا ـ مجرداً ـ تاماً ـ ليس الوصف منه على أفعل فعلاء[2].

ج ـ أن يكون الفعل مبنيا للمعلوم ـ مثبتاً.

أما النوع الرابع فيتحقق فى الأحداث التى تختل فيها الشروط الثلاثة فى (أ).

وأما النوع الثانى فيتحقق فى الأحداث التى تختل فيها الشروط الأربعة فى (ب).

وأما النوع الثالث فيتحقق فى الأحداث التى يختل فيها الشرطان الواردان فى (ج).

---

(١) البحر المحيط ٣٥٢/٢.

(٢) قالوا فى الأخير: لأن الصفة المشبهة تبنى من هذه الأفعال على وزن «أفعل»، فلو بنى التفضيل منها لالتبس بها.

ومع ذلك فقد اختلت هذه الشروط في كلام العرب حتى قال الأستاذ محمد بهجة الأثري في بحث له ألقاه أمام مجمع اللغة العربية بالقاهرة: «إنني علقت من هذه الأمثلة الناقضة للقاعدة المذكورة في (تذكرتي) في اللغة زهاء مائة مثال خالفت كلها شروط هذه القاعدة»(١).

فما اختل فيه واحد من شروط المجموعة (أ):

* الاشتقاق من وصف لا فعل له أو من اسم جامد مثل: هو أقمن به (من قَمِنٌ بكذا) وما أذرع فلانة [التعجب كالتفضيل]، (من قولهم: امرأة ذَرَاع)، وقالوا: ألصُّ من شظاظ، كما قالوا: «أحنك الشاتين»، و«أحنك البعيرين» [من الحَنَك] وكذلك قالوا: «فلان آبلُ من فلان»، وهو «آبل الناس كلهم» [من الإبل]. ومن الأمثلة التي ذكرها الأستاذ محمد بهجة الأثري عن العرب: أبلد، وأتيس، وأفلس.
* الاشتقاق من فعل جامد، فقد سمع: «ما أعساه»، و«أَعْسِ به» بمعنى «ما أحقه».
* أما الاشتقاق مما لا يقبل التفاوت والمفاضلة فلا يمكن ـ إذا سلمنا بوجوده ـ أن يكون قد سمع منه التفضيل. ومع ذلك فإن ما مثّلوا به يمكن أن يقع فيه تفاوت كفعل «الموت»(٢)، أوليس من الممكن أن يقال: «ما أشنع ميتته»، و«ما أيسر ما فاضت روحه إلى بارئها»، و«مات فلان أسوأ ميتة»؟

ومما اختل فيه واحد من شروط المجموعة (ب).

* الاشتقاق من الفعل الثلاثي المزيد، وقد وردت له أمثلة كثيرة حتى جوزه الأخفش مطلقا، وجوزه بعضهم من وزن «أفعل» فقط. ومما سمع في هذا: أشبه وأفسد وأتقن وأخطأ وأصوب وأسن وأولى (للمعروف) وأعطى (للدرهم)، وما أظلم (الليل)، وما أقفر (المكان)، وما أملأ (القربة)، وما أتقاه.
* الاشتقاق من الفعل الناقص، وبه قال الكوفيون الذين حكوا «ما أَكْوَنَ زيدا قائماً». أما التفضيل والتعجب بالواسطة فجائز إما مع المصدر الصريح: «ما أقسى كونك جاهلا» أو المصدر المؤول «ما أجمل أن تكون متفوقا».

---

(١) في أصول اللغة ١٢٧/١.

(٢) في معجم النحو (مادة اسم تفضيل) مثّل بطلوع الشمس وغروبها. ولكن أليس من الممكن أن يقال: ما أسرع غروب الشمس، أو يقال: الشمس أسرع غروبا في الشتاء منها في الصيف..؟

* الاشتقاق مما وصفه على أفعل فعلاء، وقد وردت له أمثلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ **ومن كان فى هذه أعمى، فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا**﴾. فإذا كانت الأولى صفة من العمى، فالثانية تفضيل، أى أشد عمى بدلالة المعطوف وهو «أضل سبيلا». والتفضيل هنا شيء يقتضيه الجزاء والعقاب. ولا يعكر على هذا الفهم قول بعضهم إنه من عمى القلب، ومنه يقال ما أعماه، كما يقال ما أحمقه، لأن عمى القلب يأتى الوصف منه على أفعل ومؤنثه فعلاء. ولكثرة أمثلته جوزه بعضهم فى العاهات «ما أعوره» وبعضهم فى الألوان «ما أحمره» وبعضهم فى السواد والبياض فقط. وقد ورد فى حديث صفة جهنم: « أسود من القار» ، وجاء فى حديث صفة الحوض: «ماؤه أبيض من اللبن» وجاء عليه قول المتنبى:

لأنت أسودُ فى عينى من الظُّلَم.

ومما اختل فيه شرط البناء للمعلوم فى المجموعة (ج) قولهم:

ما أجَنَّه، وما أشغله، وما أخصره وهو أخصر من غيره، وما أزهاه، وهو أزهى من ديك، وأشغل من ذات النحيين، وأشهر من غيره، وأعنى بحاجتك. ولكثرة ما جاء من هذا النوع أجازه بعضهم عند أمن اللبس، وأجازه بعض آخر مما كان ملازم البناء للمجهول.

فلا عجب ـ بعد هذا ـ أن يصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة قراره بالتخفف من معظم هذه الشروط استنادا إلى:

١ ـ اختلاف النحاة فى بعض هذه الشروط.

٢ ـ كثرة ما ورد عن العرب مناقضا لهذه الشروط.

٣ ـ قرار المجمع بتكملة فروع مادة لغوية لم تذكر بقيتها، مما يسمح بصوغ أفعل التفضيل مما لا فعل له.

٤ ـ التوسع فى استخدام المصدر الصناعى الذى سيفتح بابا للتفضيل والتعجب من الأسماء الجامدة مثل: «يعيش حياة أكثر بهيمية»، ومن الصفات، مثل التفضيل: «أكثر أهمية» ، واسم المفعول: «أظهر محسوبية» ، واسم الفاعل: «أشد فاعلية» . وقد أخذ الصبيان فى

حاشيته على شرح الأشمونى بهذا الاتجاه فقال: «والمتجه عندى أنه يتعجب منه بزيادة ياء المصدرية أو ما في معناها فيقال ما أشد أو ما أشد كونه حمارا فاحفظه»[1].

التفضيل باستخدام فعل مساعد مع توافر الشروط:

كثيرا ما يتعلق الغرض بوصف زائد على مجرد التفضيل، ولذا يعدل المتكلم عن الصيغة الأولى للتفضيل ويختار الصيغة الثانية. ويتجلى هذا الاختيار فى الأمثلة القرآنية الآتية:

١ ـ ﴿ **ثم قَسَتْ قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشدُّ قسوة** ﴾.

٢ ـ ﴿ **لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا** ﴾.

٣ ـ ﴿ **كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا** ﴾.

٤ ـ ﴿ **فأهلكنا أشد منهم بطشا** ﴾.

٥ ـ ﴿ **لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله** ﴾.

٦ ـ ﴿ **ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** ﴾.

٧ ـ ﴿ **إذا لهم مكْر فى آياتنا قل الله أسرع مكرا** ﴾.

٨ ـ ﴿ **فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا** ﴾.

ففى الأمثلة الخمسة الأولى التى استخدم فيها «أشد» كان يمكن التفضيل من القسوة والعداوة والقوة والبطش والرهبة دون مساعد. ولكن اختارت الآيات هذا الأسلوب لتحقيق غرضين.

١ ـ استخدام أسلوب التمييز الذى يفيد الايضاح بعد الإبهام، وهو أوقع فى النفس.

٢ ـ وصف القسوة بالشدة، كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة، وقسوة قلوبهم أشد، وهذا أدل على فرط القسوة من التفضيل المباشر[2]. ومثل هذا يقال فى بقية الأمثلة.

أما فى بقية الأمثلة فلم يتعلق الغرض بالحدث الواقع تمييزا وحده، وإنما تعلق به وبالصفة التى تبين نوع الحدث أو درجته ورتبته فى قائمة الاحتمالات. فأفضلية الحكم لا تعبر بمفردها عن المراد، إذ المراد أحسنية الحكم، وكذلك فى المثال السابع إذ المراد أسرعية المكر. أما المثال الثامن فالأفضلية فيه عكسية لأنها جاءت فى جانب السلب لا الإيجاب ولذلك لم يكن هناك بد من استخدام الصفة الكاشفة التى تتعلق بسلب الأفضلية وهى الأضعفية.

(١) حاشية الصبان على الأشمونى ٢٣/٣، ٢٤.
(٢) الكشاف ٧٧/١.

أفعل التفضيل بين الإطلاق والنسبية:

يقتضى التفضيل استحضار مفضَّل عليه فى الذهن سواء ذكر فى الجملة أو لم يذكر. فإذا كان التفضيل بالنسبة لكل ماعدا المفضَّل فهو التفضيل المطلق أو التفضيل التام، ويسمى درجة التفضيل العليا. وإذا كان بالنسبة لشىء معين محدد فهو التفضيل النسبى أو الإضافى، ويسمى درجة المقارنة.

ويدخل فى التفضيل المطلق:

١ ـ أفعل التفضيل المحلّى بأل مثل قوله تعالى:

* ﴿ **وكلاً وعد الله الحسنى** ﴾، قال المفسرون: الحسنى: الجنة.

* ﴿ **الله لا إلا هو له الأسماء الحسنى** ﴾.

* ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾. ولا ينفى التفضيل المطلق الوعد بالزيادة، لأن الأول بحسب ما يتصوره الإنسان وما يحيط به علمه، وأما الزيادة فشىء مدّخر لهم يوم القيامة حيث تعمر الجنة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ولهذا قال المفسرون فى الزيادة بأن المراد منها: النظر إلى وجه الله الكريم أو قبول الشفاعة، أو الهدايا التى لم يروا مثلها قط..

* ﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى** ﴾، قال المفسرون: أى الملة الحسنى وهى ملة الإسلام.

* ﴿ **إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار** ﴾، وهو الطبقة التى فى قعر جهنم ولا يسفلها شىء.

* ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾، قال المفسرون: معناه: أعلى من أن يقاس به أو يعتبر بغيره.

* ﴿ **وأذان من الله ورسوله إلى الناس يومَ الحج الأكبر أنّ الله برىءٌ من المشركين ورسولهُ** ﴾. قال المفسرون: هو العام الذى حج فيه النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وحجت معه فيه الأمم. وقيل المراد به يوم عرفة، أو يوم النحر، أو الجمع بين الحج والعمرة.

ويجب فى هذا النوع المطابقة بين اسم التفضيل وموصوفه فى العدد والجنس كما يجب

إخلاؤه من «من» والمفضل عليه[1] مثل: «الفزع الأكبر»، «البطشة الكبرى». ولم يرد فى القرآن الكريم ما يخالف هاتين القاعدتين، ومع ذلك يلاحظ.

أ ــ أن الصيغ المذكّرة وردت فى القرآن أكثر من الصيغ المؤنثة (١٩ : ١٢ حسب إحصاء الشيخ عضيمة).

ب ــ أن هناك صفات ورد منها المذكر والمؤنث، وصفات ورد منها المذكر فقط، وصفات ورد منها المؤنث فقط.

فمن الأول: الآخَر والأخرى.

الأول والأولى.

الأكبر والكبرى.

ومن الثانى: الأخسر، والأعز، والأذل، والأرذل، والأوفى، والأشقى، والأقدم، والأقرب، والأكرم، والأتقى، والأولى، والأيمن.

ومن الثالث: الحسنى، والسُّوءَى، والمثلى، والوثقى، والوسطى.

ويثير النوع الثانى أكثر من مشكلة لغوية:

١ ــ إذا كانت المطابقة فى الجنس ضرورية فهل سمع عن العرب تأنيث كل «أفعل»؟

وما حكم مالم يسمع تأنيثه؟

أما أن العرب أنثوا كل «أفعل» أو حتى كثيرا من «أفعل» فهو ما ينفيه السماع. وقد رأينا مثلا أن الخُسرى والعُزّى والذلى والرُّذلى.. الخ لم ترد فى القرآن ولم تنقل عن العرب. بل أكثر من هذا فإن كلمة «أشد» من أكثر الوسائط ترددا فى القرآن الكريم إن لم تكن أكثرها على الإطلاق (وردت ٣١ مرة كما يظهر من إحصاء المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) ومع ذلك لم يرد لها مؤنث لا فى القرآن ولا فى لغة العرب.

فما حكم مالم يسمع تأنيثه عن العرب؟

(١) إذا كان هذا الإخلاء واجبا، فهل ينسحب على تعبير مثل: «هو الأفضل بالنسبة لطلاب فرقته»؟

في التصريح: لابد من ملاحظة السماع.

وفى كفاية المستوفى: لا يُستغنى فى... التأنيث عن السماع، فإن الأشرف والأظرف لم يقل فيهما... الشُرْفَى... والظُرفى كما فى الأفضل والأطول.. وكذلك الأكرم والأمجد... لم يسمع فيهما الكُرمى والمُجدى(1).

ولكن فى شرحى الكافية والشافية للرضى أن مؤنث أفعل على فُعلى قياس.

٢ ـ وحتى لو أخذنا بمبدأ القياس وأطلقنا القاعدة من أجل التيسير كما اتجه مجمع اللغة العربية بالقاهرة فهل سيقبل الذوق أن نقول شُدَّى (من أشد) وكُثرى (من أكثر) وقُلى (من أقل) وضُعفى (من أضعف) وسُرعى (من أسرع) وكذلك: عُزَّى وذُلى وشُقيا وحُرصى وحُكْمَى وكُرمى وغيرها مما ورد مذكره فى القرآن الكريم فقط، فما بالك بما ورد جميعه فى لغة العرب؟

ولعل هذا المأزق، مأزق المطابقة فى التأنيث، وعدم إلف «فُعْلَى» للتفضيل تأنيثاً لأفعل كان السبب فى ظهور تعبيرات حديثة خرجت على مبدأ المطابقة واستخدمت «الأفعل» وصفاً للمؤنث، حتى فيما سمع فيه التأنيث، ومن ذلك:

القضية الأخطر.

الدولة الأولى بالرعاية.

الوجبة الأطيب.

هى الأصدق قولاً والأضمن تنفيذاً.

لماذا لا نواجه الأخطار الأكبر.

الدولتان الأعظم.

لتحقيق الحياة الأفضل.

المصيبة الأعظم عدم استفادة المرء من أخطائه.

ضحَى بالقيمة الأدنى ليظفر بالقيمة الأعلى.

(١) فى أصول اللغة ١٥٢/١.

وآخر ما قرأته عنوان استطلاع ورد فى مجلة العربى، وهو: «التوسعة الأضخم فى التاريخ: الحرَمان الشريفان يسعان جميع المسلمين».

فما الحل؟

أ ـ هل يكون فى تقدير «منْ» ومفضل عليه ـ رغم مخالفته للقاعدة المشهورة ـ محاكاة لقول الأعشى:

ولست بـالأكثـر منهم حـصـى وإنمـــا العـــزةُ للكـــاثـــر

وحذف «من» والمفضل عليه كثير فى لغة العرب كقولـه تعـالى: ﴿ **ذلك أزكى لكم وأطهر** ﴾.

ب ـ أو هل يكن فى اعتبار «ال» موصولاً اسمياً (أو حرفياً على خلاف) كتلك الموجودة فى اسم الفاعل (جاء الضارب) أو الصفة المشبهة (جاء الكريم)، ويكون تقدير الجمل السابقة: القضية التى هى أخطر ـ الدولة التى هى أولى بالرعاية ـ الوجبة التى هى أطيب؟

جـ ـ أو هل يكون فى تغيير تركيب العبارات ليصبح:

أخطر القضايا.

أولى الدول بالرعاية.

أطيب الوجبات... إلخ؟

د ـ أو هل يكون فى القول بقياسية تأنيث «أفعل» ونفرض ذلك حتى يصبح مقبولاً فى الذوق فنقول:

القضية الخُطْرَى.

الدولة الأُولى بالرعاية.

الوجبة الطِّيبىَ؟[1].

وبدون محاولة الحل سيظل الناس يرددون: «الأخطار الأكبر»، مع أن مؤنث الأكبر

(١) بل إن بعض ما سمع ليمجه الذوق، ومن ذلك ما رواه ابن جنبى فى المحتسب ٢٩٩/٢٠) من أن العرب تقول: الخورى والشُّرَى فى تأنيث الأخير والأشرّ.

مسموع وشائع، و«الدولتان الأعظم»، مع أن العُظْميان» قريبة إلى الذهن، و«الحياة الأفضل» مع أن «الفضلى» مقبولة ذوقاً وسماعاً...

٣ ـ وهناك مشكلة أخرى تتعلق بجمع «الأفعل» على «الأفاعل» فمنهم من قصره على السماع، ومنهم من جعله قياساً. ومما سمع من ذلك وورد فى القرآن الكريم كلمة «أكابر»: ﴿ **وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها** ﴾، وأراذل: ﴿**إلا الذين هم أراذلنا**﴾.

أما جمعه جمع مذكر سالماً فكثير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **ثم أغرقنا الآخرين** ﴾ وقوله: ﴿ **إلا أساطير الأولين** ﴾، وقوله: ﴿ **لا جَرَمَ أنهم فى الآخرة هم الأخسرون** ﴾، وقوله: ﴿ **أولئك فى الأذلين** ﴾، وقوله: ﴿ **واتبعك الأرذلون** ﴾، وقوله: ﴿ **فجعلناهم الأسفلين** ﴾، وقوله: ﴿ **وأنتم الأعلَوْن** ﴾، وغير ذلك.

أما جمع «فُعْلَى» جمعاً سالماً فهو قياسى وإن لم يرد فى القرآن الكريم، وورد جمعه جمع تكسير فى لفظين هما: «العُلَى» فى آيتين: ﴿ **ممن خلق الأرض والسموات العُلَى** ﴾ و﴿ **أولئك لهم الدرجات العُلَى** ﴾، و﴿ **الكُبَر** ﴾ فى آية واحدة هى ﴿ **إنها لإحدى الكُبَر** ﴾[1].

٢ ـ ما حذف منه «مِنْ» والمفضل عليه:

وهذا النوع فى القرآن كثير غالب. فقد جاء حذفهما فيه ما يقرب من مائتين وخمسين مرة على التفصيل الآتى:

أ ـ أكثر الحذف فى القرآن كان أفعل التفضيل فيه خبرا للمبتدأ:

﴿ **ولعذاب الآخرة أشد وأبقى** ﴾.

﴿ **فأى الفريقين أحق بالأمن** ﴾.

﴿ **فالله أحق أن تخشوه** ﴾.

ب ـ أو خبراً لناسخ:

(٢) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ١٤٤/٧ وما بعدها.

﴿ **وكانوا أحقّ بها** ﴾.

﴿ **لكان خيراً لهم** ﴾.

﴿ **أليس الله بأعلم بالشاكرين** ﴾.

جـ ـ أو مفعولاً ثانياً:

﴿ **وجعلناكم أكثر نفيرا** ﴾.

﴿ **تجدوه عند الله هو خيراً و أعظم أجرا** ﴾.

د ـ أو غير ذلك:

﴿ **يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية** ﴾.

﴿ **فآمنوا خيرا لكم** ﴾.

ومما يدل على دخول هذا النوع فى التفضيل المطلق ما قاله المفسرون فى قوله تعالى: ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم** ﴾ حيث قالوا: المراد: أزكى من كل شيء نافع.

ولا شك أن فى حذف «مِنْ» والمفضل عليه إشارة إلى قصد التعميم وعدم التقييد بمفضل عليه معين، وذلك أقرب إلى الإطلاق من ناحية، وأدعى لأن تذهب فيه النفس كل مذهب من ناحية أخرى[1].

وهذا النوع من التفضيل يأخذ حكم أصله وهو إلزام «أفعل» فيه الإفراد والتذكير.

٣ ـ أفعل التفضيل المضاف إلى معرفة:

إذا لم تقصد التفضيل على ما أضيف إليه وحده، بل عليه وعلى كل ما سواه، والإضافة حينئذ تكون للتخصيص.

---

(١) وقد يكون الحذف للحفاظ على بديع نظم القرآن كقول تعالى: ﴿ **وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى** ﴾، أو إيجازاً للعلم به، وذلك مطلب من مطالب البلاغة القرآنية.

ويأخذ فى هذه الحالة حكم المحلى «بأل» فتجب فيه المطابقة مثل:

﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾.

﴿ **يقصُ الحق وهو خير الفاصلين** ﴾.

﴿ **وأنت خير الراحمين** ﴾.

﴿ **والله خير الرازقين** ﴾.

وكذلك قولهم: «الناقص والأشجّ أعدلا بنى مروان» (الناقص هو: يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان. سمى بذلك لنقصه أرزاق الجند، والأشج هو: عمر بن عبد العزيز لشجة أصابته).

وقولهم: «محمد صلى الله عليه وسلم أفضل قريش».

ولكون الإضافة فى هذا النوع لمجرد التخصيص جازت إضافة «أفعل» فيه إلى ما ليس هو بعضه (بخلاف المنوى فيه معنى «من» فإنه لا يكون إلا بعض ما أضيف إليه). فلذلك يجوز «زيد أحسن أخوته»، لأن المقصود: الأحسن من بينهم».

أما التفضيل النسبى فيدخل فيه:

١ ـ أفعل التفضيل المضاف إلى معرفة إذا قصدت به التفضيل على ما أضيف إليه وحده (على معنى «مِنْ»)، مثل قوله تعالى:

* ﴿ **ولتجدنّهم أحرص الناس على حياة** ﴾.

* ﴿ **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** ﴾.

* ﴿ **غُلبت الرومُ فى أدنى الأرض** ﴾.

* ﴿ **ومنكم من يُرَدُّ إلى أرذل العمر** ﴾.

* ﴿ **لتجدن أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا** ﴾.

* ﴿ **وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى** ﴾.

* ﴿ **ويوم القيامة يُرَدُّون إلى أشدّ العذاب** ﴾.

* ﴿ **أدخلوا آلَ فرعونَ أشدَّ العذاب** ﴾.

فأحرصية اليهود على الحياة (فى الآية الأولى) لا تنفى أحرصية غيرهم بنفس الدرجة. واتباع الذين اجتنبوا عبادة الطاغوت لأحسن القول (فى الآية الثانية) لا ينفى وجود نفس الصفة فى غيرهم.

وغلبة الروم فى أدنى الأرض (فى الآية الثالثة) لا تعنى عدم وجود أراض أخر يمكن أن توصف بشدة الدنو.

وهكذا....

ويتصف هذا النوع من التفضيل بما يأتى:

١ ـ إضافة «أفعل» فيه إلى ما هو بعضه[١]، ولذلك منع الحريرى أن يقال: «زيد أفضل إخوته» لأن زيدا ليس داخلاً فى جملة إخوته، ألا ترى أنه لو قيل لك مَن إخوة زيد لعددتهم دونه. فلما خرج عن أن يكون داخلاً فيهم امتنع أن يقال: «زيد أفضل إخوته»، كما لا يقال: «زيد أفضل النساء» لتميزه من جنسهن وخروجه عن أن يعد فى جملتهن. فتصحيح هذا الكلام أن يقال «زيد أفضل الإخوة»، أو «زيد أفضل بنى أبيه» لأنه حينئذ يدخل فى الجملة التى أضيف إليها[٢].

ب ـ جواز المطابقة وعدم المطابقة (الإفراد والتذكير) فى أفعل التفضيل. فمن المطابقة قوله ﴿ **إلاّ الذين هم أراذلنا** ﴾، ﴿ **وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها** ﴾، ﴿ **وقالت أولاهم لأخراهم** ﴾ وقراءة: ﴿ **غلبت الروم فى أدانى الأرض** ﴾. ومن عدم المطابقة قوله تعالى: ﴿ **ولتجدنّهم أحرص الناس على حياة** ﴾. وقد اجتمع الاستعمالان فى قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ **ألا أخبركم بأحبكم إلىّ وأقربكم منى منازل يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقا، الموطّأون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون** ﴾.

(١) همع الهوامع ١١٣/٥.
(٢) دقائق العربية ص ٧٢.

٢ ـ أفعل التفضيل المضاف إلى نكرة[١]:

ويلزم فى هذه الحالة ثلاثة أشياء:

أ ـ لزوم «أفعل» الإفراد والتذكير كما فى قوله تعالى:

﴿ فى أحسن تقويم ﴾.

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾.

﴿ ثم رددناه أسفل سافلين ﴾.

﴿ وللآخرة أكبر درجات ﴾.

﴿ ولا تكونوا أول كافر به ﴾.

ب ـ كونه من جنسه، فلا يقال «زيد أفضل امرأة»، لأن «أفعل» بعض ما يضاف إليه.

جـ ـ وجوب مطابقة المضاف إليه لما قبله إذا كان المضاف إليه جامداً (زيد أفضل رجل[٢]، هند أفضل امرأة، المحمدان أفضل رجلين..) أما إذا كان المضاف إليه مشتقاً فلا تجب المطابقة. وقد جاء عليه قوله تعالى: ﴿ **ولا تكونوا أول كافر به** ﴾ فالتقدير: أول من كفر به (أو على تأويل: أول فريق كافر، وفريق جمع فى المعنى مفرد فى اللفظ، أو على تأويل: لا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك كسانا حلة أى كسا كل واحد منا)، وقول الشاعر:

وإذا همو طعموا فألأم طاعم ... وإذا همو جاعوا فشر جياع

٣ ـ أفعل التفضيل المجرد من «أل» ومن الإضافة:

ويلزمه فى هذه الحالة شيئان:

أ ـ أن يلتزم الإفراد والتذكير.

ب ـ أن تكون معه «مِنْ» جارة للمفضل عليه (ولو تقديراً).

ومثاله فى القرآن الكريم:

(١) قال الصبان: والمضاف للنكرة بمنزلة المجرد فى التنكير.

(٢) قال الصبان: أصله: زيد أفضل من كل رجل، فحذف «من كل» اختصارا، وأضيف «أفعل» إلى «رجل».

﴿ **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسنَ منها** ﴾.

﴿ **والفتنة أشد من القتل** ﴾.

﴿ **إذ قالوا ليوسفُ وأخوه أحبُّ إلى أبينا منا** ﴾.

﴿ **لَشَهادتنا أحقُّ من شهادتهما** ﴾.

﴿ **وما نريهم من آيةٍ إلا هى أكبر من أختها** ﴾.

أفعل التفضيل على غير بابه:

يأتي أفعل التفضيل على غير بابه، أى غير مقصود به الزيادة أو معنى المقارنة. وهو فى هذه الحالة يحمل إما على «التفضيل المطلق» إن احتملت العبارة ذلك أو على الصفة المشبهة.

ومثل هذا النوع تجب فيه مطابقة أفعل التفضيل لموصوفه، لأن كلا من المحلّى بأل، والصفة المشبهة يطابق موصوفه.

ويمكن أن يحمل على هذا النوع الأمثلة الآتية:

* ﴿ **وبعولتهمن أحقُّ بردهن** ﴾، فغير الزوج لا حق له.

* ﴿ **ولأَمَةٌ مؤمنة خير من مشركة** ﴾، إذ لا يجوز نكاح المشركة فهو على غير بابه.

* ﴿ **أذلك خير أم شجرة الزقوم** ﴾، إذ لا شركة فى الخيرية بينهما.

* ﴿ **وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾، إذ لا تقارت عند الله بين النشأتين: الإبداء والإعادة.

ويمكن أن يكون التفضيل على بابه، ويكون الكلام قد سيق على حسب معتقد البشر، وما يعطيهم النظر فى المشاهدة من أن الإعادة أهون من البداءة عادة.

وخُرّج على هذا قولهم ﴿ **يوسف أحسن إخوته** ﴾، لأنه يحمل إما على معنى «الأحسن من بينهم» أو «حَسَنهم».

كما خرج عليه قول أبى نواس:

كأنّ صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء درّ على أرض من الذهب[1]

فأنث لتجرده من معنى التفضيل.

ويقول الدكتور إبراهيم السامرائي: «وعلى هذا كانت صفاته ـ سبحانه ـ صفات خاصة لا يشركه فى جوهرها وقدرها وجلالها صفات المخلوقين. فما جاء من ذلك على «أفعل» لا يمكن أن يفيد التفضيل، بل ينصرف إلى الكمال المطلق فى مفهوم أى من تلك الصفات. ألا ترى أن قول المؤذن (الله أكبر) من هذا الكمال المطلق، فالله كبير ليس بعد كبره شىء»[2].

وقد يستخدم أفعل التفضيل دون وجود صفة مشتركة بين الطرفين، فلا يراد به حينئذ التفضيل ولكن الإشارة إلى أن شيئاً زاد فى صفة نفسه على آخر فى صفته كقولهم: «الصيف أحرّ من الشتاء»، أى الصيف أبلغ فى حره من الشتاء فى برده. وكقولهم: «العسل أحلى من الخل»، قال الصبان: «المعنى فى المثال: «أن للعسل حلاوة، وأن تلك الحلاوة زائدة، وأن زيادتها أكثر من زيادة حموضة الخل». وقد يأتى هذا النوع للتهكم، كما يقال: «هو أعلم من الحمار».

إعمال أفعل التفضيل:

* يرفع أفعل التفضيل الضمير المستتر مثل: «ذلك أزكى لهم».

* ويرفع الضمير البارز أو الاسم الظاهر فى لغة قليلة، حكى سيبويه: مررت برجل أكرمَ منه أبوه.

* ويطرد رفعه الاسم الظاهر فيما يسمى «بمسألة الكحل» وضابطها «أن يحل محل الفعل ـ وأن يسبقه نفى ـ وأن يكون مرفوعه أجنبياً مفضلاً على نفسه باعتبارين». ومثالها: «ما رأيت رجلاً أحسن فى عينه الكحلُ منه فى عين زيد» والمعنى: ما رأيت رجلاً يحسن.. كحسنه فى عين زيد. ومعنى تفضيله على نفسه باعتبارين أن الكحل فى عين زيد أحسن من الكحل فى عين رجل آخر.

وجاء عليه الحديث: «ما من أيام أحبّ إلى الله فيها الصوم من أيام العشر». ولم يقع فى القرآن الكريم تعبير يشبه هذا.

(١) يمكن أن يخرج على وجه آخر، وهو عدم اعتبار «من» تفضيلية، وإنما هى حرف جر كالذى فى قولك «كلمة من محمد»، واسم التفضيل هنا فى حكم المضاف إلى المعرفة (انظر التراكيب اللغوية ـ هادى نهر ص ٩٧).

(٢) من أساليب القرآن ص ٨٢.

* أما بخصوص النصب فلا ينصب المفعول به، أما ما ورد ظاهره ذلك فمؤول، ومنه قوله تعالى: ﴿ **إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله** ﴾ فـ «من» فى محل نصب مفعول به لفعل محذوف يدل عليه «أعلم»، والتقدير: يعلم من يضل. وأما قوله تعالى: ﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾ ففى «حيث» إعرابان:

أ ـ أنها مفعول به على التوسع (لفعل محذوف).

ب ـ أنها ظرف مكان، وضمن «أعلم» معنى ما يتعدى إلى الظرف، أى هو نافذ العلم فى الموضع الذى يجعل فيه رسالته[1].

* ويتعدى أفعل التفضيل من فعل يتعدى بحرف الجر ـ يتعدى بنفس الحرف كذلك. ولذا قدروا حرف الجر فى قوله تعالى: ﴿ **وأدنى ألا ترتابوا** ﴾، وقوله: ﴿ **ذلك أدنى ألا تعولوا** ﴾[2]، وظهر حرف الجر فى مثل قوله تعالى: ﴿ **أولئك شرٌ مكاناً وأضل عن سواء السبيل** ﴾، وقوله: ﴿ **ياقوم أرهطى أعز عليكم من الله** ﴾.

* وإذا عدى التفضيل «أحب» بإلى اختلف معناه عنه إذا عدى باللام. فإلى تدخل على ما هو فاعل معنى، واللام على ما هو مفعول به معنى. وبهذا يظهر الفرق بين قولنا: المؤمن أحبُّ لله من نفسه والمؤمن أحب إلى الله من غيره. فالأولى (يحب الله أكثر) والثانية: (يحبه الله أكثر أو أكثر محبوبية إلى الله).

مسائل متنوعة:

١ ـ هناك آيات اشتملت على تفضيل قرئت بأكثر من وجه، وقد يختلف الإعراب أو المعنى تبعاً لذلك، ومنها:

* ﴿ **فالله خيرٌ حافظا** ﴾ خيرٌ حِفْظا / خيرُ حافظٍ / خير الحافظين[3].

قال فى البحر[4]: وانتصب «حافظاً» و«حفظاً» على التمييز كقولك: لله دره فارسا.. وأجاز

(١) البحر المحيط ٢١٦/٤، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ١٤١/٧

(٢) البحر المحيط ١٦٦/٣.

(٣) معجم القراءات القرآنية ١٧٩/٣، ١٨٠.

(٤) البحر المحيط ٣٢٢/٥.

الزمخشرى أن يكون «حافظاً» حالا، وليس بجيد لأن فيه تقييد «خير» بهذه الحال. وقراءة «حافظٍ» تعنى أن الله تعالى متصف بالحفظ وزيادته على كل حافظ.

* ﴿ تحسبهم جميعاً وقلوبُهم شتّى ﴾ شتّى / أشتُ[1].

قال فى البحر: شتىٌ بألف التأنيث ومعناها متفرقة (لاحظ أنه فسرها بالصفة) ومن قرأها شتًّى جعل ألفها للإلحاق[2]. أما قراءة أشتُّ فتعنى: أشد تفرقا، ومن كلام العرب: شتىٌّ تؤوب الحَلَبة[3].

* ﴿ فطال عليهم الأَمَدَ ﴾/ الأَمَدُّ[4].

قال فى البحر[5]: الأمد أى انتظار الفتح، أو انتظار القيامة، أو أمد الحياة وغاية الزمان. أما الأمدُّ: فهو الزمان الأطول.

* ﴿ أولئك هم خيرُ البريَة ﴾/ خِيار البرية[6].

ذكر ابن جنى[7] أن «خيار» قد تكون:

أ ـ جمع «خير» التى أصلها «أخير» ومثله جمع «أَبْخَل» على بِخال.

ب ـ جمع خَيِّر، ومثله جمع كيِّس على كياس.

جـ ـ جمع «خيْر» الذى هو ضد الشر.

* ﴿ وقولوا للناس حُسْنا ﴾ / حَسَناً / حُسْنَى[8].

جاء فى البحر[9] والخصائص[10] ما خلاصته:

---

(1) معجم القراءات القرآنية ١١٨/٧.
(2) أى لإلحاقها بكلمة أخرى رباعية الأصول مثل «جعفر». ومع ألف الإلحاق يقبل الاسم التنوين.
(3) البحر المحيط ٢٤٩/٨.
(4) معجم القراءات القرآنية ٨٧/٧.
(5) البحر المحيط ٢٢٣/٨.
(6) معجم القراءات القرآنية ٢٠٨/٨.
(7) المحتسب ٣٦٩/٢.
(8) معجم القراءات القرآنية ٨٠/١.
(9) ٢٨٥/١.
(10) ٣٠١/٣.

أ ـ تعرب حُسْناً مفعولاً به. وأصلها صفة لمفعول محذوف أى قولوا للناس كلاماً حُسْناً (إما على الوصف بالمصدر أو على أن حُسْناً صفة كالحلو والمرّ).

أو تنصب على المصدر من المعنى، لأن المعنى: وليحسنْ قولُكم حُسْناً.

ب ـ من قرأ حَسَناً فهو صفة لمصدر محذوف أى قولوا لناس قولاً حسنا.

جـ ـ وأما من قرأ حُسْنَى فقد دار نقاش حول هذه القراءة:

١ ـ فمنهم من خطأها، ونقل ذلك عن سيبويه لأن «فُعْلَى» لا تستعمل إلا بالألف واللام أو مضافة إلى معرفة، تقول هى الفُضْلى، أو هى فُضْلى النساء.

٢ ـ ومنهم من خرّجها على أن «حُسْنَى» مصدر كالبشرى والعقبى والرُّجعى أو أنها صفة لموصوف محذوف أى: وقولوا للناس كلمة حسنى أو مقالة حسنى. وفى الوصف بها وجهان، أحدهما أن تكون باقية على أنها للتفضيل، واستعمالها بغير ألف ولام ولا إضافة لمعرفة نادر، والآخر ألا تكون للتفضيل فتكون بمعنى «حَسَنَة»، أى قولوا للناس مقالة حسنة.

٢ ـ لفظا آخَر وأُخَر.

أصل «آخَر» أَفْعَل، من أَخّر أى تأخَر، فمعناه أشد تأخراً، ثم صار بمعنى «مغاير»، ممنوع من الصرف للوصف ووزن الفعل، جمعه «آخَرون» و«أُخَر». ومؤنثه «أخرى» جمعها «أُخريات» وأُخَر» كذلك.

ومن هذا يتبين أن «أُخَر» تصلح جمعاً لآخَر ولأُخرى كليهما، وفى القرآن الكريم:

﴿ فعدة من أيام أُخَر ﴾.

﴿ منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأُخَرٌ متشابهات ﴾.

﴿ وسبعُ سنبلات خُضْر وأُخَرَ يابسات ﴾.

وقد قيل فى سبب منعها الصرف أقوال:

١ ـ لأن مفردها لا ينصرف، وهو أُخْرى وآخَر. وكذلك كل جمع على فُعَل لا ينصرف إذا كان مفرده لا ينصرف.

٢ ـ لأن أصل «أفعل» للتفضيل ألاّ يجمع ولا يؤنث مادام نكرة، فإن أدخلت عليه الألف واللام أو أضفته ثنّيت وجمعت وأنّثت، تقول: مررت بالرجل الأفضل، وبالرجال الأفضلين، وبالمرأة الفضلى.. وبأفضلهم وبفضلاهن. وليس كذلك «أُخَر» لأنه يؤنث ويجمع بغير ألف ولام وبغير إضافة، تقول مررت برجل آخَر وبرجال أُخَر وبنسوة أُخَر. فلما جاء معدولاً (عن الأُخَر) وهو صفة منع الصرف[1].

٣ ـ وفسر الأشمونى «العدل» تفسيراً آخر فقال: والتحقيق أنه معدول عما كان يستحقه من لفظ الواحد المذكر [عن آخَر]، لأن حقه أن يستغنى فيه بأفعل عن فُعَل لتجرده من «أل» كما يستغنى بأكبر عن «كُبَر» فى قولهم: رأيتها مع نساء أكبر منها سناً[2].

تنبيه:

قد تأتى «أُخَر» جمعاً لأخرى بمعنى «آخرة» فتصرف لانتفاء العدل لأن مذكرها «آخِر» بالكسر (على وزن فاعل) فليس من باب التفضيل، ودليله قوله تعالى: ﴿ **وأن عليه النشأة الأُخْرَى** ﴾ مع قوله: ﴿ **ثم الله ينشىء النشأة الآخرة** ﴾، والمعنى واحد.

٣ ـ لفظا «خير» و«شر»:

وردت كلمة «خير» (فى حالاتها الإعرابية الثلاث) فى القرآن الكريم ١٧٦ مرة ومقابلتها كلمة «شر» ٢٩ مرة أى بنسبة ٦ : ١ تقريباً.

وقد ورد اللفظان فى القرآن الكريم فى استعمالات ثلاث:

أ ـ اسم تفضيل يلزم حالة واحدة، ولا يطابق جنساً ولا عدداً [وإن كان قد سُمع فى غير القرآن: شرّى]:

* ﴿ **ما ننسخْ من آية أو نُنْسها نأت بخير منها أو مثلها** ﴾.
* ﴿ **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى** ﴾.
* ﴿ **أولئك شرٌ مكاناً وأضلُ عن سواء السبيل** ﴾.
* ﴿ **فسيعلمون من هو شرٌ مكاناً وأضعف جنداً** ﴾.

(١) تاج العروس ـ أخر.
(٢) شرح الصبان على الأشمونى ٢٣٩/٣.

ب ـ صفة مشبهة (ومثلهما فَخْم، وضَخْم) مؤنثهما بالتاء (ولم يرد أيهما مفردا مؤنثا فى القرآن)، جمع الأول: أخْيار وخيار، والثانى: أشْرار وشِرار:

* ﴿ ولِباس التقوى ذلك خير ﴾.

* ﴿ والدار الآخرة خير للذين يتقون ﴾.

* ﴿ وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ﴾.

* ﴿ ولا يحسبنّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شرٌّ لهم ﴾.

* ﴿ فيهنّ خيراتٌ حسان ﴾.

قال اللغويون: جمع خيِّرَة، وهى الفاضلة، والمعنى أنهن خيرات الأخلاق حسان الخَلْق.

* ﴿ وإنهم عندنا لَمِن المصطفَيْن الأخيار ﴾.

جـ ـ اسمان جامدان يطلق أولهما على كل شىء يرغب فيه لفائدته، وثانيهما على كل شىء فاسد سىء، جمعهما خُيور وشرور، وفى القرآن الكريم:

* ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾.

* ﴿ بيدك الخير. إنك على كل شىء قدير ﴾.

* ﴿ ولا تنقصوا المكيال إنى أراكم بخير ﴾.

* ﴿ ولو يعجّل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم ﴾.

* ﴿ وإذا مسّه الشر فذو دعاء عريض ﴾.

وقد جمع التفضيل والاسم الجامد قوله تعالى:

﴿ إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ﴾.

وقد جاء «خير» و«شر» فى التفضيل فى جميع القرآن بدون الهمزة، (وقال ابن جنى: إن

الإتمام من الأصول المرفوضة)، ماعدا قراءة شاذة هي: «سيعلمون غدا من الكذاب الأشرّ»[1]. قال أبو حيان: «وإتمام خير وشرَ فى أفعل التفضيل قليل»[2].

وقال الجوهرى: «لا يقال الأشَرّ إلا فى لغة رديئة» وقال الألوسى: «هو قليل الاستعمال وإن كان على الأصل»[3]، وذكر ابن الأنبارى أن العرب تقول هو أخير وهو أشرّ، ومنه قول رؤبة:

بلال خيرُ الناس وابنُ الأَخْيَر.

وقال أبو حاتم: «لاتكاد العرب تتكلم بالأخير والأشرّ إلا فى ضرورة الشعر».

٤ - لفظ أوّل:

استعمل لفظ «أوّل» استعمال أفعل التفضيل، وقد ورد منه فى القرآن الكريم بصيغة المذكر أمثلة كثيرة منها:

* ﴿ **ولا تكونوا أول كافر به** ﴾.

* ﴿ **إنّ أول بيت وُضع للناس للذى ببكة مباركا** ﴾.

* ﴿ **وأنا أول المسلمين** ﴾.

وبصيغة المؤنث أمثلة أخرى منها:

* ﴿ **أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى** ﴾.

* ﴿ **وقَرْنَ فى بيوتكن ولا تبرّجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾.

* ﴿ **قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا** ﴾.

وقد اختلف فى جذره فقال بعضهم: «أول»، وقال بعضهم «وول».

وعلى الأول يكون أصل «أفعل»: أأول ثم أبدلت الهمزة الثانية واوا، وأدغمت فى الواو

(١) معجم القراءات القرآنية ٣٧/٧.
(٢) البحر المحيط ١٨٠/٨.
(٣) روح المعانى ٨٩/٢٧.

الأخرى. وذكر الجوهرى أن جذره «وأل» وأن أصله «أوأل»، أبدلت الهمزة واوا ثم أدغمت. وقد اختار ابن برى الرأى الثانى قائلا: «الصحيح فيها أنها أفعل من (وول).. وهذا مذهب سيبويه وأصحابه».

وقد دخل اللفظ فى تعبيرات كثيرة صُرف فى بعضها ومنع الصرف فى بعض ثان وقطع عن الإضافة فبنى فى بعض ثالث.

١ ـ فمن الصرف: ما رأيت له أولا ولا آخرا (أى قديما ولا حديثا)، قال الخليل: جعله اسماً فنكر وصرف.

٢ ـ ومن منع الصرف: لقيته عاما أوّلَ ـ مررت برجل أوّلَ.

٣ ـ ومن البناء: أبدأ بهذا أوّلُ (كقولك: ابدأ بهذا قبل).

وأكثر ما جاء لفظ «أول» غير متبوع بـ «من»، ومن القليل قولهم: هذا رجل أول منك[1].

٥ - الفرق بين الآخِر والآخَر:

بين الآخِر ـ بكسر الخاء ـ ، والآخر ـ بفتحها ـ فروق منها:

١ ـ أن الآخِر بالكسر خلاف الأول، قال تعالى: ﴿ **هو الأول والآخر** ﴾، أما الآخَر بالفتح، فهو بمعنى الواحد المغاير، قال تعالى: ﴿ **فتُقُبِّلَ من أحدهما ولم يُتقبل من الآخر** ﴾.

٢ ـ أن مكسور الخاء مؤنثه آخرة، يقال جمادى الآخِرة بمعنى المتأخرة، لا الأخرى بمعنى الواحدة المغايرة، وكذا يقال شهر ربيع الآخِر بكسر الخاء، لا بفتحها الذى هو بمعنى الواحد المغاير، وجمعه أواخر وآخِرون، قال تعالى: ﴿ **وتركنا عليه فى الآخِرين** ﴾.

أما مفتوح الخاء فمؤنثه أخرى، قال تعالى: ﴿ **ولى فيها مآرب أخرى** ﴾ وجمعه آخَرون، قال تعالى: ﴿ **وآخَرونَ مُرجَون لأمر الله** ﴾، وجمع أُخْرى أخريات وأُخَر، قال تعالى: ﴿ **فعدة من أيام أخر** ﴾.

٣ ـ أن مكسور الخاء وزنه فاعل، أما مفتوحها فوزنه أفعل.

(١) اللسان ـ وأل.

٤ ـ أن مكسور الخاء مصروف، وكذا مؤنثه، أما مفتوحها فممنوع من الصرف للوصفية ووزن أفعل، قال تعالى: ﴿ ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر ﴾، ومؤنثه ممنوع من الصرف لألف التأنيث المقصورة، قال تعالى: ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾، وكذا أُخَر الذى هو جمع أخرى ممنوع من الصرف للوصفية والعدل، قال تعالى: ﴿ هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾.

٥ ـ أن مكسور الخاء ومؤنثه يدلان على الانتهاء، ولهذا لا يصح العطف عليهما، فلا يقال: «خرج آخر الطلاب، ثم محمد»، وخرجت آخرة الطالبات، ثم عائشة»، أما مفتوح الخاء ومؤنثه فلا يدلان على الانتهاء ولذا يجوز العطف عليهما، فيقال: مررت بعلى ورجل آخر، ثم محمد، ومررت بخديجة وفتاة أخرى، ثم عائشة[١].

٦ ـ تعبيرات تفضيلية شائعة:

أ ـ يشيع فى لغة العصر الحديث تعبيرات لم ترد فى أساليب التفضيل التى سمعت عن العرب مثل:

١ ـ الفقر أحد أعظم المآسى فى العالم المعاصر.
٢ ـ أوزاكا ثانى أغلى عاصمة فى العالم.
٣ ـ أفريقيا ثانى أكبر القارات بعد آسيا.
٤ ـ فاطمة من أذكى الطالبات.
٥ ـ الأعجب من ذلك أن الأمر كذا..
٦ ـ ورد هذه الخبر فى صحيفة كبرى.
٧ ـ أسامة أصغر إخوته.

ولست أرى غضاضة فى قبول هذه التعبيرات، رغم تخطئة بعض المعاصرين لبعضها.

أما التعبير الأول فقد خطأه الدكتور إبراهيم السامرائى وذكر أن صوابه: الفقر إحدى عظميات المآسى[٢].

وفى رأيى أنه يجوز تذكير «أحد» لتذكير «أعظم» ويجوز تأنيثه لتأنيث «المآسى». كما أن «أفعل» لإضافته إلى معرفة يجوز فيه المطابقة وعدمها.

أما التعبير الثالث فيرى أن الأفضل فيه أن يقال: أفريقيا أكبر القارات بعد آسيا» ولا داعى لكمة «ثانى» رغم ضرورتها فى التعبير رقم(٢).

(١) أزاهير الفصحى ص ٨٨، ٨٩.
(٢) من أساليب القرآن ص ٩٠.

أما التعبير الخامس فقد خطأه الدكتور محمد أبو الفتوح شريف[1] وقبله الدكتور هادى نهر[2] قائلا: «ولا مبرر لهذا المنع الذى لا نرى له وجها من العقل والطبع، ولا سيما أن إجازته لا تثير فى بنيان اللغة ما يأباه» وحمله على قول الأعشى:

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكاثر

وأما التعبير السادس فقد خطأه الدكتور محمد أبو الفتوح شريف[3] بحجة أن اسم التفضيل يجب أن يظل مفردا مذكرا مادام مجردا من «ال» والإضافة. ولكن تخريج العبارة سهل على معنى الصفة المشبهة (وانظر تخريج قراءة: وقولوا للناس حُسْنَى).

وقد سبق تصحيح تعبير مماثل للتعبير الحديث: «أسامة أصغر أخوته» (أفعل التفضيل المضاف إلى معرفة) ولهذا فلا وجه لتخطئة الدكتور محمد أبو الفتوح شريف له[4].

ب ـ من كلامهم المشهور «زيد أعقل من أن يكذب». وظاهره تفضيل زيد فى العقل على الكذب. وقد وجه بما يأتى:

١ ـ تأويل «أن» والفعل بمصدر، ثم تأويل المصدر بالوصف.

٢ ـ تضمين «أفعل» معنى «أبعد»، فمعنى المثال: «زيد أبعد الناس من الكذب لفضله على غيره». فـ «من» هذه ليست الجارة للمفضل عليه بل متعلقة بأفعل لتضمنه معنى أبعد. والمفضل عليه متروك أبدا فى مثل ذلك لقصد التعميم[5].

٧ ـ اجتماع التفضيل والاستفهام:

ونتعرض فى ذلك لمسائل ثلاث:

أ ـ وقوع أفعل التفضيل خبرا عن «من» الاستفهامية، وقد ورد فى بضعة، وعشرين موضعا من القرآن منها:

---

(١) من الأخطاء الشائعة ص ٤٥.
(٢) التراكيب اللغوية ص ٩٠.
(٣) من الأخطاء الشائعة ص ٤٥.
(٤) السابق ص ٥٨.
(٥) حاشية الصبان على الأشمونى ٣/٥٠.

* ﴿ ومَن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا ﴾.

* ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ﴾.

* ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾.

* ﴿ ومن أظلم ممن ذُكّر بآيات ربه ثم أعرض عنها ﴾.

قال المفسرون (تعليقا على الآيات الثلاث الأخيرة وما أشبهها): وهو نفى للأظلمية. ونفى الأظلمية لا يستدعى نفى الظالمية. وعلى هذا لايكون فى تكرير «ومن أظلم» تناقض لأن فيها إثبات التسوية فى الأظلمية. وإذا ثبتت التسوية فيها لم يكن أحد ممن وصف بذلك يزيد على الآخر، وصار المعنى لا أحد أظلم ممن منع، ومن افترى، وممن ذُكر، ولا يدل على أن أحد هؤلاء أظلم من الآخر، كما أنك إذا قلت: لا أحد أفقه من زيد وعمرو وبكر لا يدل على أن أحدهم أفقه من الآخر، بل نفى أن يكون أحد أفقه منهم.. وجميع هذه الآيات تتحدث عن الكفار فهم متساوون فى الأظلمية وإن اختلفت طرقها.

ب ـ وقوع أفعل التفضيل فى حيز الاستفهام بالهمزة. فإن أريد الاستفهام عن المفضل عليه وجب التقديم مثل: أمِن محمد أنت أفضل؟ لأن المسئول عنه بالهمزة هو ما يليها. وإن أريد الاستفهام عن المفضَل وجب التأخير مثل: أأنت أفضل من محمد؟ ليليها المسئول عنه.

جـ ـ مجيء المفضل عليه اسم استفهام مجرورا «بمن»، فيجب «لِمن» ومجرورها الصدارة مثل: مِمّن أنت أفضل؟ من أيهم أنت أكرم؟.

وقد جاء التقييد بـ «من» فى أبيات الألفية وتبعة شراحها. ولست أجد مبررا لتقييد حرف الجر بـ «منْ» لأنك من الممكن أن تقول: لأيهم أنت أميل؟ إلى أيهم أنت أقرب؟ (وإن لم تكن الأمثلة من نوع جرَ المفضل عليه).

٨ ـ توجيهات اعرابية:

* ﴿ أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا ﴾

اختار بعضهم أن تكون «أحصى» فعلاً ماضياً، و«ما» مصدرية، و«أمدا» مفعولا به، واختار بعض آخر أن تكون «أفعل تفضيل»، و«أمدا» تمييزا.

من فضّل الفعلية بنى رأيه على كون «أحصى» لو اعتبرت تفضيلا لكانت مشتقة من غير الثلاثى، وهذا النوع شاذ لا يصح حمل القرآن عليه.

ومن فضّل الاسمية بنى رأيه على كثرة ما ورد من تفضيل من الرباعى مثل: ما أعطاه، وما أولاه للمعروف، وأعدى من الجرب، وهو أضيع لما سواها. وظاهر كلام سيبويه قياسية ذلك.

* ﴿ فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ﴾.

فى البحر[1]: وجوزوا فى إعراب (أشد) وجوها اضطروا إليها، لا عتقادهم أن (ذكراً)، بعد أشد تمييز بعد أفعل التفضيل، فلا يمكن إقراره تمييزا إلا بهذه التقادير التى قدّروها. وجه إشكال كونه تمييزاً أن أفعل التفضيل إذا انتصب ما بعده فإنه يكون غير الذى قبله، تقول «زيد أحسن وجهاً» لأن الوجه ليس زيداً، فإذا كان من جنس ما قبله انخفض، نحو: زيد أفضلُ رجلٍ، فعلى هذا يكون التركيب فى مثل: اضرب زيداً كضرب عمر وخالد أو أشد ضربٍ، لا بالجر بالنصب، لأن المعنى أن يفعل التفضيل جنس ما قبله. فجوزوا إذ ذاك النصبَ على وجوه:

أحدها أن يكون معطوفاً على موضع الكاف فى كذكركم لأنها عندهم نعت لمصدر محذوف، أى ذكراً كذكركم آباءكم أو أشد، وجعلوا الذكر ذاكراً على جهة المجاز كما قالوا: شعرٌ شاعر، قاله أبو على وابن جنى.

الثانى: أن يكون معطوفاً على «آبائكم» قاله الزمخشرى.. وهو كلام قلق..

الثالث: أنه منصوب بإضمار فعل الكون، والكلام محمول على المعنى، التقدير: أو كونوا أشد ذكراً له منكم لآبائكم. قاله أبو البقاء، وهذا أسهل من حمله على المجاز..

وجوزوا الجر فى (أشد) على وجهين:

أحدهما: أن يكون معطوفاً على «ذكركم»، قاله الزجاج وابن عطية وغيرهما، فيكون التقدير: أو كذكر أشد ذكراً..

الثانى: أن يكون معطوفاً على الضمير المجرور فى «كذكركم»، وفيه العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار.

(1) ١٠٣/٢ _ ١٠٤.

وعقب أبو حيان بعد ذلك قائلا: فهذه خمسة وجوه من الإعراب كلها ضعيف.. والذى نراه أن يكون (أشد) منصوباً على الحال، وهو نعت لقوله (ذكراً) لو تأخر. فلما تقدم انتصب على الحال كقولهم:

لمية موحشاً طلل

فلو تأخر لكان: لمية طلل موحش، وكذلك لو تأخر هذا لكان: أو ذكراً أشدّ.

* ﴿ **وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها** ﴾.

فيها إعرابات:

أ ـ «جعلنا» بمعنى صيّرنا، ومفعولها الأول «أكابر»، و«فى كل قرية» المفعول الثانى و«أكابر» على هذا مضاف إلى «مجرميها».

ب ـ ومنهم من أعرب «مجرميها» بدلا من «أكابر».

جـ ـ ومنهم من أعرب «مجرميها» مفعولا أول و«أكابر» مفعولا ثانيا.

د ـ ومنهم من قدر المفعول الثانى وهو «فسّاقاً».

وقد اعترض أبو حيان على الرأيين الثانى والثالث بأنه يلزم على أى منهما جمع أفعل التفضيل فى غير الحالتين المسموح بهما وهما: التحلية بأل أو الإضافة إلى معرفة[1].

---

(١) البحر المحيط ٢١٥/٤.

مراجع البحث

(١) أزاهير الفصحى فى دقائق اللغة ـ عباس أبو السعود ـ دار المعارف بمصر ١٩٧٠ .

(٢) البحر المحيط لأبى حيان.

(٣) التراكيب اللغوية ـ هادى نهر بغداد ١٩٨٧ .

(٤) حاشية الصبان على الأشمونى ـ الحلبى ـ بمصر.

(٥) الخصائص لابن جنى ـ تحقيق محمد على النجار ـ دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٥٢.

(٦) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ـ محمد عبد الخالق عضيمة ـ السعادة بالقاهرة.

(٧) دقائق العربية ـ الأمير أمين آل ناصر الدين ـ مكتبة لبنان ١٩٦٨ .

(٨) روح المعانى للألوسى.

(٩) فى أصول اللغة ـ محمد خلف الله أحمد ومحمد شوقى أمين ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٦٩ .

(١٠) الكشاف للزمخشرى.

(١١) لسان العرب لابن منظور.

(١٢) المحتسب لابن جنى ـ تحقيق على النجدى وعبد الفتاح شلبى.

(١٣) معجم القراءات القرآنية ـ أحمد مختار عمر وعبد العال سالم ـ ط ثانية الكويت ١٩٨٨ .

(١٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقى.

(١٥) معجم النحو ـ عبد الغنى الدقر ـ دمشق ١٩٨٥ .
(١٦) من الأخطاء الشائعة ـ محمد أبو الفتوح شريف.
(١٧) من أساليب القرآن ـ ابراهم السامرائى ـ دار الفرقان ـ ط أولى ١٩٨٣ .
(١٨) همع الهوامع للسيوطى ـ تحقيق عبد العال سالم.

البـاب الرابــع

دراسـة تطـبيقـيـة

تمهيد

تتعرض اللغة العربية لحالة من الشد والجذب بين فريقين متطرفين من الباحثين. فريق يرى إطلاق الحبل على الغارب لمستعمل اللغة يتصرف فيها كما يشاء، ويستخدمها بالصورة التى يراها. وفريق يرى تكبيل اللغة بالقيود الصارمة والوقوف أمام تيار التطور الطبيعى الذى تتعرض له جميع اللغات.

وبين هؤلاء وأولئك يضل جمهور المستعملين للغة طريقهم، ولا يعرفون إلى أين يتجهون. وكثيرون ـ فى حالة يأسهم من تطبيق شروط المتشددين والتزامهم بقواعدهم للصواب والخطأ ـ ينضمون إلى فريق المتساهلين، وربما الداعين إلى نبذ القيود كلية وطرح أشكال التقنين أو التقعيد.

كثيرون يغرقون فى متاهات قل ولا تقل، ويتصورون اللغة لكثرة ما عانوه فى سبيل تحرى الصواب ـ يتصورونها عائقا عن التفكير الطبيعى بدلا من أن تكون أداة له... وكثيرون يتوقفون أمام كل جملة وعند كل تعبير ويسألون: هل نقول كذا أوكذا؟ أيهما صواب: هذا التعبير أو ذاك...؟ ويختلف المختصون فى الإجابة عن أسئلتهم تبعا لمدى ما يتمتع به كل من قدرة على التخريج والتحليل فيزداد كفر المستعمل العادى باللغة ويزداد تخوفه منها ورهبته من مواجهتها.

لقد شغل كثير من الباحثين أنفسهم ـ وشغلوا ابن اللغة العادى معهم ـ بتساؤلات تمس تعبيرات ربما لم تنقل بنصها عن العرب فى عصور الاستشهاد ولكنها فى نفس الوقت لا تخالف طبيعة اللغة وروحها، ولا تصادم قاعدة مقررة فيها وهى أدخل فى باب الأسلوب منها فى باب الصواب والخطأ، وقد تكون أثرا من آثار التوليد والقياس ومحاكاة النظير.. فأى حرج فى هذا!!؟

وأخشى ما أخشاه أن يأتى التشدد بنتيجة عكسية، وأن يحمل غالبية المستخدمين للغة على التمرد، وأن ينقلهم إلى حالة من اليأس تجعلهم يضربون بكل القيم والمعايير عرض الحائط ويستخدمون ما يشيع على ألسنة الناس دون تثبت أو تحقق مطبقين حكمتهم المشهورة: خطأ مشهور خير من صواب مهجور.

ولعل القارئ يدرك مدى خطورة التشدد فى قبول اللفظة أو العبارة حين يعرف أن كتابا مثل «معجم الأخطاء الشائعة» للأستاذ محمد العدنانى - ولا أريد أن أغض من قدره فهو فى نظرى من أفضل ما كتب فى الموضوع - يحوى ١١٨٦ استعمالا عد معظمها من الخطأ الشائع، مع أن كثيرا منه يمكن قبوله بشىء من التجوز أو نوع من القياس والنظر.

ولعلنا لا ننسى فى هذا المقام أن نشيد بالجهد الرائع والاتجاه القويم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة حين يحاول تصحيح كثير من الألفاظ والتعبيرات الشائعة فى لغة العصر الحديث، وتخريجها على وجه من الوجوه المقبولة. وإن كنت آخذ على المجمع أحيانا التوسع فى هذا القبول بشكل قد يمس الرسالة الأساسية للغة وهى تيسير التفاهم ونقل الأفكار، وذلك حين يسمح ببعض التعبيرات التى قد توقع فى الإيهام أو اللبس.

ولا يرجع اهتمامى بموضوع الصواب والخطأ فى اللغة إلى السنوات الأخيرة بعد اشتغالى بالتدريس فى الجامعات العربية بل يمتد إلى الوراء قرابة ثلاثين عاما حين كنت طالبا بالأزهر فى بداية المرحلة الثانوية. وأذكر أننى كنت من المعلقين الدائمين على التعبيرات الشائعة تصحيحا أو تخطئة فى مجلات كالرسالة والكتاب والآداب، وكانت صحيفة الأهرام القاهرية وقتئذ تفسح صدرها لهذه الملاحظات والتعليقات لى ولغيرى.

كما أننى سبق أن نشرت كتابا بعنوان «من قضايا اللغة والنحو» عام ١٩٧٤ عقدت فيه فصلا بعنوان «بين الفصحى والعامية» قدمت فيه دراسة تطبيقية لبعض الألفاظ والأساليب الشائعة، وشرحت آنذاك خطتى قائلا: «وخطتى فى هذا البحث تقوم على تصحيح كل ما يمكن تصحيحه من العبارات والأساليب، وقبول ما له وجه فى العربية يخرج عليه ما دام قد وجد رواجا بين أبناء اللغة أنفسهم. وبذا نرد الطمأنينة إلى نفوس الكثيرين الذين تاهوا بين الصواب والخطأ، وانزعجوا من كثرة الأمثلة التى يحظرها عليهم

المتعصبون والمتشددون حتى أصبح من العسير أو المستحيل ـ حتى على المتخصص المدقق ـ أن يلم بها».

وقد رأيت أن أوسع هذا الفصل، وأضيف إليه كثيرا من العبارات والألفاظ والأساليب، كما أنني ضممت إليه جوانب أخرى من الموضوع لم يسبق لي معالجتها من قبل. وبهذا جاء الباب في فصول خمسة على النحو التالي:

الفصل الأول: صور من التوهم النحوي أو الصرفي.

الفصل الثاني: لا تتحرج أن تقول.

الفصل الثالث: تجنب أن تقول.

الفصل الرابع: كلمات يقع فيها الاشتباه.

الفصل الخامس: من دقائق العربية.

الفصل الأول

صور من التوهم النحوى والصرفى

كثيرا ما يقع دارس اللغة العربية أو متكلمها فى خطأ نتيجة التوهم. وغالبًا ما يحدث ذلك حين يتشابه اللفظان أو التعبيران شكلا ويختلفان تحليلا فيتوهم المتكلم تشابههما التام أو تطابقهما ويعمم الحكم عليهما جميعا. كما يحدث التوهم أيضا حين ينحرف المتكلم باللفظ ذى الطبيعة الخاصة ناحية الكثرة المشابهة له فيعطيه حكمها مع اختلافه عنها.

ولن نتحدث عن التوهم الذى حدث من العرب القدماء، وأشكال التغيير التى دخلت اللغة العربية نتيجة هذا التوهم، وإنما سنقصر حديثنا على ألوان من التوهم يقع فيها المعاصرون، ومن ذلك.

١ - معاملة بعض المفردات وجموع التكسير معاملة جمع المؤنث السالم:

ويحدث هذا حين يتشابه المفرد مع جمع المؤنث السالم فى انتهائه بألف وتاء. ولعل من أكثر الأمثلة لهذا كلمة «رفات» التى يستخدمها المحدثون فى سياقات مثل: هذه الرفات - وضعت رفاته فى... - رفات الميت المتفتتة. ومن ذلك ما جاء فى كلمة للاستاذ عبد الله عبد البارى (الأهرام ٩٦/٢/٨): أحمل رفاتك الطاهرة. وجاء فى باب مواقف للأستاذ أنيس منصور (الأهرام ٩١/٨/١٧): وكان هتلر قد نقل رفات فردريش الأكبر.. حتى لا تقع فى أيدى الروس. وكلمة رفات فى الحقيقة كلمة مفردة، وهى على وزن فُعال (بضم الفاء) ومثلها كلمات: فتات وسبات وسكات وفرات..

ويقع الالتباس كذلك فى الكلمات المفردة المنتهية بألف وتاء مربوطة مثل مداواة

ومساواة ومناجاة... فحين تضاف إلى الضمير تلتبس بجمع المؤنث مثل: مداواته، ومساواته، ومعاداته، ومباراته، ومناجاته، ومناداته، ومحاذاته، ومجاراته، ومداراته، ومماراته، ومجازاته، ومقاساته، ومراضاته، ومراعاته، ومجافاته، ومصافاته، ومعافاته، ومحاكاته، ومغالاته، ومعاناته، ومباهاته ومضاهاته[1]...

ومما يقع فيه الالتباس كذلك جموع التكسير التى تنتهى بألف وتاء مربوطة، فحين تضاف إلى الضمير كذلك تلتبس بجمع المؤنث السالم نحو: قضاتنا، وهداتنا، ونحاتنا، وطغاتنا، ودهاتنا، ورواتنا، وهواتنا، وعصاتنا، ورعاتنا، وجفاتنا، وحفاتنا، وحواتنا.. وكلها على وزن فعلة (بضم ففتح). ويقع التوهم كذلك فى المفردات التى تنتهى بتاء حين تجمع على أفعال مثل: وقت وأوقات، وبيت وأبيات، وثبت وأثبات، وصوت وأصوات، وقوت وأقوات...

٢ - منع بعض المفردات من الصرف لانتهائها بألف وهمزة:

ويحدث هذا حين لا يتنبه المتكلم إلى أن الهمزة قد تكون أصلية أو منقلبة عن أصل، وقد تكون زائدة. ومنع الصرف يكون بسبب وجود ألف التأنيث الممدودة وهى زائدة دائماً وعلى هذا فمن الخطأ منع الكلمات الآتية من الصرف لأنها جميعًا على وزن أفعال، فالهمزة فيها ليست زائدة:

آباء ـ آراء ـ آلاء ـ أبناء ـ أبهاء ـ أثناء ـ أجزاء ـ أجواء ـ أحشاء ـ أحياء ـ أخطاء ـ أدواء ـ أرجاء ـ أرزاء ـ أزياء ـ أسماء ـ أشلاء ـ أصداء ـ أضواء ـ أعباء ـ أعداء ـ أعضاء ـ أكفاء ـ أنناء.

٣ - صرف كلمات تستحق منع الصرف:

وأكثر ما يظهر فى الأمثلة الآتية:

(أ) فى ألفاظ المجموع المنتهية بألف وهمزة مثل: أطباء وعلماء حيث يتوهم الكثيرون أن علة منع الصرف غير متحققة هنا ظنًا منهم أن هذه الجموع لا تحقق شروط صيغة منتهى الجموع لوجود حرف واحد بعد ألفها، وشرط صيغة منتهى الجموع ـ التى تمنع

---

(١) بل وقع اللبس فى كلمات مثل سحابة وجرادة وغرامة وقرابة... وقد سمعت قارئة للنشرة تقول: تفقد حراراتها (بكسر تاء حرارتها).

حرارتها

الصرف ـ أن يوجد بعد ألف الجمع حرفان، أو ثلاثة أوسطها ساكن. وقد جاء على هذا النموذج جموع كثيرة مثل:

أبرياء ـ أثرياء ـ أذكياء ـ أسوياء ـ أشقياء ـ أصفياء ـ أغبياء ـ أغنياء ـ أقوياء ـ أكفياء ـ أنبياء..، ومثل:

أجلاء ـ أحباء ـ أخلاء ـ أذلاء ـ أرقاء ـ أشحاء ـ أشداء ـ أشقاء ـ أعزاء ـ أعفاء ـ ألباء..،ومثل:

بخلاء ـ بسطاء ـ جلساء ـ حكماء ـ حلفاء ـ حنفاء ـ خبراء ـ دخلاء ـ رحماء ـ رقباء ـ زعماء ـ زملاء ـ سعداء ـ سفراء ـ شركاء ـ شعراء ـ شفعاء ـ شهداء ـ صرحاء ـ طلقاء ـ عرفاء ـ عمداء ـ غرباء ـ غرماء ـ فقراء ـ قرناء ـ ندماء ـ نزلاء ـ نصحاء ـ نقباء...

ونسى من يصرف هذه الكلمات للسبب الذى توهمه أن علة منع الصرف هنا هى وجود ألف التأنيث الممدودة، وليست صيغة منتهى الجموع. ولعل جمعية هذه الألفاظ كانت من أسباب التوهم ظنًا أن ألف التأنيث الممدودة لا ترد إلا مع الكلمات المفردة المؤنثة، وهذا خطأ آخر، لأنها تأتى مع المفردات المؤنثة، والمفردات المذكرة، والجموع. وهى تمنع الصرف فى جميع الحالات. ومن أمثلة المذكر المنتهى بألف التأنيث الممدودة: زكرياء (علم شخص)، وطباقاء (وصف للرجل الأحمق العيى الثقيل)، وحرباء (لدويبة معروفة).

(ب) فى ألفاظ الجموع التى تنتهى بألف جمع بعدها حرف واحد مشدد مثل دواب، فيتوهم بعضهم أن شرط صيغة منتهى الجموع غير متحقق فيصرفها مع أن الشرط متحقق لتشديد ما بعد الألف، والحرف المشدد فى قوة حرفين. ومن أمثلة هذا النوع:

حواس ـ حواف ـ خواص ـ دوال ـ شواب ـ شواذ ـ صواد ـ صواف ـ عوام ـ مواد ـ هوام...

٤ ـ تذكير المؤنث وتأنيث المذكر:

يتوهم كثيرون أن كل ما جمع بألف وتاء مزيدتين يكون مفرده مؤنثًا، مما يوقعه فى الخطأ فى أكثر من موقف:

(أ) فمن ذلك وقوعه فى الخطأ فى باب العدد مع كلمات مثل: اختبارات

وموضوعات ومؤتمرات ومستوصفات ومستشفيات وحمامات ومليمات.. حين يستخدم العدد من ٣-١٠ مذكراً ظناً منه أنه يحقق المخالفة، مع أن الصحيح فى هذه الحالة التأنيث. فلا يصح القول: أجرى الأستاذ ثلاث اختبارات وإنما الصواب ثلاثة اختبارات، ولا يصح: للبيت ثلاث حمامات وإنما الصواب ثلاثة، ولا يصح: بنت الدولة أربع مستشفيات وإنما الصواب أربعة...

(ب) ومن ذلك خطؤه فى استعمال لفظ «أحد» أو «واحد» «وواحدة» أو «إحدى» مع العبارات السابقة ونحوها مثل:

أن يقول: أحد المصحات... والصواب إحدى المصحات.

أو يقول: إحدى المستشفيات... والصواب أحد المستشفيات.

أويقول: إحدى المستوصفات... والصواب أحد المستوصفات.

أو يقول: إحدى التخصصات... والصواب أحد التخصصات.

وقد يقع التوهم مع جمع التكسير كأن يقال: إحدى هذه الأيام، والصواب أحد، أو إحدى الشوارع والصواب أحد، أو إحدى الأحياء والصواب أحد، أو يقال: أحد الدول العربية، والصواب إحدى. ومن ذلك قول فهمى هويدى (الاهرام ٩١/١٢/٣١): إحدى المحاور التى تحرك فيها.

٥ - قلب واو المنقوص ياء عند إسناده إلى نون النسوة:

إذا أسند فعل مثل يشكو ويغزو ويرنو.. إلى نون النسوة فكثيرا ما يخطىء المسند فيقول: هناك سيدات يشكين من كذا. وصوابها: يشكون بإبقاء الفعل كما هو دون تغيير وإضافة نون النسوة إليه. ولعل مبعث الخلط جاء من صيغة الإسناد إلى ياء المخاطبة التى تحذف فيها الواو وينتهى الفعل معها بياء ونون مثل: أنت تشكين من كذا.

وهنا ينبغى التنبيه إلى أن الواو فى «يشكون» هى لام الفعل والنون هى الفاعل وأن الياء فى تشكين هى ياء المخاطبة الفاعل. والنون هى علامة رفع الفعل لأنه من الأفعال الخمسة[1].

(١) يجب أن يتنبه الشخص إلى أن تحليل جملتى: الرجال يشكون والنساء يشكون مختلف ففى الأولى حذفت لام الكلمة (الواو) والواو الموجودة هى الفاعل والنون علامة الرفع. وفى الثانية الواو هى لام الكلمة والنون نون النسوة. ويظهر الفرق فى حالتى النصب والجزم حين تتحول الجملة الأولى إلى، لن يشكوا ولم يشكوا وتظل الجملة الثانية كما هى.

٦ - إنابة غير المفعول به عن الفاعل مع وجود المفعول:

يخطئ من ينيب الجار والمجرور فى جملة تحتوى على فعل وفاعل ومفعول وجار مجرور، وذلك حين يبنى الفعل للمجهول. ويكثر الخطأ بخاصة حين يكون الجار والمجرور أسبق لفظا من المفعول به مثل:

نَسَبَتْ وكالة الأنباء إلى فلان قوله.

يُعِدّ فلان لهذه المشكلة الاحتياطات الكافية.

فحين يبنى الفعل للمجهول يجب إنابة المفعول به ورفعه فيقال:

نسب (بضم النون) إلى فلان قوله (بالرفع).

يُعد لهذه المشكلة الاحتياطات (بالرفع) الكافية.

ومثل هذا يقال عن العبارة: لا يوجد فى السماء إلا عددا من النجوم... التى قرأتها فى إحدى الصحف الكويتية.

ويقع خلط آخر فى باب النائب عن الفاعل حين يكون الفعل متعديا لاثنين ويبنى للمجهول ويكون المفعول الأول الذى صار نائب فاعل ضميرا، وذلك مثل:

وهذا لا يسمى تسامح (بالرفع). فما بعد «يسمى» ليس هو النائب عن الفاعل وإنما المفعول الثانى فيجب نصبه. أما نائب الفاعل فهو الضمير المستتر فى «يسمى».

٧ - الخلط بين صيغتى اسم الفاعل والمفعول:

من المعروف أن الوصف من الفعل المبنى للفاعل يكون اسم الفاعل ومن الفعل المبنى للمجهول يكون اسم المفعول. وعلى هذا فإذا قلنا:

(١) أعدم (بفتح الهمزة) فلان بمعنى افتقر ولم يجد ما يسد حاجته يكون الوصف منه هو اسم الفاعل فيقال: فلان معدم (بكسر الدال). وكثيرا ما نسمعهم ينطقونها بفتح الدال، وهو خطأ.

(ب) وإذا قلنا: الحق الانتخابى يجب ألا يقتصر على الرجل وأردنا أخذ الوصف قلنا: الحق الانتخابى يجب ألا يظل مقتصرا (بكسر الصاد) على الرجل. وكثيرا ما نسمعهم يفتحونها، وهو خطأ.

(ج) وإذا قلنا: برّز فلان فى كذا وأردنا أخذ الوصف قلنا فلان مبرز (بكسر الراء) ولا يصح فتحها كما يقولون.

ومثل هذا يقال عن الوصف من الأفعال اللازمة الآتية:

(ا) أخبت لله فهو مخبت ـ بكسر الباء.

أجدب القوم فهم مجدبون ـ بكسر الدال.

أخصب القوم أصابهم الخصب فهم مخصبون بكسر الصاد.

أفصح الصبح فهو مفصح ـ بكسر الصاد.

أثمر الشجر فهو مثمر ـ بكسر الميم.

أفطر الصائم فهو مفطر ـ بكسر الطاء.

أشمس يومنا فهو مشمس ـ بكسر الميم.

وكذلك الحال فى قولنا: فقر مدقع ـ شاعر مفلق ـ رجل مملق ـ أمر مشكل ـ يأس مطبق ـ مدرسة مختلطة ـ عملية مزدوِجة ـ آراء ممتزجة.

(ب) ومما جاء من افتعل اللازم:

اقترب الموعد فهو مقترب ـ بكسر الراء.

التهبت النار فهى ملتهبة ـ بكسر الهاء.

احتشد فهو محتشد ـ بكسر الشين.

ارتعش فهو مرتعش ـ بكسر العين.

وكذلك الحال فى قولنا: مطّرد ـ ومرتزق ـ ومختلف (كثيرا ما نسمع: مختلف «بفتح اللام» النشاط) ـ ومحتدم. وبهذا يظهر خطأ من قال: كانت المظاهرات مقتصَرة على مدينة كذا.

(ج) ومما جاء من تفعل وتفاعل اللازمين:

تسلح ـ تفسخ ـ تزهد ـ تضافر ـ تقاطع (الكلمات المتقاطعة) ـ تطابق ـ تخاذل ـ تماثل (متماثل للشفاء) ـ تفاقم (أمر متفاقم) ـ تقادم (أمر متقادم) ـ تعين (من المتعيَّن كذا). وبهذا يظهر خطأ من قال: تحقيق مطالبهن المتمثَّلة فى.. وكرر وجهة نظره المتمثَّلة فى..، ويوجد تعاطف متعاظَم معه.

وعكس هذا ما سمعته من بعضهم: فى كلمتين متبادليتن (بكسر الدال) والصواب الفتح. وكذلك قولهم معدات الجيش (بكسر العين) والصواب الفتح، وكذلك: سداد التأمينات المستحقّة، والصواب الفتح، وأدليا بتصريحات مقتضِبة (نشرة أخبار الساعة التاسعة ٩٧/٣/١٠) والصواب الفتح.

٨ - الخلط بين وزنى فِعلة وفَعلة حين الجمع المؤنث السالم:

من المعروف أن فعلة (بفتح الفاء وسكون العين) إذا جُمع جمع مؤنث سالما يجب فيه فتح عينه (بشروط) مثل سجدة وسجدات وحلقة وحلقات. وبهذا يكون الجمع المؤنث بفتحتين متتاليتين فى أوله. ولكن كثيراً من المتكلمين يخلطون بين هذا الوزن ووزن فعلة (بكسر فسكون) فيفتحون الحرفين الأولين من الثانى كذلك حين يجمعون كلمات مثل رحلة (بكسر فسكون) على رحلات (بفتحتين) وخدمة على خدمات وفلذة على فلذات وفقرة على فقرات... وهذا كله خطأ صوابه إما إبقاء الثانى ساكنا كما هو، أو فتحه، أو كسره. وفى كل الحالات يبقى الأول مكسورا دون تغيير.

٩ - التوهم فى تحليل الجملة:

ويشمل ذلك صوراً كثيرة منها:

(أ) مجئ التابع بعد أكثر من كلمة مما يوقع القارئ فى الخطأ، مثل:

«أجرى عملية إجلاء ضخمة»، فقد سمعتها بجر ضخمة، وهو خطأ. «صادرت أملاك الشاه ومزارعه»، فقد سمعتها بجر مزارعه، وهوخطأ. «يشكل نقطة ارتكاز مهمة»، فقد سمعتها بجر مهمة والصواب النصب.

(ب) اختلاف التابع والمتبوع فى علامة الإعراب مما قد يوقع المتكلم فى الخطأ مثل:

١ - إن لكل أمة مناسباتٍ معينة تحتفل بها. فقد نطقها أحد أساتذة الأزهر (٩٦/١/٣٠) بجر الصفة وهى مستحقة للنصب.

٢ - أن قوات تابعة، فقد سمعتها بجر تابعة وهو خطأ.

٣ - بمعالم كثيرة، فقد سمعتها بنصب كثيرة، وهو خطأ.

(ج) عدم التنبه إلى ما فى الجملة من تقديم وتأخير مثل:

١ ـ إن هناك تحد ـ ليس أمامنا خياراً ـ إن ثمة أمور..

٢ ـ راح ضحيتُها قتيلين / عشراتِ الأشخاص (تليفزيون الشارقة ٩٧/١/٢٠).

٣ ـ يسرنى دعوتكم ـ آلمنا مصابكم ـ بهرتنى إجابتك...

٤ ـ وقول الدكتور أحمد فتحى سرور فى اجتماع اتحاد البرلمانيين العرب (٩٧/٥/١٢): لا يمكننا كبرلمانيين الوقوفَ مكتوفى الأيدى.

٥ ـ وقول الدكتور يونان رزق (الأهرام ٩٧/٢/١٣): لا يهمنا من المسألة الحاضرة إلا أمراً واحدا..

ووجه الخطأ نصب الأسماء الظاهرة مع أنها فاعل مؤخر، أما الضمير المتصل بالفعل فهو مفعول مقدم.

(د) توهم الحالية:

جاء محمد وهو عازما على العمل.

(هـ) خلط أجزاء الجملة نتيجة طولها:

ويشترك فى عضوية اللجان كلا من.. نفت السفارة السعودية أن يكون سبب تأجيل زيارة الأمير فهد للولايات المتحدة عائد لأسباب صحية.

هناك أخبار تقول إن البليونير الذى لم يره أحد ولا حتى أقرب مساعديه شخصية (بنصب شخصية) وهمية.

(و) تأنيث الفعل باعتبار أحد المكملات مع أن الفاعل مذكر: «وردت فى نشرة أذاعتها وكالة أنباء.. وقوع انقلاب»، «جاءت فى برقية لوكالة... أن إسرائيل حركت».

١٠ ـ الخلط بين الفعلين الثلاثى المجرد والمزيد ومشتقاتهما:

وتحت هذا النوع صور متعددة من أهمها:

(أ) أن يكون الفعل مجرداً وينطقه المتكلم مزيداً بالهمزة أو بالتضعيف.

ولا إشكال فى هذا إذا كان الفعل المجرد لازما[1] واكتسب التعدية بالهمزة أو التضعيف

(١) لا يهم أن يكون قد استعمل متعديا كذلك.

ففريق كبير من القدماء عد هذا قياسيا، وتبنى هذا الرأى مجمع اللغة العربية بالقاهرة مثل الفعلين أرجع وأوقف اللذين شاعا فى العصر الحديث فى مثل أرجع محمد الكتاب وأوقف مكتبته على الطلاب، مع أن كتب اللغة تنص على أنهما وردا عن العرب بدون الهمزة أى: رجع ووقف. وفى القرآن الكريم: «فإن رجعك الله إلى طائفة منهم»، وفيه: «وقفوهم إنهم مسئولون». والفعلان ـ كما ترى ـ متعديان. ولكن إذا علمنا أنهما وردا كذلك لازمين كقولك: رجع محمد إلى الحق، ووقف الصف مستقيما أمكننا أن نقول إن من استعمل الفعلين بالألف لم يفعل أكثر من تعدية اللازم بالهمزة وهو مقيس كما قلنا.

وهناك عبارة وردت فى البحر المحيط (١٠١/٤) تؤيد ما قلناه، ففيه: «وقد سمع فى المتعدية أوقف وهى لغة قليلة، ولم يحفظها أبو عمرو بن العلاء. قال: لم أسمع فى كلام العرب أوقفت فلانا. إلا أنى لو لقيت رجلا واقفا فقلت له: ما أوقفك هنا؟ لكان عندى حسنا». وعقب أبو حيان قائلا: «وإنما ذهب إلى حسن هذا لأنه مقيس فى كل فعل لازم أن يعدى بالهمزة نحو ضحك زيد وأضحكته».

وعلى هذا يمكن تصحيح أفعال كثيرة مثل أفسح مع أنها واردة فى القرآن الكريم بدون الهمزة: «فافسحوا يفسح الله لكم»، ومثل أعاش وتجربة معاشة، ومثل أحنى رأسه.

ولكن الإشكال يقع حين يكون الفعل المجرد متعديا، ولم يستخدمه العرب لازما فحينئذ لا يتضح معنى لتضعيفه أو إدخال الهمزة عليه. وأمثلة ذلك كثيرة منها:

ملفت للنظر ـ فعل مشين ـ ضوء مبهر ـ دراسة مسبقة (من أسبق) أو مسبقة من (سبق بتشديد الباء) ـ سلعة مدعمة ـ توصيف البحث ـ توظيف النتائج ـ فعل معاب ـ عرض مصان ـ رجل مهاب ـ شىء مباع ـ حادثة مفجعة.

ومع عدم ميلى إلى التوسع فى مثل هذه الكلمات فإننى أتسامح فى كثير منها لما يأتى:

١ ـ أن تحويل الفعل من الثلاثى المجرد إلى المزيد بالتضعيف يكسب الصيغة معنى التكثير أو المبالغة كما فى قوله تعالى: وغلّقت الأبواب، وقوله: جنات عدن مفتّحة لهم الأبواب.

٢ ـ أنه سمع عن العرب كثيرا مجيء فعل (المجرد) وفعل (المزيد بالتضعيف) بمعنى واحد مثل قصّر من الصلاة وقصر، وسرجه الله وسرجه أى وفقه، وبكر وبكر.

٣ ـ كذلك سمع عن العرب مجيء فعل وأفعل بمعنى مثل: سعده اله وأسعده، ونبت البقلُ وأنبت، وجلب الجرحُ وأجلب، ورحبت الدار وأرحبت، وثبت اسمه فى الديوان وأثبته، وصمت الرجل وأصمت، وقدعه وأقدعه بمعنى كفه..

(ب) أن يكون الفعل مزيدا وينطقه المتكلم مجرداً مثل:

أغلق الباب فهو مغلق وليس مغلوقاً.

ألغى القرار فهو ملغى وليس ملغيا.

وأكثر ما يتضح هذا الخطأ فى ضبط حرف المضارعة لأنه يكون مفتوحاً فى الثلاثى المجرد ومضموما فى الثلاثى المزيد. فمما يفتحون فيه حرف المضارعة والواجب ضمه.

يَحُكم قبضته ـ يَدْرك قيمته ـ سيفنِى العالم ـ يَسهم فى نجاح المؤتمر ـ ينشد قصيدته ـ يفيق من غفلته.

ومما هو مضعف وينطقونه مجرداً:

ربت على كتفيه ـ عفى عليه الزمن (يجوز التجريد على لغة ضعيفة).

(ج) وقد يحدث تداخل بين الصيغتين فى الاستعمال الحديث كما فى الفعلين:

ربا ومضارعه يربو

وأربى ومضارعه يربى (بضم الياء).

وكثيراً ما أسمع بعضهم يقول: يربى (بفتح الياء).

الفصل الثانى

لا تتحرج أن تقول

يتسرع كثير من الباحثين فيحكمون على ألفاظ وعبارات بالخطأ رغم أنها صحيحة فصيحة لا غبار عليها ولا حرج فى استعمالها. وفى الحقيقة أن الحكم على كلمة بالخطأ أصعب بكثير من الحكم على أخرى بالصواب، لأن الحكم بالخطأ يعنى الزعم بعدم ورود اللفظ أو العبارة فى الأساليب الفصيحة، وهذا يستلزم الاستقراء التام وهو ما يصعب أو يستحيل القيام به فى كثير من الأحيان. أما الحكم بالصواب فيكفى لتقريره العثور على الشاهد أوالشواهد المطلوبة. ولذا كان الدليل السلبى أصعب بكثير من الدليل الإيجابى. بل أكثر من هذا يمكننا أن نقول إنه من الصعب ـ حتى بعد الدراسة الوافية للفظ من جوانبه المتعددة ـ الحكم على كلمة ما بالخطأ، لأن المعاجم ربما أغفلت اللفظ و أهملت النص عليه رغم وروده فى كلام عربى فصيح يحتج به. فليست المعاجم بالمراجع الوافية التى حصرت المادة اللغوية ولم يند عنها شىء، فما أكثر ما تركت ، وما أكثر ما غاب عن جامعيها رغم دأبهم وكدهم وبذلهم من الجهد الشىء الكثير. وسنرى نماذج كثيرة لذلك فيما نعرضه من ألفاظ تحت العنوان الذى معنا. وقاعدتنا فى هذا الباب أن كل كملة يمكن أن تخرّج فى العربية فلا مانع من استعمالها:

١ـ أَموى وأُموى:

اعترض الدكتور حسن رجب (الأخبار ٩٧/٢/٦) والدكتور عبد العظيم رمضان (الأهرام ٩٧/٢/٨) على نطق اسم الأمويين فى مسلسل أبى حنيفة النعمان بفتح الهمزة على أساس أنه نسبة إلى بنى أمية «ولم ينطق أحد أبدا! اسم أمية بفتح الألف، وإنما بضمها» ولأن «فتح الهمزة يقلب النسبة إلى الأَمَة أى ملك اليد».

وكلا الضبطين صواب. فالمعاجم قديمها وحديثها، وكتب النحو تذكر أن النسبة إلى أمية: أموى ـ بضم الهمزة على القياس، وبفتحها على غير قياس.

وقد اقتصر الخليل بن أحمد فى معجمه العين (٤٣٢/٨) على الفتح، وذكر القاموس المحيط، والمعجم الوسيط، والمعجم العربى الأساسى وغيرها صحة الضبطين.

وقد عقد السيوطى فى كتابه «همع الهوامع» بابا لشواذ النسب ذكر منها النسب إلى البصرة بكسر الباء، وإلى الرّىّ: رازى.. وأورد الأشمونى فى شرحه على ألفية ابن مالك ضمن ما أورد: أموى ـ بفتح الهمزة ـ نسبة إلى أمية.

٢ ـ آهل ومأهول:

يشيع على الألسنة العبارة: منطقة آهلة بالسكان، ومنهم من يقول: مأهولة بالسكان.

وكلتا العبارتين صحيحة، ففى اللسان والقاموس: «ومنزل آهل أى به أهله. وقال ابن سيده: ومكان آهل: له أهل». وقد حمله سيبويه على معنى النسب (أى جعله بمعنى أهلى)؛ وورد فيهما كذلك: «ومنزل مأهول: فيه أهله، قال الشاعر:

وقدما كان مأهولا وأمسى مرتع العفر

ومعنى هذا أن الفعل منه يجوز أن يستخدم مبنيا للمعلوم فيقال: أهل المكان (من بابى ضرب ونصر)، ويجوز أن يستخدم مبنيا للمجهول فيقال أُهل (بضم الهمزة). وقد ورد مبنيا للمجهول فى شعر للعجاج.

٣ ـ أثر عليه ـ أثر فيه:

يخطىء الكثيرون قول القائل: أثر عليه ويلزمونه أن يقول: أثر فيه، أو به (انظر العدنانى ـ معجم الأخطاء الشائعة ص ٢١).

ومع تسليمى بصحة النصف الثانى من العبارة فأنا لا أوافق على نصفها الأول. بل إننى ألمح دقة عند من يستعمل «أثر عليه». وأرى فرقا بينها وبين «أثر فيه» فالثانية تحمل معنى الظرفية أو عمق الأثر، أما الأولى فتحمل معنى الاستعلاء وتعلق الأثر بالسطح الخارجى. وقد يكون الاستعلاء معنويا كما ذكر ابن هشام فى المغنى، ومثاله قوله تعالى: ولهم علىّ ذنب، وقوله: فضلنا بعضهم على بعض..

٤ ـ الاحترام:

يرى بعضهم أن هذه الكلمة فى معناها المتداول الآن مولدة لم ترد فى معاجم اللغة القديمة. وليس هذا بصحيح، فمن معانى الحُرمة ـ كما ورد فى القاموس المحيط ـ المهابة. وقد ورد فى المصباح المنير ما نصه: والحرمة ـ بالضم.. المهابة، وهذا اسم من الاحترام، مثل الفرقة من الافتراق. وذكرت المعاجم أن المهابة والهيبة الإجلال والمخافة. وعلى هذا ففى الاحترام معنى المهابة والإجلال والتقدير.

٥ ـ استأهل:

من التعبيرات التى اختلف فى صحتها، وينبغى أن يزول الحرج من نفوس مستعمليها التعبير: أنت تستأهل كذا.. بمعنى تستحق. قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب: فلان مستأهل لكذا خطأ، إنما يقال: أهل لكذا، وإنما المستأهل الذى يأخذ الإهالة. وردد الدكتور أحمد عبد الدايم ما ذكره ابن قتيبة واعتبر هذا التعبير من أغرب ما يقوله الناس.

وسندى فى تصحيح ما خطأه ابن قتيبة ما جاء فى تهذيب اللغة للأزهرى ونصه: (وأما أنا فلا أنكره، ولا أخطِّئ من قاله، لأنى سمعته. وقد سمعت أعرابيا فصيحا من بنى أسد يقول لرجل أولى كرامة: أنت تستأهل ما أوليت وذلك بحضرة جماعة من الأعراب فما أنكروا قوله).

(وانظر العدنانى: معجم الأخطاء الشائعة ص ٣١).

٦ ـ أنانى:

لست أرى مانعا كذلك من استعمال كلمة (الأنانية) و(أنانى) رغم عدم نقلها عن العرب الفصحاء. والحق أن باب النسب فى اللغة العربية من الأبواب التى يكثر فيها القيل والقال وتحتاج دراسته إلى نظرة جديدة. ونعود إلى كلمة (أنانى) فنرى صحتها بزيادة النون قياسا على الأمثلة الكثيرة التى وردت عن العرب كذلك مثل: لحيانى وتحتانى وفوقانى وسفلانى وشعرانى ورقبانى وربانى... إلخ.

(وانظر ما سبق خاصة بكلمتى نفسانى وروحانى).

٧ - بؤساء:

يخطىء العدنانى جمع «بائس» على بؤساء. وقديما عيب على حافظ إبراهيم تسميته كتابه بالبؤساء.

وفى الحق أن جمع فاعل على فعلاء مقيس إذا دل على غريزة وسجية مثل عاقل وعقلاء ونابه ونبهاء وشاعر وشعراء أو دل على ما يشبه الغريزة والسجية فى الدوام وطول البقاء مثل صالح وصلحاء وعالم وعلماء وراشد ورشداء وفاضل وفضلاء.. ومن الأخير بائس وبؤساء.

(انظر من قضايا اللغة والنحو ص ١٤٣، وأزاهير الفصحى ص ٥٦، ٥٧).

٨ - برر:

صحح مجمع اللغة العربية بالقاهرة قولهم «الغاية تبرر الوسيلة» خلافًا لمن يرفضه ويلزم القائلين أن يقولوا: تسوغ. واستند قرار المجمع على ما جاء فى المعجم: برّ حجه: قُبل. وتضعيفه برره: جعله مقبولا ومن ثم رأت لجنة الأصول بالمجمع إجازة ما شاع من استعمال التبرير فى معنى التسويغ، وقد اعتمد المجمع رأيها.

٩ - بواسل:

يخطىء هذا الجمع من يرى أن «فواعل» خاصة بجمع «فاعلة»، أو «فاعل» اسما أو وصفا لمؤنث عاقل، أو لمذكر غير عاقل.

و أذكر أن الأستاذ علي السباعي – رحمه الله – قد ألقى محاضرة بكلية دار العلوم عام ١٩٥٥ صحح فيها كلمة بواسل، وذكر شاهدًا عليها ما يزيد على عشرين كلمة جمعت مثل هذا الجمع أخذها عن المخصص لابن سيده، والقاموس المحيط، والمصباح المنير، وأساس البلاغة ولسان العرب...

بل قد صح ورود كلمة «بواسل» نفسها جمعا لباسل فى شعر عربى قديم ورد فى حماسة أبى تمام (انظر أزاهير الفصحى – ٢٥، ٢٦). وأخيرا أصدر مجمع اللغة العربية قراره: «لا مانع من جمع فاعل لمذكر عاقل على فواعل نحو باسل وبواسل، وذلك لما ورد من أمثلته الكثيرة فى فصيح الكلام. (انظر: فى أصول اللغة ٤٣/٢ وما بعدها).

١٠ - بين .. وبين :

يخطئ الكثيرون تكرار بين مع الاسم الظاهر كقولهم: حدث خلاف بين هذا وبين ذاك (الكتابة الصحيحة لزهدى جار الله ص ٥٢).

وقد أجاد الرد على هذا الزعم الأستاذ عباس أبو السعود فى كتابه أزاهير الفصحى (ص ١٢٣، ١٢٤) واستشهد بأمثلة كثيرة من النثر والشعر، ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى إحدى خطبه: «إن المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع به، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه»، وقول على بن أبى طالب: «إذ حلتم بين الناس وبين الماء». وورد التعبير فى كلام اللغويين مثل ابن منظور، والفيروز أبادى، والفيومى. وجاء فى حاشية ياسين على التصريح ما نصه: «يجوز أن يقال بين زيد وبين عمرو بزيادة بين الثانية للتوكيد، كما قال ابن برى وغيره» ومما ورد فى الشعر القديم قول عنترة: بين اللكيك وبين ذات الحومل

وقول عدى بن زيد: بين النهار وبين الليل قد فصلا

وقول أعشى همدان: بين الأشج وبين قيس باذخ

(وانظر كذلك معجم الأخطاء الشائعة للعدنانى).

١١ - تعيس :

خطأها محمد العدنانى (ص ٤٨) قائلا: وهو تعس لا تعيس. وقد ورد اللفظ فى جمهرة ابن دريد إذ قال: «أتعسه الله أى كبه وأعثره. والرجل تاعس وتعس وتعيس (١٦/٢). فلا معنى لتخطئتها إذن.

١٢ - تفوّق :

فى المعاجم العربية: فلان يفوق قومه، أى يعلوهم. ويستند على هذا بعضهم فى تخطئة من يقول: فلان يتفوق على قومه. ولكن ورد فى أساس البلاغة للزمخشرى: ورجل فائق فى العلم، وهو يتفوق على قومه». وقد كان الأستاذ على السباعى قد نبه على صحة هذا اللفظ فى محاضرته المشار إليها آنفا.

١٣ ـ التقدير:

يكثر على ألسنة المعاصرين وبخاصة فى مراسلاتهم استخدام كلمة التقدير بمعنى التعظيم والاحترام.

وهذا المعنى وإن تكن المعاجم العربية قد أهملته، فقد قرئ به قوله تعالى «وما قدروا الله حق قدره». جاء فى الكشاف عند شرح الآية السابقة من سورة الزمر: «وما قدروا الله حق قدره. وقرئ بالتشديد على معنى: وما عظموه كنه تعظيمه» فحيث سمع الفعل بالتشديد يسوغ استعمال مصدره، وهو التقدير، ولا حرج.

١٤ ـ تقييم:

يستعمل المحدثون الفعل «قوّم» ومصدره التقويم فى مجال التعديل وإصلاح المعوج فى حين يستعملون «قيّم» ومصدره التقييم بمعنى بيان قيمة الشىء. والذى فى كتب اللغة استعمال الفعل قوم للمعنيين كليهما. ولكن مجمع اللغة العربية قد صحح استعمال الفعل «قيم» قياسا على ما قاله العرب فى «عيّد الناس» إذا شهدوا العيد ولم يقولوا عوّد تحاشيا من توهم أنها من العادة. فكذلك هنا نقول قيم الشىء بمعنى حدد قيمته للتفرقة بينه وبين قوم الشىء بمعنى عدله. وقد ساق الأستاذ الصوالحى أمثلة أخرى فرق العرب فيها بالواو والياء، ومن ذلك جمعهم (عيد) على أعياد دون أعواد حتى لا تلتبس بجمع (عود) وجمعهم (قيْل) على أقيال دون أقوال حتى لا تلتبس بجمع قول، وجمعهم (نار) على أنيار دون أنوار حتى لا تلتبس بجمع (نور) وهكذا.

١٥ ـ تواجد بالمكان:

لم ترد كلمة تواجد فى المعاجم القديمة بمعنى الوجود ـ كما يستعملها المحدثون ـ وإنما وردت بمعنى إظهار الوجد أى الحب الشديد. ولذا يخطئها اللغويون (انظر العدنانى ص ٢٦٤).

وعلى الرغم من ذلك فإننى أصححها، وأقبل دخولها اللغة، بل وألمح ذكاء فى اشتقاقها. فلو أردنا أن نستخدم الفعل المجرد للدلالة على معنى الوجود لاستخدمنا المبنى

للمجهول وقلنا: على فلان أن يوجد.. أو قلنا: وجد فلان.. لأن المبنى للمعلوم منه متعد يكون الشخص المراد وجوده متعلقا به على سبيل المفعولية. فحين أراد المتحدث تعليق الفعل به على سبيل الفاعلية لم يكن أمامه بد من استخدام إحدى صيغ المطاوعة (أو صيغ تحويل الإسناد من الفاعل إلى المفعول) وهى صيغ: انفعل ـ افتعل ـ تفعل ـ تفاعل. وقد اختار المحدثون الصيغة الأخيرة فقالوا تواجد بالمكان، ومصدره التواجد.

ومجيء تفاعل فى لغة العرب دون الدلالة على معنى الوقوع من اثنين كثير ومن ذلك: تداركه الله برحمته ـ تهالك على فراشه ـ تفاقم الأمر ـ تكامل الشيء ـ تماثل من مرضه ـ تراكم السحاب ـ تسامع به الناس ـ تكاثف الشيء... وغير ذلك.

١٦ - توفى:

يكثر الآن استعمال الفعل «توفى» مبنيا للمعلوم فى مثل قولهم: توفى فلان، أى مات. وعلى الرغم من أن الاستعمال الفصيح توفى ـ بالبناء للمجهول فليس الاستعمال الأول خطأ. وقد قرأ بعض القراء: ومنكم من يتوفى (بالبناء للمعلوم) وعلق أبوجعفر النحاس فى كتابه إعراب القرآن على هذه القراءة قائلا: «فمعناه يستوفى أجله».

١٧ - الثلاثة رجال:

يشيع على الألسنة كذلك التعبير (الثلاثة رجال) إلى (العشرة رجال) فإذا علمنا أن العدد يعرب مضافا والمعدود يعرب مضافًا إليه تنبهنا إلى المأخذ فى إدخال الألف واللام على المضاف. ويبدو أن هذا التعبير قد تسرب من تعبير آخر يقع فيه المعدود تمييزًا لا مضافا إليه، وبذا يأتى نكرة ويكون العدد إما معرفا بأل أو نكرة بحسب المراد. وذلك نحو العشرون رجلا والأحد عشر رجلا، أو عشرون رجلا وأحد عشر رجلا. ونعود إلى التعبير الأول فنقول إن الأسلم أن نقول ثلاثة الرجال فصحة هذا التعبير مجمع عليها كما يمكن أن نقدم المعدود على العدد فنقول الرجال الثلاثة. أما قولنا: الثلاثة رجال، وكذلك الثلاثة الرجال فمنهم من يخطئه وإن كان الصحيح قبوله. وقد انتصر مجمع اللغة العربية للرأى الأخير فأصدر قراره التالى: «يجوز إدخال أل على العدد المضاف دون المضاف إليه، مثل الخمسة كتب والمائة صفحة.. والألف كتاب استئناسا بورود مثله فى الحديث، كما

فى صحيح البخارى، وبإجازة بعض النحاة لذلك كابن عصفور، وإن عده الشهاب الخفاجى قبيحا».

١٨ ـ جر المنقوص الممنوع من الصرف بالفتحة:

يشيع الآن جر الاسم المنقوص الممنوع من الصرف بفتحة ظاهرة بدلا من جره بفتحة مقدرة فيقال مثلا: فى نواحى كثيرة.. والمشهور أن يجر الاسم فى مثل هذا بفتحة مقدرة كما فى قوله تعالى: والفجر وليال عشر. وعلل النحاة ذلك بأن الفتحة هنا نائبة عن الكسرة والكسرة ثقيلة. فيكون النائب عن الثقيل ثقيلا كذلك.

وقد وردت أمثلة كثيرة عن العرب على عكس ذلك، أى بجر الاسم بفتحة ظاهرة، كما هو القياس، ومن ذلك قول الفرزدق:

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى موالى

وقوله الهذلى:

أبيت على معارىَ فاخرات بهن ملوب كدم العباط

وقرئ عليه: والفجر وليالىَ عشر...

١٩ ـ حاجة وحوائج:

يخطىء الكثيرون جمع حاجة على حوائج، وصوابه كما ـ يدعون ـ جمعها على حاج. والحق أن كلا الجمعين صواب، ويبدو أن اللغويين قد انقسموا منذ القدم فريقين حول صحة الجمع الأول ولكن المحققين على صحته. وقد عرض ابن الطيب الفاسى خلاصة لآراء الفريقين فقال:

«ما ذهب إليه الأصمعى.. أن حوائج كلمة مولدة لم تستعملها العرب وقد قلده فى ذلك الرئيس أبو محمد القاسم بن على الحريرى فى درة الغواص وجعل الحوائج من أوهام الخواص، زاعما أنه لم يحفظ لتصحيحه شاهدا من كلام العرب ولا ألفى له حجة فى دواوين الأدب إلا بيتاً واحداً للبديع الهمذانى نسبه فيه للغلط، وأكثر عليه فيه من اللغط. وهذا قصور ظاهر لا يرضاه أحد. وقد تصدر للرد عليه ونسبته «أى نسبة الحريرى» إلى

الغلط فيما استند إليه الإمام أبو محمد عبد الله بن برى فى رسالته التى جلب فيها نصوص الأئمة الأعلام وأحاديث رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم وأشعارا حجة من إنشاء العرب العرباء الذين هم رؤساء الكلام، كلها تشهد باستعمال لفظ الحوائج...وقد أورده الخليل فى كتاب العين، وأبو الفتح بن جنى فى كتاب اللمع، وابن السكيت فى كتاب الألفاظ له، وسيبويه فى باب تفعل واستفعل من كتابه وابن دريد فى جمهرته، وتلميذه المهلبى فيما كتبه عنه، ونقل عن أبى عمرو بن العلاء وغيرهم من الأئمة. قلت وإنما غلّط الأصمعى فى هذه اللفظة حتى جعلها مولدة كونها خارجة عن القياس كما أومأ إليه ابن برى وغيره.. على أنه حكى الرياشى والسجستانى عن عبد الرحمن عن الأصمعى أنه رجع عن هذا القول، وإنما هو شيء كان عرض له من غير بحث ولا نظر.. وكأن الحريرى رحمه الله لم يطن على أذنه إلا ما نقل عن الأصمعى فتلقاه بالقبول تقليدا،و لم يتأمل تأمل ألمعى، وكان فى غنى عن توهيم العوام فضلا عن الخواص..» .

(وانظر كذلك: معجم الأخطاء الشائعة ص ٧١، وأزاهير الفصحى ص ٥٤).

٢٠ - حلقة:

يخطئ بعضهم فتح اللام فى حلقة ويقتصرون على ضبطها بالسكون. والصحيح جواز ضبطها بالفتح وجواز تسكينها. قال ابن منظور فى لسان العرب:

وقد حكى سيبويه فى الحلقة فتح اللام... وقال اللحيانى حلقة الباب (بالسكون) وحلقته (بالفتح). وقال كراع: حلقة القوم وحلقتهم (بالسكون والفتح). ومن الشواهد على صحة الفتح قول الشاعر:

لن يخب الآن من رجائك من حرك من دون بابك الحلقة

(انظر همع الهوامع ٩٧/٤) وقد قبل تصحيح الفتح العدنانى فى معجم الأخطاء الشائعة» (ص٦٩).

٢١ - حوالى:

يرد فى الاستعمال الحديث عبارات مثل: عندى حوالى ألف كتاب ـ حضر الجلسة حوالى نصف الأعضاء...

ويخطىء بعضهم هذا الاستعمال (انظر العدنانى ص ٧٤) لأن حوالى ظرف، ويقولون إن الصواب أن يقال «نحو، أو زهاء»..

وقد اتخذ مجمع اللغة العربية قراراً بصحة مثل هذا التعبير بعد دراسته لعدد من المذكرات والأبحاث قدمها أعضاء المجمع ومحرروه. (انظر كتاب الألفاظ والأساليب ص ١٠١ وما بعدها).

٢٢ - حياتيّ:

يفرق الاستعمال الحديث بين العبارتين: هذه مسألة حيوية، وهذه مسألة حياتية، وهى تفرقة دقيقة تجعلنا نقبل النسبة إلى «حياة» على لفظها دون حذف تاء التأنيث كما تقضى قواعد الصرف.

وقد أجاز يونس فيما تاؤه لازمة ـ مثل أخت وبنت ـ إبقاء التاء فى النسب. والأخذ بمذهب يونس يجعلنا نفرق بين صيغة النسب إلى كلمة «حياة» وكلمات «حيا»، و«حى».. وعلى مذهب الجمهور تكون الصيغة واحدة، مما يوقع فى لبس.

٢٣ - خرج وتخرج:

خطأ مصطفى جواد قولهم: تخرج من الكلية وذكر أن الصواب تخرج فى.. لأن التخرج معناه هنا التأدب والتعلم والتدرب (قل ولا تقل ص ٣٦، ٣٧).

وأنا هنا أفرق بين الاستعمالين:

(أ) تخرج من الكلية، أو تخرج فى الكلية.

(ب) تخرج فى الأدب ـ تخرج فى الطب.

ففى الأولى لا أمنع التعدى بمن. لأن اللغة تقول: خرجه من المكان إذا جعله يخرج وعليه يكون التخرج من المكان يعنى الخروج. ويكون الخروج هنا معنويا لا حسيا، بمعنى إنهاء الدروس.

أما فى الثانية فلا يصح إلا الجر بفى لأن معناها تدرب أو تعلم..

٢٤ - خصم وخصوم:

يخطىء بعضهم جمع خصم على خصوم لأنها فى الأصل مصدر، والمصدر لا يجمع. وفى الحقيقة، يعد نقل المصدر إلى باب الأسمية مبررا لتثنيته وجمعه. وقد ورد اللفظ مثنى فى القرآن الكريم: هذان خصمان..

ونقل المصدر إلى الاسمية كثير في لغة العرب ومنه: عنده حشد من الناس (ونحن نقول الآن حشود)، وعثر فلان على كنز (ونجمعها فنقول كنوز). ومثل هذا يقال عن كلمة خُلد من أسماء الجنان، وكلمة رمس بمعنى تراب القبر.

ومن الأمثلة الطريفة كلمة «عدل» فقد استعملها العرب مصدرا، ثم نقلوها إلى الوصفية، فقالوا: رجل عدل. واستعملوها كذلك اسما، فسموا «الفدية» عدلا، و«الفريضة» عدلا كما تذكر كتب اللغة. وسمع عن العرب تأنيث العدل وتثنيته وجمعه.

٢٥ - دير وأديرة:

الوارد في المعاجم أن «ديرا» تجمع على أديار (انظر اللسان دير).

ولكن يشيع الآن جمعها على «أديرة». ولا غبار عندى على هذا الجمع، ويمكن تخريجه على أحد احتمالين:

(أ) أن يكون جمعا لدير وهذا الجمع وإن لم تذكر كتب النحاة أنه قياسى من الثلاثى فإنه كثير. ومما ورد منه:

قِدح - ونجد - وصلب - وقن - وسن - وفرخ - وقدّ - وخال - وحال - وقفا - وزمن - وباب.. (انظر الفيصل فى ألوان الجموع ص ٤٢، ٤٣) ولعل أقرب الأمثلة للفظ «دير» جمعت على أفعلة كلمة «دار» التى جمعت (ضمن جموع أخرى) على أدورة. فماذا يمنع أن تجمع «دير» على أديرة كما جمعت دار على أدورة؟

(ب) أن يكون لفظ «دير» قد جمع قياسا على «ديار». وقد صرح سيبويه بأن ما كان من الأسماء على ثلاثة أحرف، وكان فَعْلا فإنه قد يجمع على فعال. وأجمع النحاة على أن الغالب فى فَعْل وزن فِعال.

ومما جمع من فعل على فعال: عظم - كلب - حبل - رحل - سهم - فرش - نعل - جحش - عبد - غرس - كبش - لحم - متن - نجد - ثوب - حوض - سوط - نوط - قين - دم - ظبى - دلو - تل - جم - ورد..

وبعد أن جمع دير على ديار أعيد جمعه على أديرة بعد أن تنوسيت جمعيته وتوهم الجمع مفردا. وظاهرة التوهم فى جمع الجمع كثيرة الشيوع فى اللغة العربية. ومن

أمثلتها لفظ «مصران» الذى هو جمع «مصير» وحين توهم إفرادة أعيد جمعه على «مصارين». ومثله لفظ «أسورة» الذى هو جمع «سوار» وحين ظنت مفرديته أعيد جمعه على «أساور».

ولعلى أزيد الأمر وضوحا فأضرب المثال الآتى:

- كلمة نجد التى جمعت على نجاد جمعت كذلك على أنجدة (انظر الفيصل ص ٤٢، وجموع التصحيح والتكسير ـ عبد المنعم سيد عبد العال ص ٢٩٢). وفى رأيى أن «نجاد» جمع نجد وأن أنجدة جمع نجاد.

وقد يوجه هنا اعتراض فحواه أن وزن «فعال» من جموع الكثرة عند النحاة، ووزن «أفعلة» من جموع القلة، فكيف يجمع جمع الكثرة على جمع قلة؟ وعلى الرغم من أن إعادة جمع الجمع مرتبطة بتناسى جمعيته وظنه مفردا [1] فإننى أقول إنه قد ثبت من استقراء الواقع اللغوى صلاحية كل الصيغ للقلة والكثيرة بحسب ما ترد فيه من سياق (انظر بحث: جمع التكسير فى اللغة العربية ـ خيرى محمود ـ رسالة ماجستير بجامعة الكويت).

٢٦ - رئيس ورئيسى:

يشيع الآن قولهم: قضية رئيسية وفكرة رئيسية... ونحو ذلك. وقد حكم بتخطئته كل من مصطفى جواد ومحمد العدنانى. وحينما عرض الأمر على مجمع اللغة العربية بالقاهرة انقسمت الآراء بين مؤيد ومعارض. ولعل أعمق البحوث وأقربها إلى القبول من بين ما قدم حول هذه الكلمة البحث الذى قدمه الأستاذ محمد خلف الله أحمد عضو المجمع والذى ذهب فيه إلى ما يأتى:

(أ) هناك فرق فى الدلالة يدركه الحس اللغوى بين الوصف من الرياسة على صيغة فعيل (رئيس) وبين الوصف منها بصيغة النسب (رئيسى). فالرئيس هو الشريف وسيد القوم والشخص المبرز والشىء الذى ينزّل من غيره منزلة السيد من قومه كالدماغ أو القلب. ولكن الرئيسى هو المنتمى إلى مفهوم «رئيس» والآخذ منه بحظ، وكأنه فرد من أفراده.

(١) مما جمع من المفردات على أفعلة وهو على وزن فعال: سنان وعنان وجران وكساء.

(ب) مثل النسب هنا مثله فى أساسى وحتمى وأولى وثانوى وجوهرى وعرضى وظاهرى وباطنى وداخلى وخارجى، وما إلى ذلك مما لا يحصى كثرة.

(ج) «رئيسى» فى الاستعمالات الحديثة صحيح، والوصف به غير الوصف برئيس، والنسب فيه على بابه.. لأن النسب المشتق من الوصف طريق مشروع من طريق التعبير عن المعانى.

وقد انتهت لجنة الأصول إلى قرارها التالى الذى اعتمده المجمع: «يستعمل بعض الكتاب العضو الرئيسى أو الشخصيات الرئيسية وينكر ذلك كثيرون. وترى اللجنة تسويغ هذا الاستعمال بشرط أن يكون المنسوب إليه أمرا من شأنه أن يندرج تحته أفراد متعددة» (كتاب الألفاظ والأساليب ص ١٦ وما بعدها).

وقد نقل مصطفى جواد عن صاحب صبح الأعشى قوله: «وأما استيفاء الدولة فهى وظيفة رئيسية..» مما يدل على أن الاستعمال قديم. وليس حديثًا كما يظن بعضهم.

٢٧ - زاد عن:

تذكر المعاجم أن الفعل «زاد» يعدى بعلى ومقابله «نقص» يعدى بعن. ولهذا يخطئ الكثيرون تعدية الفعل زاد بعن.

وقد حسم الخلاف الأستاذ عباس أبو السعود فى كتابه أزاهير الفصحى (ص ٤٧) حين قال: والحق أن تعديته بعن وردت فى شعر جاهلى. قال قبيصة بن النصرانى الجرمى فى ديوان الحماسة جزء ٢ ص ١٨١:

يزيد نبالة عن كل شىء ونافلة وبعض القوم دون

ويقول أبو البقاء فى كلياته: والزيادة تلزم، وقد تتعدى بعن كما تتعدى بعلى لأن نقص يتعدى به وهو مقابل له.

٢٨ - زهور:

لم يرد فى المعاجم جمع زهر على زهور، وإنما ورد جمعه على أزهار. والحق أن جمع زهر على زهور قياسى مثل كعب وكعوب وبرج وبروج وضرس وضروس وشمس وشموس وفأس وفئوس وبرد وبرود وقرد وقرود وجلد وجلود وليث وليوث وقلب وقلوب.

وقد ورد هذا الجمع عرضا فى معاجم اللغة، قال صاحب التاج فى مادة عنبر: ومرعى نحلة من الزهور الطيبة، وقال صاحب المصباح فى مادة روض: والروضة الموضع المعجب بالزهور (انظر محمد العدنانى ص ١١٣ وأزهير الفصحى ص ٥١ والفيصل ص ٦٥).

٢٩ - زوجة:

يخطىء الكثيرون استعمال لفظ «زوجة» للأنثى ويوجبون استعمال «زوج» للذكر والأنثى استدلالا بقوله تعالى: اسكن أنت وزوجك الجنة.

ولكن المعاجم تنص على أن بنى تميم يقولون هى زوجته. وعليه جاء قول الفرزدق:

وإن الذى يسعى يحرش زوجتى ∴ كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

(راجع اللسان - زوج، وما سبق فى ص ١٣١).

٣٠ - ساهم:

خطأها بعضهم لأنها بمعنى الاقتراع، كما فى قوله تعالى: فساهم فكان من المضحدين.

وقد سبق المرحوم على السباعى إلى تصحيحها بعد أن وجدها فى شعر لأبى الأسود، كما حكم بتصحيحها - بعد الرجوع إلى النصوص وإلى المعاجم القديمة - صاحب أزاهير الفصحى. وانتهى إلى قوله: «والحق أن استعمال المساهمة بمعنى المشاركة والمقاسمة صحيح» (انظر ص ٢٧ ما بعدها).

٣١ - الصمود:

استيحاء لقرار مجمع اللغة العربية بتكملة مادة لغوية لم يرد بعضها فى كتب اللغة، يجوز لنا استعمال كلمة الصمود بمعنى الثبات رغم اعتراضات المعترضين مثل الدكتور مصطفى جواد الذى يقول: «وقل الثبات ولا تقل الصمود وذلك لأن الصمد هو القصد، ولا يجوز إطلاق فعل من أفعال الحركة ولا اسم من أسمائها على السكون والوقوف واللبث والمكث.. إلخ». فكما ساق الكاتب شواهد وأمثلة على أن صمد بمعنى تقدم أسوق له الأمثلة الآتية التى تدل على أن المادة تدل ضمن ماتدل عليه على معنى الثبات

والرسوخ. فمن معانيها الصمد (بفتح الميم) الشديد من الأرض، والصمد من الرجال الذى لا يعطش ولا يجوع فى الحرب، والمصمد الذى ليس فيه خور، والصمد (بسكون الميم): الشديد من الأرض، والصمدة: الصخرة الراسية فى الأرض وناقة مصماد: باقية على القر والجدب.

(تنبيه) نشرت هذا الرأى أول مرة عام ١٩٥٣ فى مجلة «الكتاب» ثم أعدت نشره فى كتابى من قضايا اللغة والنحو عام ١٩٧٤. وفى عام ١٩٧٧ طبع المجمع اللغوى كتابه «الألفاظ والأساليب» الذى صحح فيه استعمال الصمود بمعنى الثبات (ص ٣٥).

٣٢ - عدائى:

يجوز - بلا تحفظ - ضبط العين بالكسر مثل قولهم عمل عدائى، على أنها مصدر للفعل عادى. ففى اللسان: وقد عاداه معادة وعداء - بالكسر. ولكن ماذا عن ضبطها بالفتح كما ينطق الكثيرون؟ فى رأيى أن الفتح جائز كذلك على أنها مصدر من الفعل عدا عليه أى وثب. وقد وردت المصادر على فعال - بالفتح - بلا حصر فى الثلاثى مطلقا حتى ادعى فيه قوم القياس لكثرته كسلام وكلام وضلال وكمال وجمال وجلال ورشاد وسداد (انظر الجاسوس على القاموس ص ١٩٨)، كما يجوز أن يكون اسم مصدر للفعل عادى.

٣٣ - عضو وعضوة:

يقول الدكتور مصطفى جواد: قل: فلانة عضوة، ولا تقل: فلانة عضو والسبب فى ذلك أن «العضو» نقل من الاسمية إلى الوصفية (قل ولا تقل ص ٨٣).

وكلا الاستعمالين صواب، ولا يؤثر فى الحكم بقاء اللفظ على اسميته، أو نقله من الاسمية إلى الوصفية.

قال ابن سيده فى المخصص (٣٦/١٧): ومما وصفوا به الأنثى ولم يدخلوا فيه علامة التأنيث وذلك لغلبته على المذكر قولهم: أمير بنى فلان امرأة، فلانة وصى بنى فلان، ووكيل فلان، وكذلك يقولون: مؤذن بنى فلان امرأة، وفلانة شاهد بنى فلان. وربما أدخلوا الهاء فأضافوا فقالوا: فلانة أميرة بنى فلان، وكذلك وكيلة، ووصية.

٣٤ - الغير:

يشيع فى الاستعمال الحديث إدخال «أل» على لفظ «غير»، ولعل من أشهر الأمثلة ما

يتداوله المؤمنون على السيارات من قولهم «تأمين ضد الغير». ويخطئ كثيرون هذا التعبير وأمثاله استنادا إلى ما ورد فى كتب النحو مانعا من ذلك. وقد ناقش مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذه المسألة. وبعد أن استعرض آراء النحاة وهى:

(أ) القول بمنع دخول أل عليها.

(ب) القول بجواز دخولها عليها لكن دون أن تكسبها تعريفا.

(ج) القول بجواز دخولها عليها وأنها تكسبها التعريف.

بعد أن استعرض هذه الآراء الثلاثة اختار آخرها.

وإدخال «أل» على لفظ غير ليس استعمالا حديثا فقد خطأه الحريرى واعتبره من أوهام الخواص حين قال «ويقولون: فعل الغير ذلك فيدخلون على «غير» آلة التعريف والمحققون من النحويين يمنعون من إدخال الألف واللام عليه.. ». وتصحيح إدخال «ال» عليها ليس رأيا جديدا كذلك فقد نادى به الشهاب الخفاجى تعليقا على قول الحريرى السابق وذلك حين قال: «ما ادعاه من عدم دخول ال على غير وإن اشتهر فلا مانع منه قياسا».

ومن هذا يتبين أن تصحيح «الغير» يعتمد على القياس وليس على السماع عن العرب إذ لم يثبت فيه سماع صحيح مطلقا. (انظر: فى أصول اللغة ١٥٣/٢، و١٧٢).

٣٥ ـ غيورون:

كما شاع فى هذا العصر جمع (غيور) على (غيورين) ويرى المتشددون أن هذا الجمع خطأ، وأن الصواب جمع الاسم جمعا مكسرا فيقال (غُيُر) وذلك لأن غيور مما يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث وهذا قاعدته التكسير لا التصحيح. ولكن رأى المجمع اللغوى إجازة جمع التصحيح بعد أن أجاز إلحاق التاء بها للتفرقة بين المذكر والمؤنث.

٣٦ ـ فحسب ـ وحسب:

من التعبيرات الشائعة الآن قولهم: أبيع بعشرة فحسب أو أبيع بعشرة وحسب (لم أجد أحدا استعملها بدون الفاء فى العصر الحديث وهو استعمال صحيح).

ولا خلاف حول دخول الفاء كما لا خلاف حول دخولها على «قط» فيقال: فقط.

ولكن الخلاف حول دخول الواو، فقد ثبت أنه لم يسمع عن العرب، فمنهم من خطأه وهم جمهور النحاة، ومنهم من أجازة على سبيل القياس، ولم أر ذلك إلا عند المعاصرين.

وقد مال مجمع اللغة العربية ناحية الإجازة فاتخذ قرارا بصحة التعبيرات الثلاثة قبضت عشرة فحسب ـ قبضت عشرة وحسب ـ قبضت عشرة حسب (انظر: كتاب الألفاظ والأساليب ٢١٣، ومعجم النحو ـ عبد الغنى الدقر ص ١٧٦).

٣٧ ـ قارص:

منهم من يخطىء وصف البرد بأنه قارص ويحتم أن يقول القائل: برد قارس ـ بالسين.

ولكن يدل على صحة الوصف الأول:

١ ـ ما جاء فى أساس البلاغة: وقرصه البرد. وبرد قارس: قارص.

٢ ـ أن العرب تبادل السين والصاد مع القاف. وفى لسان العرب مادة (صوق): الصاق لغة فى الساق، عنبرية. قال ابن سيده أراه ضربا من المضارعة لمكان القاف. والصويق لغة فى السويق..

٣٨ ـ قد لا:

يمنع الكثيرون إدخال «لا» النافية على «قد» ويخطئون من يقول: قد لا أفعل كذا، زاعمين أن هذا لم يرد فى أساليب الفصحاء. وممن نص على خطأ ذلك ابن هشام فى كتابه «المغنى». ولكننى وجدت إدخال «لا» على «قد» فى نص يحتج به وهو المثل العربى القديم وقد جاء شطراً فى بيت شعر:

وقد لا تعدم الحسناء ذاما

وذكر الأستاذ عباس أو السعود شاهدا آخر للنمر بن تولب وهو:

وأحبب حبيبك حبا رويدا   فقد لا يعولك أن تصرما

وربما كان مفيدا كذلك أن نذكر أن ابن مالك ـ وإن كان لا يستشهد بكلامه ـ قد قال فى ألفيته:

ولاضطرار أو تناسب صرف   ذو المنع والمصروف قد لا ينصرف

ويقول ابن هشام رغم نصه على المنع: «بل قد تأتى لذلك وقد لا تأتى له» (المغنى ـ هل).

وقد أخذ مجمع اللغة العربية جانب التصحيح فأصدر قراره بصحة التعبير.

(وانظر: أزاهير الفصحى ص ٣٠، كتاب الألفاظ والأساليب ص١).

٣٩ ـ قناعة

يقولون: تكونت عندى قناعة بكذا، ويعنون الاقتناع. ووجه النقد الذى يوجه إلى هذا التعبير أن «قناعة» مصدر للفعل «قنع» «من باب فرح» بمعنى رضى بما أعطاه الله من الرزق، أو بالقليل مما أعطى. وفى الحديث النبوى: القناعة كنز لا يفنى، وفيه كذلك: عز من قنع وذل من طمع.

وليس هناك أى خطأ فى استعمال «القناعة» بمعنى مطلق «الرضا» دون تقييد بالمال أو الرزق. فقد تتعلق بفكرة أو رأى أو مذهب أو نحو ذلك. وقد ذكر الزمخشرى فى أساس البلاغة ما نصه: «وقنع بالشىء واقتنع وتقنع» ومعنى هذا إمكانية استعمال الفعلين قنع واقتنع بالتبادل فى الموقف الواحد. وحيث صح هذا فى الفعل صح كذلك فى المصدر فيصح استعمال أحد المصدرين مكان الآخر. وليس هناك إلزام فى اللغة باستخدام الفعل المعين ومصدره، بل من الممكن مع فعل ما استعمال مصدر فعل آخر ما دام يطابقه فى المعنى. وفى القرآن الكريم والله أنبتكم من الأرض نباتا. وقد اعتبره أبو حيان فى البحر (٣٤٠/٨) مصدرا وخرجه على أحد تخريجات ثلاثة:

(أ) إما على حذف الزائد أى إنباتا.

(ب) أو على إضمار فعل، أى: فنبتّم نباتا.

(ج) أو على تضمين أنبتكم معنى نبتكم.

وفى القرآن الكريم كذلك: وتبتل إليه تبتيلا. وقد اعتبره أو حيان (البحر ٣٥٩/٨) مصدرا على غير الصدر. وخرجه الزمخشرى على أن معنى تبتل: بتل نفسه (الكشاف ٦٣٩/٤).

فإذا صح تبادل المصادر مع الأفعال ذات المعنى الواحد، وإن اختلفت فى الاستعمال ألا يصح مع الأفعال ذات المعنى الواحد إذا اتحدت فى الاستعمال؟

ويمكن تخريج العبارة كذلك على أن قناعة اسم مصدر للفعل «اقتنع» لأنها ينطبق عليها تعريف اسم المصدر وهو: «ما كان يتجاوز فعله الثلاثى، وهو بزنة اسم حدث الثلاثى»، مثل وضوء فى: توضأ وضوءاً.

٤٠ - كمتحدث:

أنت كمتحدث أفضل منك كمؤلف. قام الدكتور.. كعميد لكلية الآداب بافتتاح معرض الكتاب.

يكثر فى التعبير الحديث إدخال الكاف فى تعبيرات كالسابقة. ولم أجد بحثا أجاد الدفاع عن هذا التعبير أفضل من ذلك الذى كتبه الأستاذ عبد الله كنون بعنوان: الكاف التمثيلية فى مجلة اللسان العربى (١٣٠/١/٩) وانتهى فيه إلى تصحيح مثل قولهم: فلان كسفير يمثل بلاده أحسن تمثيل وزيد كأديب له شهرة عالمية... وقد خرج الكاف إما على معنى الزيادة كما فى قوله تعالى: ليس كمثله شيء، أو على التشبيه حين يكون المشبه به أعم من أن يراد به المشبه نفسه، أو على الاسمية بمعنى مثل مع نصبها على الحالية.

٤١ - كاد أن:

يشيع الآن عبارات مثل: (كاد فلان أن يفعل كذا) بإدخال (أن) على خبر كاد. وقد خطأه ابن قتيبة قائلا: كاد فلان يفعل كذا ولا يقال أن يفعل. قال تعالى: فذبحوها وما كادوا يفعلون. وقد جاء فى الشعر وهو قليل، قال الشاعر:

قد كاد من طول البلى أن يمصحا.

ولست من رأى ابن قتيبة، فدخول (أن) على خبر (كاد) وارد فى النثر، كما هو وارد فى الشعر، ومنه الحديث: (ما كدت أن أصلى العصر حتى كادت الشمس أن تغرب)، وهو ليس قليلا فى الشعر كما زعم وإنما هو كثير. وقد أثبت بعض الباحثين المعاصرين أن ورود كاد مع (أن) فى الشعر القديم أكثر من ورودها بدون (أن). وهذا وذاك يبطل دعوى ابن قتيبة بشقيها.

٤٢ ـ الكل والبعض:

يمنع اللغويون إدخال «أل» على «كل» و«بعض» مع ورود ذلك فى الصحيح فقد أنشد المعرى فى رسالة الغفران لسحيم شاهداً هو قوله:

رأيت الغنى والفقير كليهما إلى الموت يأتى الموت للكل معمدا

وأما إدخالها على «بعض» فشاهده قول مجنون ليلى:

لا تنكر البعض من دينى فتجحده ولا تحدثنى أن سوف تقضينى

وينقل الفيومى فى المصباح المنير عن ابن المقفع أنه كان يقول: العلم كثير ولكن أخذ البعض غير من ترك الكل. (يروى كذلك العلم أكثر من أن يحاط بالكل منه فاحفظوا البعض).

وشواهد الشعر السابقة تدحض ما قاله محمد العدنانى من أنه لم ترد كل وبعض محلاتين بأل فى قصائد القدماء.

٤٣ ـ مأزق:

يشيع على الألسنة ضبط الكلمة بفتح الزاى، وقد خطأها بعضهم (العدنانى ص ٢٤). ولكن إذا علمنا أنها فى الأصل اسم مكان من الأزق وهو الضيق، وعلمنا أن الفعل يجىء من بابى فرح وضرب (كما فى القاموس) علمنا أن الفتح يكون على باب فرح والكسر يكون على باب ضرب كما تقضى قواعد اللغة.

٤٤ ـ ما هو السبب؟

كذلك يخطىء المتشددون قول الكتاب: (ما هو السبب)؟ بحجة أنه لا مكان لضمير الفصل هنا. وفى رأيى أن التعبير صحيح لأن النحاة اشترطوا وقوع الضمير بين معرفتين، أو معرفة ونكرة تشبه المعرفة فى عدم قبولها أداة التعريف. والعبارة السابقة تدخل تحت هذا النوع الثانى.

٤٥ ـ متحف:

خطأ العدنانى (ص ٤٨) وغيره ضبط الكلمة بفتح الميم والحاء وذكروا أن الصواب بضم الميم وفتح الحاء من الفعل «أتحف».

ولكن المجمع اللغوى بالقاهرة قد صحح ضبطها بفتح الميم كذلك، وكان قراره كالآتى:

كلمة متحف بضم الميم صحيحة من حيث القياس ومن حيث المعنى للدلالة على مستودع التحف. والفعل أتحف ليس مقصورا على معنى أعطاه تحفة، بل يصح أن يكون معناه أيضا عرضها للاطلاع عليها. وبناء على قرار المجمع جواز الاشتقاق من أسماء الأعيان وإقراره قواعد الاشتقاق من الجامد، وما تراه اللجنة من التوسع فى جواز الاشتقاق من اسم العين دون تقيد بالضرورة العلمية، واستئناسا بأن وجود الثلاثى المزيد من الفعل يشعر بالمجرد منه، تقرر اللجنة أنه يجوز أن يؤخذ من تحفة بمعنى شيء يقدم للإلطاف فعل ثلاثى من باب نصر، ومن مصدره يؤخذ اسم مكان على وزن مفعل. فتكون كلمة متحف بفتح الميم والحاء صحيحة فى الاستعمال بالمعنى المتعارف الآن لمكان إيداع للتحف أو عرضها..

٤٦ ـ المشتركة:

يكثر الآن على الألسنة قولهم: السوق الأوربية المشتركة (بفتح الراء) والمدارس المشتركة (بفتح الراء). وقد خطأها بعضهم وذكر أن الصواب بكسرها.

ولكن كتب الأستاذ إدريس العلمى بحثا قيما بعنوان «المشتركة بين الفتح والكسر» (مجلة اللسان العربى ١٣٣/١/١٦) أثبت فيه أن الكلمة فى المعاجم والمصادر القديمة وردت بفتح الراء وذلك على حذف حرف الجر واستتار الضمير (أى بعد أن كانت: مشترك فيها).

٤٧ ـ مصائر:

يكثر فى الاستعمال الحديث قولنا مصائر جمعا لمصير ومكائد جمعا لمكيدة ومضائق جمعا لمضيق. والقاعدة المشهورة فى مثل هذه المفردات أن تجمع بالياء (لا بالهمزة) فيقال مصاير ومكايد ومضايق لأن الياء فى هذه الكلمات أصلية لا زائدة، وإنما تقلب همزة فى الجمع الياء الزائدة كصحيفة وصحائف والواو الزائدة كركوبة وركائب والألف الزائدة كرسالة ورسائل، ومع ذلك سمع عن العرب مصائب جمعا لمصيبة مع أن الياء أصلية كما سمع منائر جمعا لمنارة مع أن الألف أصلية وغير ذلك. وقد رأى مجمع اللغة

العربية أن يسوى بين حرف المد الأصلى وحرف المد الزائد وبذلك أصدر قراره التالى: «ترى اللجنة جواز إلحاق المد الأصلى فى صيغة مفاعل بالمد الزائد فى صيغة فعائل. وعلى هذا يجوز فى عين مفاعل قلبها همزة سواء أكان أصلها واوا أم ياء فيقال مكايد ومكائد ومغاور ومغائر. وقد أيد الأستاذ الصوالحى اتجاه المجمع بأن ساق شاهدا من القراءات القرآنية وهو قراءة نافع وابن عامر والأعرج وزيد بن على وغيرهم: «وجعلنا لكم فيها معائش» مع أنها جمع معيشة ذات الياء الأصلية. كما ساق قول الفراء (ربما همزت العرب هذا وشبهه يتوهمون أنها «فعيلة» فيشبهون «مفعلة» «بفعيلة»).

٤٨ ـ معدنية:

الكلمة نسبة إلى المعدن، وما دام المعدن فى الأصل اسم مكان من عدن بالمكان أقام، ومادام يجوز فى الفعل كسر عين مضارعه وضمها، فإن الكسر فى اسم المكان جائز (حملا على كسر المضارع)، والفتح جائز (حملا على المضارع) ولعل الفتح مع ياء النسب أخف نطقا ولذا يؤثره الكثيرون.

٤٩ ـ معرض:

يخطئ الكثيرون ضبط الكلمة بفتح الراء ويصرون على كسرها على أنها اسم مكان من الفعل عرض يعرض[1] (بالكسر فى المضارع). ولكن فى الفعل لغة أخرى ذكرتها المعاجم. قال فى القاموس: عرض الشئ له أظهره وعليه أراه إياه، والعود على الإناء والسيف على فخذه يعرضه ويعرضه (بالكسر والضم) فيهما.. وعرضت الغول ظهرت والناقة أصابها كسر كعرض بالكسر فيهما وفيه كذلك: عرض له كذا يعرض ـ بالكسر ـ ظهر عليه وبدا كعرض ـ بالكسر. فعلى لغة الضم يجوز فتح الراء ولا حرج.

٥٠ ـ من على:

خطأ الأستاذ عبد الحق فاضل قولهم: من على المنابر (اللسان العربى ٤١٣/١/٩). وقد انبرى له الشيخ عطية الصوالحى فبين أن العبارة صحيحة وأن على هنا اسم لا حرف كما توهم المخطىء وفى الشعر:

غدت من عليه بعد ما تم خمسها
تصل وعن قيض ببيداء مجهل

(١) انظر العدنانى ص ١٦٧.

وقد أقر المجمع اللغوى التعبير وأيد رأى الشيخ الصوالحى (الألفاظ والأساليب ص ١٧٨).

٥١ - النسب إلى جمع التكسير:

يخطىء كثيرون كلمات مثل: دولى وأممى وصحفى وكتبى مما نسب إلى الجمع مستندين إلى رأى البصريين الذى يحتمون رد الجمع إلى مفرده أولا ثم النسب إلى المفرد. ورأى الكوفيين الذى يسمح بالنسبة إلى الجمع أولى بالاتباع هنا لأنه يفتح بابًا فى النسب لا يضر بل يفيد. ويبدو أن مجمع اللغة العربية فى مصر قد اقتنع بوجهة نظر الكوفيين ولذا نجده فى قراراته الأخيرة يسمح بهذه النسبة. ونص قراره: «ويرى المجمع أن ينسب إلى لفظ الجمع عند الحاجة كإرادة التمييز أو نحو ذلك».

ويرى الدكتور مصطفى جواد وجوب النسبة إلى الجمع إذا أريدت الدلالة على الاشتراك الجمعى وتكون النسبة إلى المفرد - فى رأيه - خطأ حينئذ. وهو اتجاه لا بأس به لأنه يفرق بين الدُّولى المنسوب إلى مجموعة الدول، والدَّوْلى المنسوب إلى الدولة الواحدة. وقد ساق أمثلة نسب العرب فيها إلى الجمع مثل رجل شعوبى وعالم أصولى وأخبارى. وقد وردت النسبة إلى الجمع كذلك فى تعبيرات المشهورين من الأدباء الفصحاء مثل الجاحظ الذى قال فى كتابه الحيوان: «إن سهره بالليل ونومه بالنهار خصلة ملوكية»، وسمى ابن جنى كتابه «التصريف الملوكى» (قل ولا تقل ص ٦١، ٦٢).

٥٢ - النضوج:

أنكر أحد الباحثين استعمال النضوج مصدرًا للفعل نضج لأن المعاجم لم تنص عليه. ورغم أن المعاجم لمن تنص عليه حقا فهو من المصادر القياسية. فهذا الوزن يطرد مصدرًا لفعل اللازم إذا كان علاجا ووصفه على فاعل نحو قدم قدوما وصعد صعودًا وأزف أزوفا ولصق لصوقا، وعليه فلا مانع أن نقول نضج نضوجا.

٥٣ - ها أنا

يشيع كذلك على الألسنة القول: ها أنا أفعل كذا، وها هو ذاهب إلى كذا.. ويخطىء بعضهم هذا التعبير ويطلب إضافة اسم الإشارة بعد (ها) والضمير فتقول هآنذا أفعل كذا، وها هو ذا ذاهب إلى كذا، وهأنتم أولاء.. ونحو ذلك. ورغم اعترافنا أن هذا هو الأسلوب

القرآنى، كما جاء فى قوله تعالى: (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) - فإننا لا نرى حرجا من استعمال التعبير غير القرآنى بدون اسم الإشارة. وهنا نقف لنقول إن ما جاء به النص القرآنى يصلح للإثبات، ولا يصلح للنفى، بمعنى أنه يصلح دليلا على صحة الاستعمال المعين ولكن لا يصلح دليلا على خطأ ما عداه. فالقرآن لم يجمع اللغة العربية جميعها، والقرآن ليس هو المصدر الوحيد للصحة اللغوية، ورب عبارة لم يأت بها القرآن جاء بها غيره من النصوص الموثقة فارتفع الحرج عن استعمالها. وقد عثرت على أمثلة كثيرة فصيحة جاءت بدون اسم الإشارة. ومن ذلك ما يروى أن الحجاج قد خطب هندا بنت أسماء بن خارجة الفزارى، ولما ذهب رسوله إلى أسماء وأبلغه طلب الخطبة قال له أسماء: «ها هى تسمع ما أديت». ويروى كذلك أن زيد بن عثمان بن عفان قد استأذن زوجه سكينة فى الحج مع سليمان بن عبد الملك فأذنت له على ألا يذهب إلى ضيعته ولكنه ذهب، ولما رجع أنبأها بالحقيقة وقال لها: «هأنا تائب إلى الله». وكذلك وردت «هأنا» بدون اسم الإشارة فى شعر لنصيب.

٥٤ - هام ومهم:

يقول مصطفى جواد: قل أمر مهم ولا تقل أمر هام (ص ١٥٦ وما بعدها) ويقول أحمد عبد الدايم: والحقيقة أن هامّة تطلق على الأحناش المخيفة والعقارب وغيرها.. وصحة الأمر أن يقال: خطبة مهمة.

وفى رأيى أن اللفظين صواب. تقول العرب:

١ - همّه الأمر وأهمه أحزنه وأقلقه وأزعجه.

٢ - أهم الأمر فلانا: همه وأثار اهتمامه.

٣ - المهم الأمر الشديد المفزع، وما يدعو إلى اليقظة والتدبير.

٤ - جاء فى المثل: همك ما همك ويروى: همك ما أهمك.

ومعنى هذا أن التبادل بل والتداخل بين الصيغتين موجود فى كلام العرب فلا حرج فى استعمال اسم الفاعل من أيهما.

٥٥ - هب أن:

نص صاحب لسان العرب أن ابن سيده منع أن يقال: هب أنى فعلت، وزعم الحريرى فى درة الغواص كذلك أن قول الخواص: هب أن زيدا قائم لحن. وقد تبعهما الدكتور

أحمد عبد الدايم (من أوهام المثقفين ص ٤٢) وعد هذا التعبير مخالفا لاستعمال العرب الفصحاء.

والصواب في هذا ما ذهب إليه ابن برى من صحة هذا التركيب حيث قال: «إذا جعل هبنى بمعنى احسبنى واعددنى مما يتعدى إلى مفعولين فلا يمتنع أن تسد أن ومعمولاها مسدهما فتقول هب أنى فعلت. وقد سمع ذلك أيضاً فلا مانع منه قياساً واستعمالا». وما يشير ابن برى إلى سماعه هو ما روى فى الحديث النبوى فى مسألة من مسائل الميراث تسمى «بالحجرية» أو «الحمارية» فقد اعترض أحدهم على عمر بن الخطاب لعدم توريثه من أبيه بقوله: هب أن أبانا كان حماراً. هب أن أبانا كان حجرا.

٥٦ - وريف:

بالتوسع فى القياس يمكن تصحيح مثل قولهم «ظل وريف» بدلا من «ظل وارف» وما يزال الكثيرون يترددون فى استعمال العبارة الأولى. ولو عرفوا أن «وريف» مصدر«ورف» بفتح الفاء والعين، فإنه يقال ورف الظل وريفا إذا اتسع وامتد، وعرفوا أن العرب قد وصفوا بالمصدر كثيرا فقالوا رجل عدل ورضا وزور وفطر، وإلى ذلك يشير ابن مالك بقوله:

ونعتوا بمصدر كثيرا فالتزموا الإفراد والتذكيرا

لو عرفوا ذلك لأقدموا ومـا أحجموا. ولا يضرنا فى شىء أن يكون على التأويل بالمشتق ــ كما يقول الكوفيون ــ أى عادل ومرضى وزائر ومفطر ووارف، أو على تقدير مضاف أى ذو عدل ورضا، أو على إرادة المبالغة بجعل الموصوف هو نفس العدل والرضا.. إلخ.

الفصل الثالث

تجنب أن تقول

تشمل القائمة التالية عددا من الألفاظ والتعبيرات التى تشيع على ألسنتنا اليوم، ولم أجد لها وجهاً فى العربية تصح به، ولذا ينبغى على الأدباء تجنبها غير محتجين بالمثل المشهور (خطأ مشهور خير من صواب مهجور) فالصواب المهجور يتحول إلى مشهور باستعماله، وصواب مشهور خير بلاشك من صواب مهجور. ومن خطأ مشهور والأمثلة التالية قد أخذتها كلها من كتابات الأدباء أو أحاديثهم.

١ - فى إحدى المجلات المصرية الأدبية جاءت هذه العبارة: (عنصران اثنان كانا سبب نجاحه، ذانكما العنصران..) ووجه الخطأ فى هذه العبارة أن الكاتب طابق بين المشار إليه والمخاطب ظناً منه وجوب ذلك. والقاعدة العربية أن اسم الإشارة إذا لحقته الكاف الحرفية تصرفت تصرف الكاف الاسمية، وأنه لا ارتباط بين المشار إليه والمخاطب. فقد يشار إلى مفرد ويخاطب جمع وبالعكس. فاسم الإشارة يتغير بتغير المشار إليه والكاف تتغير بتغير المخاطب. فإذا أشير إلى مفرد مذكر وخوطب جمع، قيل: (ذاكم) وإذا أشير إلى مثنى وخوطب جمع قيل (ذانكم) وهكذا.. ولما كان المشار إليه فى العبارة السابقة مثنى والمخاطب جمعا فقد كان الواجب أن يقال (ذانكم العنصران) بناء على القاعدة السابقة.

٢ - سمعت أحد الأدباء المشهورين يقول فى المذياع: (فى القرن التاسعِ عشر) و(جاء القرن التاسعُ عشر) بإعراب صدر العدد المركب. ويبدو أن المتحدث ظن أن اسم الفاعل من العدد المركب يخالف العدد المركب من حيث البناء، والحقيقة غير ذلك. فالعدد تسعة عشر واسم الفاعل منه وهو التاسع عشر كلاهما مبنى على فتح الجزأين.

٣ - يكثر على الألسنة القول: فعلت هذا (أول أمس) أو (أمس الأول). وكلا الاستعمالين يخالف ما نقل عن العرب وورد فى كلامهم. فقد جاء فى فصيح ثعلب

(باب حروف منفردة) : وتقول ما رأيته منذ أول من أمس. فإذا أردت يومين قبل ذلك قلت ما رأيته منذ أول من أول من أمس) وجاء فى لسان العرب ـ مادة وأل: (وتقول ما رأيته منذ أمس، فإن لم تره يوما قبل أمس قلت ما رأيته منذ أول من أمس..).

٤ ـ قرأت فى إحدى المجلات الأدبية هذه العبارة: (إن كلماتى لا تفى الكاتب حقه من التقدير) بتعدية الفعل (تفى) إلى مفعولين. وهذا تعبير شائع لا يرى مستعملوه حرجا فى استعماله ولا يخالج نفوسهم شك فى صحته مع أنه مجانب لما جرى عليه الاستعمال العرب. فالفعل (يفى) مضارع (وفى) وهو فعل لازم، تقول العرب: وفى الشىء أى تم، وتقول وَفَى بعهده ووعده، وتقول هذا الشىء لا يفى بذلك أى يقصر عنه ولا يوزيه أما الفعل المتعدى فهو (وفّى) بالتضعيف، يقال وفى فلاناً حقه: أعطاه إياه وافياً تاماً. وفى القرآن الكريم: ووجد الله عنده فوفّاه حسابه، وفيه: وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم. فصحه العبارة: لا توفّى الكاتب حقه.

٥ ـ (لن أفعل هذا طالما أنا حى). يشيع مثل هذا التعبير بيننا الآن دون أن نتنبه إلى أن (طالما) لا معنى لها هنا، وأن الصواب أن يقال: لن أفعل هذا مادمت حياً. أما (طالما) فمعناها (كثر ما) وهى مكونة من الفعل طال + ما الزائدة. يمكنك أن تقول مثلا: لقد طالما نصحتك فلم تمتثل أو تقول طالما نصحتك.. بدون قد.

٦ ـ تقول كذلك: أحب أكل الفاكهة سيما التفاح، وصوابه: ولا سيما التفاح، فقد جاء فى مغنى اللبيب عند الكلام على لاسيما: (وتشديد يائه ودخول لا عليه ودخول الواو على لا واجب. قال ثعلب: من استعمله على خلاف ما جاء فى قوله:

ولا سيما يوم بدارة جلجل

فهو مخطىء. وجاء فى المصباح المنير (ولا تستعمل إلا مع الجحد، نص عليه أبو جعفر أحمد بن محمد النحوى فى شرح المعلقات ولفظه: (ولا يجوز أن تقول جاءنى القوم سيما زيد حتى تأتى (بلا) لأنه كالاستثناء، وقال ابن يعيش أيضاً: ولايستثنى بسيما إلا ومعها جحد، وفى البارع مثل ذلك..).

٧ ـ من التعبيرات الشائعة تكرار «كلما» فى مثل: كلما لأن العرب كلما زادت صلافة إسرائيل. والصواب حذف «كلما» الثانية.

٨ ـ من الأخطاء الشائعة فى باب العدد عدم تحقيق المطابقة من حيث التذكير أو التأنيث فى اسم الفاعل المأخوذ من العدد المركب مثل أحد عشر فاسم الفاعل منه حادى عشر واثنا عشر فاسم الفاعل منه ثانى عشر. والقاعدة فى هذه الأوصاف المشتقة أن تطابق فى جزأيها الموصوف من حيث التذكير والتأنيث فتقول: التلميذ الحادى عشر والتلميذة الحادية عشرة، والرجل الرابع عشر والمرأة الرابعة عشرة. فما يقال من مثل: فى الساعة الثانية عشر ونحو ذلك واضح الخطأ، وما يكتب فى التلفاز من مثل: الحلقة الثالثة عشر، خطأ صوابه: الثالثة عشرة.

٩ ـ يكثر على الألسنة عبارات مثل: أخذت مشترواتى كلها من الزمالك. والخطأ موجود فى كلمة (مشتروات) لأن مفردها (مشترى) فحق ألفه أن تقلب ياء فى الجمع لأنها خامسة فى الكلمة (تنطبق القاعدة على الألف الرابعة فصاعداً) فيقال. مشترياتى.

١٠ ـ ومن الأخطاء الشائعة قولهم: سوف لايحدث كذا، أو: سوف لن يحدث كذا.. «وسوف» موضوعة للمستقبل الموجب، أما إذا أردنا نفى المستقبل فنستعمل (لن)، فنقول: لن يحدث كذا، بدون سوف.

١١ ـ كذلك مما يشيع قولهم: ليس ثمة هناك داع لكذا.. فإذا علمنا أن (ثمة) بمعنى هناك، وضعنا أيدينا على وجه الخطأ وعرفنا أن الصواب: ليس ثمة داع أو ليس هناك داع.

١٢ ـ يلتبس كذلك على الكتاب تثنية (دعوة) وتثنية (دعوى) والأولى تثنى على (دعوتان) وتجمع على دعوات والثانية تثنى على (دعويان) وتجمع على دعاوى. ولايجوز غير هذا.

وبهذا يتضح الخطأ الذى وقع فيه على عفيفى (الأخبار ٩٧/١/١) حين قال: «بعض هذه الشركات الأجنبية أرسلت عدة دعاوى للمتهم وعائلته للقيام بزيارتها على نفقتها الخاصة».

١٣ ـ ومن الأخطاء أيضا تنوين العلم الموصوف بابن مثل: قال محمدٌ بن على.. والصواب بدون تنوين: محمد بن على.

١٤ ـ يشيع كذلك جمع كلمة (مدير) على (مدراء) وهو وهم أوقع فيه الظن بأن (مدير) على وزن (فعيل) وهى فى الحقيقة (مُفْعِل) وقياس جمعها إذن مديرون.

١٥ ـ لا تقل ربيع الآخَر ولا ربيع الثانى، ولكن قل ربيع الآخِر ـ بكسر الخاء، وسيأتى فى فصل «ألفاظ يقع فيها الاشتباه» التفرقة بين هذه الألفاظ الثلاثة.

١٦ ـ يستعمل الناس الآن كلمة أخصائى ـ بكسر الخاء وتشديد الصاد. ولا معنى للكلمة على هذا الضبط ولا على ضبطها إخصائى ـ بكسر الهمزة وسكون الخاء. والكلمة الصحيحة فى هذا المقام أن يقال: اختصاصى الجراحة أو متخصص الجراحة.. ففى اللسان: اختص فلان بالأمر، وتخصص للأمر إذا انفرد. وفى المعجم الوسيط: اختص فلان بالشىء: انفرد، وفيه كذلك: تخصص فى علم كذا: قصر عليه بحثه وجهده.

وقد حاول فوزى الشايب (مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى العدد ٣٦) تصحيح كل من أخصّائى، وإخصائى بضروب من التأويل والتخريج لايمكن قبولها. فقد خرّج كلمة أخصّائى على أنها نسبة إلى جمع كلمة خصيص (التى لم ترد فى المعاجم، وإنما وردت فى كتابات المتأخرين). وهو تخريج بعيد، فضلا عن مخالفته للنهج العربى الفصيح. أما كلمة إخْصائى فقد خرجها على أنها نسبة إلى «الإخصاء» مصدر الفعل «أخصى» من قولهم: أخصى الرجل: تعلم علما واحدا.

ونسى الباحث أن كلام القدماء أقرب إلى الذم منه إلى المدح، فقد أطلق القدماء على من لايعلم إلا علما واحدا: خَصِىّ العلماء، لأن هذا عجز منه. فالإخصاء ذم لا مدح، والإخصائى يستعمل فى مقام التحقير لا التبجيل. ولو صح أن الفعل «أخصى» هو الأصل فلماذا لم نستعمل اسم الفاعل منه مباشرة فنطلق على المختص بعلم معين: المُخْصِى؟ (وانظر مصطفى جواد: قل ولا تقل ص ٨٤).

١٧ ـ يتوهم كثيرون فيظنون أن الباء مع الفعل «استبدل» تدخل على الشىء المحتفظ به وهى فى الحقيقة تدخل على المتروك. فحين تقول استبدلت سيارتى القديمة بسيارة جديدة تكون قد أخطأت الصواب وعكست المعنى. وشاهد هذا قوله تعالى: **﴿ أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ﴾**.

ولكن ورد فى بعض الشواهد القديمة دخولها كذلك على غير المتروك وقد تبنى المجمع اللغوى هذا الرأى وأصدر قراره بأن باء البدل يجوز أن تدخل على المتروك، وعلى المأخوذ والمدار فى تعيين ذلك على السياق.

ولست من رأى المجمع لأن العمل به لايفيد تيسيرا بل يسلم إلى التعقيد والغموض. ولا يصلح السياق فى كل الحالات لتحديد المعنى المراد، ولهذا فمن الأسلم قصر الباء على المتروك، ولن تخسر اللغة العربية شيئاً إذا التزمنا ذلك، بل ستكسب مزيداً من الوضوح ومزيداً من الدقة.

١٨ ـ يضبط الكثيرون «بدائي» وبخاصة حين وصف بعض الشعوب بالبدائية ـ يضبطونها بكسر الباء. والصواب ضبطها بضم الباء (ويجوز فتحها كذلك). ففى اللسان: يقال لك البدء والبدأة.. والبداءة بالفتح ـ والبداءة ـ بالضم ـ أى لك أن تبدأ قبل غيرك. وفيه: البداءة: أول ما يفجؤك. وفى المعجم الوسيط: البدائى ـ بالضم ـ المنسوب إلى البداءة، وما كان فى الطور الأول من أطوار النشوء (مج). والبدائية فى علم الاجتماع الطور الأول من أطوار النشوء.

١٩ ـ يستخدم الكثيرون كلمة «التجرية» بضم الراء ويجمعونها على تجارب بالضم كذلك. وكلا الضبطين خطأ والصواب بكسر الراء لأن التجربة فى الأصل مصدر للفعل جرّب، ثم أطلقت على اختبار الظاهرة وعلى الخبرة، كما أطلقت على ما يعمل أولا لتلافى النقص فى شىء وإصلاحه (كما يقال تجربة الطباعة ـ تجربة المسرحية). ولخروج اللفظ عن معنى المصدرية صح جمعه فقيل تجارب.

٢٠ ـ بعد أن تقدمت أجهزة التجسس وصارت وسائل الاستماع والتسمّع على الآخرين تملأ الأخبار شاعت العبارة: «أجهزة التصنت» كما شاعت فى مجال التلفونات حين يتسمع بعضهم على مكالمات الناس.

وليس فى اللغة «تصنت» لأن مادة «صنت» غير موجودة إنما الموجود مادة «نصت» بتقديم النون. يقال نصت الرجل وأنصت وانتصت. ومع أننى لم أجد وزن تفعل فى المعاجم من هذه المادة فالقياس يسمح به. فمن معانى هذه الصيغة ـ كما ذكر الفارابى فى دايوان الأدب ـ أخذ الشىء بعد الشىء أو فعله فى مهلة، كالتفهم والترقب والتشرب والتطلب والتقرب والتثبت والتلفت والتصفح والتعبد والتهجد والتبصر والتشكر والتفكر والتسمع... ومن أراد الالتزام بالمنقول عن العرب فليقل: أجهزة التسمع.. وجريمة التسمع على المكالمات التلفونية.. وفى القرآن الكريم: لا يسَمّعون إلى الملأ الأعلى..

٢١ ـ يكثر على الألسنة كذلك استعمال كلمة «التطمين» كأن يقال: تطمين

الشعب على وفرة المخزون الغذائى.. وليس فى المعاجم الفعل طمّن حتى يوجد المصدر تطمين. وإنما الموجود بالهمز سواء قبل الميم طأمن أو بعدها طمأن. ومصدر الثانى: طمأنة.

٢٢ ـ ويقولون: مازال فى الجعبة الكثير ـ بضم جيم جعبة ـ والذى فى ديوان الأدب واللسان والقاموس ضبطها بفتح الجيم.

٢٣ ـ ويقولون صوت جهورى (بفتح الجيم وضم الهاء) والصواب جهورى (بفتح الجيم وسكون الهاء). يقال جهور فلان: رفع الصوت بالقول، ويقال أيضا جهور الصوت فالرجل جهوريّ والصوت جهوريّ (انظر معجم الأخطاء الشائعة ص ٥٨، وقل ولا تقل ص ٩٥).

٢٤ ـ ويطلقون كلمة «الخضروات» ـ بضم الخاء ـ على المزروعات الخضراء فيقولون الخضروات والفواكه. وصواب الكلمة: الخَضراوات، ففى اللسان: قال صلى الله عليه وسلم: ليس فى الخضراوات صدقة، يعنى به الفاكهة الرطبة والبقول. ولم يرد فى اللغة خُضرَى حتى يصح الجمع خضروات.

٢٥ ـ ويخطىء الكثيرون فى ضبط الكلمات الآتية: سحور ـ فطور ـ قبول ـ لبوس ـ نشوق ـ سفوف فيضبطونها بضم الأول، والصواب فتحها، كمَا تذكر كتب اللغة.

٢٦ ـ يكثر فى الجامعات التى تتبع النظام الاختيارى أو نظام المقررات التعبير «صحاف التخرج». والصحاف فى الحقيقة جمع «صَحْفة»، والصحفة وعاء كالقصعة يكفى ملؤه لإشباع خمسة أو نحوه. وفى القرآن الكريم: يطاف عليهم بصحاف من ذهب.

أما الصحيفة فتجمع على صحائف وصحف. والأكثر صحائف كما فى كتب اللغة.

٢٧ ـ أسمع كثيرا العبارة «صمام الأمن» بفتح الصاد وتشديد الميم. وهذا خطأ والصواب: صِمام بكسر الصاد وفتح الميم دون تشديد. ففى اللسان: صمام القارورة: سدادها. والصمام: ما أدخل فى فم القارورة. وكل ما يسد به الفرجة فهو صمام. وفى المعجم الوسيط: وصمام الأمن (فى الهندسة الميانيكية) سداد ينفتح من تلقاء نفسه عندما يزيد الضغط على الحد المرسوم (مجمعية)

قارورة

٢٨ ـ تكررت أمامى عبارات مثل:

لم تجد مكانا لإقامة مجمع سياسى جديد سوى فى الشريط الأخضر.. لايوجد سوى فى عشرين مجلدا.

لا يهتم سوى بالعلم.

لاتؤدى سوى إلى مفهوم التجانس الكونى.

ووجه الخطأ جرّ ما بعد سوى بحرف الجر، والواجب جره على الإضافة أما حرف الجر فينبغى ـ لكى تصح العبارة ـ تقديمه ليسبق سوى.

٢٩ ـ ومن أخطاء التعبيرات فى باب الاستثناء كذلك ما يتردد كثيرا من مثل:

هذا عدا عن تلويث المياه وموارد الطعام.

هذا عدا عن استغلال الطاقة الذرية فى مجالات متعددة.

والصواب بحذف حرف الجر «عن».

٣٠ ـ يقولون كذلك لفلان عامود يومى فى صحيفة كذا وعامود المسجد. وهو خطأ صوابه عمود بدون الألف.

٣١ ـ ويضبطون عين «عنوة» بالضم فيقولون: أخذ هذا الشىء عنوة. والذى فى المعاجم فتح العين، يقال: أخذته عنوة ـ بفتح العين ـ أى قسرا وقهرا. وفى حديث الفتح أنه دخل مكة عَنوة، أى قهرا وغلبة.

٣٢ ـ ويضبطون كلمة غلواء بفتح الغين وسكون اللام فيقولون تمادى فى غلوائه. والصواب ضبطها بضم الغين وفتح اللام، كما فى المعاجم. ومثلها فى الضبط: تنفس الصعداء ـ المرأة النفساء ـ تاه خيلاء.

٣٣ ـ على الرغم من إجازة بعضهم ـ وإقرار المجمع ـ إدخال أل على العدد المضاف فالأفضل عدم إدخال «أل» على «غير» المضافة كما يفعل الكثيرون فيقولون: الغير مصدق والأصوب: غير المصدّق.

٣٤ ـ الغيرة. ينطقها الكثيرون بكسر الغين والصواب بفتحها. تقول العرب:

غار الرجل على امرأته، وغارت المرأة على زوجها غيرة. والغيرة كذلك الحمية والأنفة.

أما الغيرة بالكسر فلا تصلح فى هذا السياق لأنها إما تكون اسم هيئة من الفعل السابق، وإما أن تكون بمعنى الدية وهو استعمال قد اختفى من لغة العصر الحديث.

٣٥ ـ أسمع الكثيرين ـ وبخاصة أطباء الأسنان ـ ينطقون كلمة «لثة» إما بفتح اللام وفتح الثاء المخففة، وإما بكسر اللام وفتح الثاء المشددة. وكلا الضبطين خطأ، والصواب لثة ـ بكسر اللام وفتح الثاء المخففة.

٣٦ ـ يشيع وبخاصة بين أفراد جاليات عربية معينة ضبط كلمة «لجنة» بضم اللام والصواب فتحها. ولعل من الطريف أن نقول إن لسان العرب ـ رغم ضخامته ـ قد خلا فى مادة «لجن» من ذكر هذه الكلمة وأن القاموس المحيط قد ذكرها، ونص عبارته:

واللجنة الجماعة يجتمعون فى الأمر ويرضونه.

٣٧ ـ أشاهد كثيرا فى النصوص المكتوبة هذه الكلمة: «اضطرد». ومن ذلك قول نبيل عصمت فى الأخبار (٩١/٧/١٥): «يلاحظ المشاهد تغييرا مضطردا فى وجه الشاشة»، وقول علوى الهاشمى فى بحث أعده لندوة أدبية: أمر مضطرد. وليس فى اللغة كلمة بهذا الشكل وإنما المراد «اطرد». وهى افتعل من الطرد قلبت تاء الافتعال فيها طاء و أدغمت الطاءان. وليست الكلمة مثل اضطرب لأن الأخيرة افتعل من ضرب، فالضاد فى جذر الكلمة بخلاف «اطرد» فلا ضاد فيها.

٣٨ ـ بمعزل: يضبطها الكثيرون بفتح الزاى والصواب كسرها. قال فى اللسان:

وكنت بمعزل ـ بكسر الزاى ـ عن كذا وكذا أى فارقتهم وتنحيت عنهم. والفعل منه جاء بكسر العين فى المضارع، وليس فيه لغة أخرى بالفتح أو الضم حتى يجوز فتح الزاى.

٣٩ ـ يشيع فى مجالى التعليم والجندية قولهم: معفىّ ـ معاف، فيقال الطالب معفىّ من دراسة كذا. وفلان معفىّ من الجندية. وفى شهادات التجنيد المصرية يكتب: معاف. وكلا اللفظين خطأ، وصواب الأول المُعْفىَ (اسم مفعول من الفعل أعفى) وصواب الثانى معافَى (اسم مفعول من عافى)، ويصح فيه أن يقال كذلك مُعْفَى كالأول.

٤٠ ـ يقولون: فلان يعانى من عرق النسا فيكسرون النون. ولا علاقة لهذا العرق بالنساء وإنما صحة ضبطه النَّسا بفتح النون. جاء فى ديوان الأدب، النسا (بالفتح) عرق يأخذ من الورك حتى يبلغ حافر الدابة. وفى اللسان: النسا عرق من الورك إلى الكعب.

٤١ ـ يقول الكثيرون المناخ ـ بفتح الميم ـ والصواب ضمها. وهى فى الأصل اسم مكان من أناخ، ولذا أطلقت على مبرك الإبل وعلى محل الإقامة. وتطلق حديثا على حالة الجو، كما تستعمل فى مثل: المناخ الأدبى. وقد أقر مجمع اللغة العربية الاستعمال الحديث. وفى جميع الحالات يكون نطق الكلمة بضم الميم لابفتحها.

٤٢ ـ أسمع كثيرا من يجر كلمة «وحده» إذا تبعت مجرورا مثل: من حقها وحدِها ـ من حقه وحدِه، ظنا أن الكلمة تابعة فى الإعراب لما قبلها. والصواب نصبها على الحالية، كما تذكر المراجع.

٤٣ ـ يضبط الكثيرون كلمة «وفق» فى مثل قولهم: تسير التنمية وفقا لخطة خمسية ـ يضبطونها بكسر الواو، والموجود فى المعاجم فتحها. قال فى اللسان:

وَفق الشىء ما لاءمه.. وهذا وفق هذا ووفاقه.. والوفق من الموافقة بين الشيئين كالالتحام. ولم أجدها بالكسر فيما بين يدى من معاجم.

٤٤ ـ يشيع على الألسنة والأقلام الآن قولهم: اعتذر عن الحضور، والصواب عن الغياب أو عدم الحضور لأن الاعتذار يكون عن فعل خطأ أو عمل ما يستحق تقديم العذر، وهو فى حالتنا هذه التخلف أو الغياب أو عدم الحضور[1].

وقد رفض مجمع اللغة العربية بالقاهرة تصحيح العبارة الأولى.

٤٥ ـ وآخر ما نذكره كلمة «خصيصى» فى مثل التعبير: جاء فلان خِصِّيصَى من أجلك. فالكمة منتهية بالألف المقصورة ـ وتكتب بالياء، وليست منتهية بالصاد كما يظن الكثيرون فيكتبونها وينطقونها خِصِيصاً.

---

(١) فى ديوان الأدب (٤٠٣/٢): «واعتذر من ذنبه». وفى لسان العرب (عذر) واعتذر من ذنبه.. تنصل. وفى المصباح المنير (عذر): واعتذر عن فعله أظهر عذره. وفى المعجم الوسيط (عذر): اعتذر إليه طلب قبول معذرته.. واعتذر من ذنبه.. واعتذر عن فعله تنصل واحتج لنفسه. واعتذر فلان صار ذا عذر.

الفصل الرابع

ألفاظ وعبارات يقع فيها الاشتباه

أ - الألفاظ

سنتناول تحت هذا العنوان مجموعة من الألفاظ التى انحرف بها الاستعمال الحديث فخلط معناها بمعنى ألفاظ أخرى تشبهها - غالبا - فى الأصول وتخالفها فى الحركات والسكنات. وسيقتصر عملنا على فصل اللفظين من بعضهما وذكر معنى كل منهما حتى يمكن للكاتب أو المتكلم أن يضعهما الموضع الصحيح:

(١) الكفاءة والكفِاية:

يخلط الكتاب بينهما فيستعملون اللفظ الأول بمعنى الثانى فيقولون مثلا: أثبت فلان كفاءة فى عمله، ويعنون تفوقا وتميزا على غيره. فإذا عرفنا أن الكفاءة بمعنى المساواة، والكفاية هى التى تحمل معنى التفوق والتميز أمكننا أن نعرف وجه الخطأ فى هذا الاستعمال.

وقد اشترط الفقهاء فى الزواج الكفاءة بين الزوجين ولم يطلب أحدهم الكفاية أى تميز أحدهما على الآخر. فإذا أردنا أن نشتق وصفا من الكفاءة قلنا «كفء»، ومن الكفاية قلنا «كاف» و«ذو كفاية».

وقد اتخذ مجمع اللغة العربية بالقاهرة قرارا بالتسوية بين الكفاءة والكفاية، وبين الكفء والكافى فى الاستعمال (الألفاظ والأساليب ص ٢١٩). ولست معه فى هذا لأنه يؤدى إلى خلط الدلالات، ويتنافى مع الدقة المطلوبة فى التعبير.

(٢) ظَرْف ومَظروف:

الظرف الوعاء الذى يوضع فيه الشىء، وكذا كل ما يستقر غيره فيه. والمظروف هو ما اشتمل عليه الظرف. ولكن يشيع الآن مثل: «وتوضع الأوراق فى مظروف....» وصحة

العبارة أن يقال: «وتوضع الأوراق فى ظَرْف»، أو «وترسل الأوراق مظروفة..».

(٣) أكْفاء وأَكِفّاء:

سمعت مؤخرا تعليقا لأحد مقدمى البرامج فى الإذاعة المرئية على قصيدة أرسلها إليه مدرس شاعر جاء فيه: «نحن فى حاجة إلى مدرسين أكِفّاء لا أنصاف شعراء» وهو طبعا يعنى مدرسين ذوى كفاءة أو كفاية فى العمل ولا يعنى مدرسين غير مبصرين. وقد شاع مثل هذا التعبير فى العصر الحديث وهو خلط بين صيغتين من صيغ جموع التكسير، أما أولاهما فهى أكفاء - بوزن أفعال - جمع كُفْء، وأما ثانيتهما فهى أكِفّاء - بوزن أفعلاء - جمع كفيف مثل شديد وأشدّاء، ولا أقدر مدى الحرج الذى يقع فيه هذا المذيع حين يعلم بهذا الخلط الشائن.

(٤) خُطْبة وخِطْبة:

يقال خطب الناسَ خطَابةً وخُطْبة، وخطب فلانة خَطْبا وخِطْبة ومع ذلك يخلط الناس فيستعملون «خطبة» فى المعنيين غافلين عن هذا الفرق بينَ الكلمتين وقد جاء القرآن الكريم على هذا، فقد جاء فى سورة البقرة «ولا جناح عليكم فيما عـرّضتم به من خطبة النساء».

(٥) عقَار وعقّار:

العَقَار - بدون تشديد - الأشياء الثابتة كالمنزل والضّيعة والنخل والأرض، أما العقّار - بالتشديد - فهو ما يُتداوى به من النبات والشجر. وجمع الأول عقَارات وجمع الثانى عقَاقير. وبهذا فُهم الخطأ فى قول بعضهم: عَقَار يُتداوى به أو هذا العَقَار مفيد للصحة أو نحو ذلك.

(٦) طِوال وطَوال:

يقولون لن أفعل هذا طِوال الدهر وصحة التعبير طوال الدهر بفتح الطاء، فالطّوال الطُّول ومدى الدهر، أما طِوال فجمع طويل.

(٧) قِيد وقَيْد:

يقولون لن أحيد عن مبدئى قَيد شعرة أو قَيْدَ أنملة. وصحة التعبير قِيد شعرة وقِيد أنملة. فالقِـيد بالكسر القَدْر ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: حتى ترتفع الشمس قِيد رمح. أما القَيْد فمعروف.

(٨) عَرْض وعُرْض:

يقولون ضرب به عَرْض الحائط وصحته: «عُرْض الحائط» فعرض السيف صفحته وعُرْض العنق والوجه جانبه، وضرب به عُرض الحائط أىْ رمى به أىّ ناحية كانت. أما العَرْض فخلاف الطول والحَبْل والجيش العظيم.

(٩) صبيح وصبوح:

يقولون: وجهه صَبوح والصواب «صبيح» يقال سقاهم صبوحا وهو ما حُلب من اللبن بالغداة وما أصبح عندهم من شراب. أما الصبيح فهو الوصف من الصباحة بمعنى الجمال.

(١٠) رُؤية ورؤيا:

يقولون سرتنى رُؤياك. ولكن إذا علمنا أنَ الرؤيا خاصة بما يرى فى المنام والرؤية للنظر بالعين أو القلب ـ أمكننا أن نصل إلى أن الصواب «سرتنى رؤيتك».

ويحاول بعضهم التسوية بين اللفظين فى الاستخدام اعتماداً على بعض الشواهد الواردة[1]. ومرة أخرى لا أجدنى أوافق على هذا لأنه يؤدى إلى خلط الدلالات:

(١١) أمس والأمس:

إذا أطلقت «أمس» يراد بها اليوم السابق ليومك، أما «الأمس» فيقصد بها أى يوم مضى. وهذا هو معنى قول النحويين إن «أمس» إذا نكرت عرَّفت وإذا عرفت نكرت. أى إذا استعملت بدون أل كان مدلولها معرفا محددا وإذا استعملت بأل كان مدلولها عاما غير معين. وعلى هذا فقولهم: زرتك بالأمس فلم أجدك (قاصدين اليوم السابق مباشرة) خطأ صوابه زرتك أمس بالبناء على الكسر.

وصحح العدنانى التعبيرين وساوى بينهما، ولا أوافق على ذلك لأن تمييزهما يجعل التعبير أكثر دقة وتحديدا، ولا يترك مجالا للبس.

---

(١) مما ورد قول المتنبى: ورؤياك أحلى فى العيون من الغمض. وقول الراعى: فكبّر للرؤيا وهش فؤاده. (والأخير يحتمل الترخيم). وحمل بعضهم عليه قوله تعالى: ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ حيث فسروها بحادثة الإسراء والمعراج وقد كانت يقظة. ولكن فى الآية تفسيرات أخرى تخرجها عن مجال الاستشهاد.

(انظر العدنانى ص ٩٩، واللسان ـ رأى).

(١٢) استلم وتسلم:

الأولى بمعنى اللمس، ومنه: استلام الحجر الأسود فى الحج، أى لمسه أما التسلم فهو الأخذ. وعلى هذا يتبين خطأ من يقول: استلمت من فلان كذا.. أو استلمت أوراق الطلاب.. أو نحو ذلك(١):

(١٣) عَنان وعِنان

فى المعاجم: عَنان كسحاب وسماء وزنا ومعنى.

وعنان كلجام وزنا ومعنى.

وعلى هذا يقال عَنان السماء وعِنان الفرس وترك له العِنان.

(١٤) قاصرة ومقصورة:

الاستعمال الصحيح أن يقال:

هذا الشى قاصر عن أن يوصل إلى المطلوب (أى عاجز).

وهذا الشى مقصور على فلان (أى موقوف عليه وخاص به).

أما قولهم هذا الشيء قاصر على كذا فخطأ، وإن احتمل التأويل.

(١٥) خِطّة وخُطّة:

يستعمل العرب اللفظ الأول فيما يختطه الرجل من أرض ليبنى عليه ومنه سمى المقريزى كتابه «الخطط» وسمى على مبارك كتابه «الخطط التوفيقية» أما الخطّة بالضم فمعناها التدبير والأمر. وعليه ينبغى أن يقال الخُطة الخمسية» و«خطّة التنمية» ونحوها. وفى الحديث: أنه قد عرض عليكم خُطّة رُشد فاقبلوها. وجمع الخُطة خُطط وجمع الخطة خِطط.

وقد جاء فى الحديث النبوى: إنه أعطى للنساء خِططا يسكنّها فى المدينة شبه القطائع.

(١٦) جاءوا سويا - معا:

السَوىّ المعتدل لا إفراط فيه ولا تفريط، والعادى لاشذوذ فيه، والوَسَط، والخالى من العيب. وليس فى اللفظ معنى المرافقة أو المصاحبة ولذلك لا يصح أن يقال جاءا سويا أو جاءوا سويا، وإنما يجب أن يقال: معا.

(١) حاول العدنانى تصحيح ذلك بنقول من بعض المعاجم الحديثة ولا حجة له. فضلا عن أن التسوية بين اللفظين تنافى الدقة الدلالية. انظر ص ١٢٠. وانظر كذلك أزاهير الفصحى ص ٩٤.

انظر معجم الدواوين

(١٧) عَقْد وعِقْد:

العَقْد البيع والعهد، كما يقال فلان فى العَقْد الثانى من عمره أى بين العاشرة والعشرين. أما العِقد فهو القلادة.

وعلى هذا يتضح خطأ من يقول: وقعت عِقدا مع فلان، أو فلان فى العِقد الثانى من عمره.

(١٨) خَلَاق وأخلاق:

يشيع على الألسنة مثل: «يقوم فريق من الشباب الذين لاخلاق لهم بعمل كذا» ظنا أن «خلاق» بمعنى أخلاق وهذا التباس مرده تشابه الكلمتين فى اللفظ فالخلاق الحظ والنصيب. وقد قال المفسرون فى قوله تعالى: ﴿ **وماله فى الآخرة من خلاق** ﴾ أى ماله من نصيب فى الخير. ويجوز على ضرب من التأويل قبول التعبير الشائع على أساس أن من يفعل المنكر لانصيب له من الخير والصلاح أو على تفسير الخلاق بالدين كما ذكره بعضهم.

(١٩) كهل وشيخ:

قرأت فى إحدى الصحف: «كهل فى الثمانين.» والكلمة التى كان يجب أن تستعمل فى هذا المقام كلمة «شيخ». فالشيخ فى اللغه الذى استبانت فيه السن، أو من فوق الخمسين. أما الكهل فقيل الذى جاوز الثلاثين ووَخَطه الشّيب، وقيل من الثلاثين إلى الأربعين وقيل من ثلاث وثلاثين إلى خمسين.

(٢٠) قَطُّ وأبدا:

يشيع على الألسنة والأقلام مثل «لن أفعل هذا قط..»، وصحة التعبير «لن أفعل هذا أبدا» لأن المنقول عن العرب استعمال «قط» فى الماضى وحده ففى اللسان: «وأما قط فإنه هو الأبد الماضى تقول ما رأيت مثله قط» وفى مغنى اللبيب: «ظرف زمان لاستغراق ما مضى، وتختص بالنفى يقال: ما فعلته قط، والعامة يقولون: لا أفعله قط وهو لحن».

(٢١) رَوْع ورُوع:

يقولون ألقى فى رَوْعه بكذا، وصوابه: ألقى فى رُوعه فالرَّوْع الفزع ولا معنى له هنا.

أما الرُّوع فهو القلب والعقل. وقد جاء فى الحديث النبوى الشريف: إن روح القدس نَفَثَ فى رُوعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها.

(٢٢) خُلْد وخَلَد:

الخُلْد البقاء. والدوام كالخلود، كما أنه اسم من أسماء الجنة. أما الخَلَد بالتحريك فالبال والقلب والنفس. ولذلك يجب أن يقال: دار فى خَلَده، أو وقع فى خلده بفتح الخاء واللام.

(٢٣) هَوِىَ وهَوَى:

يخلط كثيرون بين هذين الفعلين، ويستعملون أحدهما مكان الآخر مع ما بينهما من بعد الشقة. فالفعل هَوِىَ بمعنى أحب ومضارعه يَهوَى أما الفعل هَوَى فبمعنى سقط ومضارعه يهْوِى.

(٢٤) عِلاقة وعَلاقة:

لا يفرق كثير من الناس بين هذين اللفظين فى الاستعمال مع وجود فارق بينهما فالعلاقة بالكسر تستعمل فى مجال الحسيات فيقال: علاقة السوط وعلاقة القوس ونحوهما لما يُعلّق به. أما العَلاقة بالفتح فتستعمل فى مجال المعنويات فيقال: يجمع فلانا وفلانا علاقةٌ طيبة، وساءت العَلاقة بين فلان وفلان. ومعناها الصلة والمناسبة والصداقة. حقاً إن كثيراً من الكلمات التى على وزن فَعالة جاءت باللغتين مثل دَلالة ودِلالة وكذلك وَكالة وجَنازة ووَلاية ووَزارة ولكن هذا ليس قياساً بالقدر الذى يسمح بتعميمه فى كل الكلمات المشابهة. ولم يذكر ابن السكيت فى كتابه إصلاح المنطق كلمة «علاقة» من الكلمات التى جاءت على فَعالة وفِعالة بمعنى واحد.

(٢٥) الخَصْلة والخُصْلة:

يستعمل كثيرون اللفظين بمعنى واحد وهما ليسا كذلك. فالخَصلة تستعمل فى العربية بمعنى الخُلُق والخلّة سواء كان الخلق محموداً أو مذموماً وفى الحديث النبوى: «كانت فيه خَصْلة من خصال النفاق» أما الخُصْلة فتطلق على الشعر المجتمع أو القطعة من الشعر. ولها معان أخرى ليست فى شهرة استعمال هذا المعنى. وقد تأتى الخَصلة بمعنى

الخصلة فيطلقان جميعاً على العنقود وعلى كل عود فيه شوك. ولكن استعمال الخُصْلة مكان الخَصْلة بمعنى الخُلُق والخَلّة لم يرد في كتب اللغة.

(٢٦) الخَلّة والخُلّة:

من معاني الأولى:

(١) الحاجة والفقر، ومنه قول العرب: اللهم اسدد خلته، وفي المثل: الخَلّة تدعو إلى السَّلّة، أي الفقر يدعو إلى السرقة.

(٢) الخَصْلة والخُلُق سواء كان محموداً أو مذموماً.

(٣) الفُرجة والثقبة في الشيء.

ومن معاني الثانية:

(١) الصداقة وبه فسر قوله تعالى: لا بيع فيه ولا خُلة ولا شفاعة.

(٢) الصديق والخليل وقد يطلق على الزوجة بخاصة.

(٢٧) الحَمْل والحِمْل:

قال ابن السكيت: في إصلاح المنطق. الحَمْل ما كان في بطن أو على رأس شجرة، أما الحِمْل فهو ما حمل على ظهر أو رأس. ومن هذا يتبين الفرق بين اللفظين في المعنى والاستعمال.

(٢٨) أذان وآذان:

الأول بمعنى أذان الصلاة: والثاني جمع أُذُن. وعلى هذا نقول أذان الظهر مثلا ولا نقول آذان، كما يفعل بعضهم.

(٢٩) واحد وعشرون - حادى وعشرون:

الأول عدد، أما الثاني فهو وصف من العدد. وعليه نقول: جاء واحد وعشرون طالبا، وجاء الطالب الحادى والعشرون، ولايصح أن نقول - كما يشيع الآن - الطالب الواحد والعشرون. ولاصحة لما حاوله الدكتور أحمد شفيق الخطيب (الأهرام ١٩٩٧/١/٢٣) من تصحيح العبارة لأن اللغة العربية تفرق بين العدد الأصلي Cardinal number والعدد

الترتيبى ordinal number ، ولايجيز وضع أحدهما مكان الآخر لأن الأول يدل على قيمة عددية تساوى مايدل عليه، أما الثانى فيدل على فرد واحد موضوع فى رتبة معينة.

(٣٠) الغَداء والغِذاء:

الأولى تدل على وجبة من الطعام. وهى مقابل العشاء، أما الغِذاء فهو الطعام، وما يكون به نماء الجسم وقوامه.

(٣١) العَشاء والعِشاء:

الأولى وجبة المساء، والثانية هى الوقت المعروف.

(٣٢) ثَمّة وثُمّت:

الأولى إشارة للمكان مثل ثمّ وهناك. والثانية حرف عطف بمعنى ثُمّ كقول الشاعر:

ولقد أمر على اللئيم يسبنى   فمضيت ثمت قلت لا يعنينى

(٣٣) جِرْم وجُرْم:

الجِرْم ـ بالكسر ـ البدن والجثة، أما الجُرْم فهو الذنب والجناية وعلى هذا لا يصح أن يقال الجُرْم السماوى.

(٣٤) رِمّة ورُمّة:

الرِّمّة العظام البالية. أما الرُّمة فقطعة حبل يُجرَ بها ثم توسع فيه حتى قيل: أخذت الشىء برُمّته، أى كله. ومنه سمى الشاعر المعروف: ذو الرُّمّة.

(٣٥) لا يجب أن تهمل - يجب ألا تهمل:

النفى فى الأولى منصب على الوجوب ومعنى هذا أن الإهمال جائز الوقوع أما الثانية فهو منصب على الإهمال ومعناه أن الإهمال ممتنع الوقوع. وعلى هذا يتضح خطأ من يضع الأولى موضع الثانية. فحين أقول مثلا: لا يجب أن أذهب إلى السوق فمعناه أننى قد أذهب وقد لا أذهب. وليس الذهاب مفروضا على. أما حين أقول: يجب ألا أذهب إلى السوق فمعناه امتناع ذهابى إلى السوق.

(٣٦) شيق وشائق:

يقال: أنا شيِّق (بمعنى مشتاق ــ صفة مشبهة أو اسم فاعل) للقائك. ويقال مَعْنىً شائق وقصة شائقة بمعنى أنها تشوق وتعجب من قرأها. ولايصح وضع أحد التعبيرين مكان الآخر.

(٣٧) مَلْء ومِلْء:

يتضح الفرق بينهما فى قولنا: عليك مَلء هذا الإناء وقولنا: خذ مِلء هذا الكوب لبنا. فالأولى مصدر الفعل ملأ، والثانية اسم للشىء الذى يملأ.

(٣٨) جُدُد وجُدَد:

الأولى جمع جديد والثانية جمع جُدَّة وهى الطريقة فى السماء والجبل وعليه قوله عز وجل: «جدد بيض وحمر» أى طرائق تخالف لون الجبل وبهذا يتضح وجه الخلط حين يقول بعضهم: الطلبة الجدد. ومن الممكن تخريج الأخيرة على ضرب من التأويل.

(٣٩) الثانى والآخِر:

تستعمل «الثانى» فيما يليه ثالث ورابع... وكلمة «الآخر» فيما لايتبعه شىء. وعلى هذا يقال ربيع الآخِر، ولا يقال ربيع الثانى لأنه لايوجد: «ربيع الثالث» ولهذا قيل فى صفات الله تعالى: الآخِر لأنه ليس بعده شىء. ومثل هذا يقال فى شهرى جمادى: فيقال: جُمادى الأولى: وَجمادى الآخرة.

(٤٠) الآخِر والآخَر:

بين اللفظين فروق أهمها: أن الآخِر يقابل الأول: «هو الأول والآخِر»، أما الآخَر فهو بمعنى الواحد المغاير: «فتقبل من أحدَهما ولم يتقبل من الآخَر». كذلك فمؤنث آخِر آخِرة وهما مصروفان، أما مؤنث آخَر فأخرى وهما ممنوعان من الصرف (انظر أزاهير الفصحى ص ٨٨، ٨٩).

(٤١) نفِد ونفَذ:

يشيع على الألسنة وبخاصة فى مجال الناشرين قولهم: «نفذت هذه الطبعة» سارعوا بشراء كتاب كذا.. قبل نفاذه». وهذا التعبير خاطىء وصوابه: «نَفِدَتْ هذه الطبعة» و«سارعوا.. قبل نفاده» لأن الذى يدل على معنى الانتهاء والفنَاء هو الأصل الدّالىُّ. وفى

القـرآن الكـريم: ﴿ **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفِد البحرُ قبل أن تَنْفَد كلمات ربى** ﴾. أما نَفَذ فلها معان أخرى ليس من بينها ما يصلح فى هذا السياق فمن معانيها الوصول، يقال نَفَذَ كتابى إلى فلان أى وصل. ومن معانيها الاختراق والنفاذ فى الشىء ومنه قوله تعالى: ﴿ **يا معشرَ الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا، لا تنفذون إلا بسلطان** ﴾. وعلى هذا يتبين خطأ ما هو شائع فى المجال الجامعى من قولهم: استنفذ مرات الرسوب.

(٤٢) أوّل وأولاً:

جاء فى إحدى النشرات الوزارية: «تعيين فلان موجها أولا للغة العربية..». وقد خلط كاتب النشرة بين استعمالين مختلفين للفظ «أول» ووضع أحدهما مكان الآخر. قال فى الهمع: لأول استعمالان، أحدهما أن تكون صفة أى أفعل تفضيل بمعنى الأسبق فيعطى حكم أفعل التفضيل من منع الصرف... والثانى أن يكون اسما فيكون مصروفا ومنه: ماله أولٌ ولا آخر (٣/٢٠٠). وفى اللسان: أول غير مصروف فى قولك: مررت برجل أول. وهو بمنزلة أحمر (يعنى فى منع الصرف للوصفية ووزن أفعل). والمثال الذى معنا مما وقعت فيه «أول» صفة ولذا استحقت منع الصرف. أما المصروف فمن أمثلته: ما رأيت له أولا ولا آخرا ـ ماتركت أولا ولا آخرا (كما تقول ما تركت قديما وحديثا). ومثله ما يأتى فى الترقيم: أولا ـ ثانيا ـ ثالثا... إلخ

(٤٣) أثناء وثنايا:

الثنايا جمع ثنيّة وهى السن فى مقدم الفم والعقبة ومنقطع الوادى أو الجبل ومكان انعطافهما.

أما الأثناء فهى جمع ثِنْى. يقال: أثناء الشىء أى تضاعيفه. ووضعت الورقة فى أثناء كتابى أى فى طياته وتضاعيفه. وتقول العرب أنفذت كذا ثِنْى كتابى أى فى طيه.

وبهذا تبين أن من الخطأ قولك: وقد تعرض لذلك فى ثنايا حديثه وأن الصواب: فى أثناء حديثه. (انظر اللسان ثنى، وأزاهير الفصحى ص ٩١).

(٤٤) الثمين والسمين:

يقولون فلان لا يميز بين الغث والثمين، وهم هنا يخلطون بين لفظين يتشابهان صوتيا ويختلفان دلاليا.

فالثمين غالى الثمن أما الغث فهو الهزيل النحيف الضعيف، ولذا فلا تقابل بين المعنيين. وإنما التقابل بين غث وسمين.

(٤٥) الحيرة والحَيْرة:

يقولون: فلان فى حِيرة ــ بكسر الحاء ــ من أمره. والصواب فتح الحاء فى هذا المثال كما ورد فى اللسان والقاموس والمصباح وغيرها، أما الحيرة ــ بالكسر ــ فهى اسم بلد معروف قرب الكوفة.

وقد ورد فى المعجم الوسيط ضبطها على المعنى الأولى بالفتح والكسر. ولا أدرى من أين جاءوا به. ولعلهم قاسوه على كلمات وردت بالوجهين مثل: حيطة التى رويت بالفتح والكسر. لكن لا مجال للقياس فى مثل هذا.

(٤٦) الطرْف والطرَف:

الطرْف العين، والطرَف نهاية الشىء. قال تعالى: ﴿ **قبل أن يرتد إليك طرْفك**﴾. وقال: ﴿**أقم الصلاة طرَفَى النهار** ﴾.

(٤٧) الفِطرى والفُطرى:

الفطر ــ بالضم ــ جنس من الكمء، كما فى اللسان. وفى الوسيط: الفُطر والفُطريات اسم يطلق على طائفة من اللازهريات منها فصائل وأجناس وأنواع عديدة. وعلى هذا فالذى يرد فى مجل الأحياء هو الفطريات بالضم. أما الفطرى بالكسر فهو نسبة إلى الفطرْ أو الفِطرة كما فى قوله تعالى: ﴿ **فطرة الله التى فطر الناس عليها** ﴾.

(٤٨) كلا وكلتا:

يصادفنى كثيراً عبارات مثل: وفى كلا الحالتين.. كلا الدولتين. وهذا خلط بين «كلا» التى تستعمل للمذكر فقط وكلتا التى تستعمل للمؤنث فقط، وإن جاز تخريج العبارة مع المؤنث المجازى دون الحقيقى استهداء بقراءة: «كلا الجنتين آتت أكلها».

(٤٩) الوَفَيات والوفيّات:

يجمع كثيرون كلمة «وفاة» على وفيّات، فيقولون مثلا: صفحة الوفيّات وهذا خلط بين كلمتين متباعدتين فى المعنى وهما: وفيّة من الوفاء وجمعها وَفيّات، ووفاة وجمعها وَفَيات بقلب الألف ياء.

(٥٠) رتاج الباب:

يتوهم الكثيرون أن الرتاج بمعنى المزلاج أو المغلاق. وقد ورد فى مقال للشاعر الدكتور أحمد تيمور (الأهرام ٩٦/٢/٥) قوله: «البوابة العتيقة التى علا رتاجها الصدأ».

والرتاج فى اللغة: الباب العظيم أو المغلق، وهو معنى لا يتناسب مع ما يريده الكاتب.

ب - العبارات

سنتناول تحت هذا العنوان عددا من التعبيرات والأمثال الشائعة التى قد يلتبس معناها أو معنى أحد ألفاظها على القارئ أو يفهمها على غير حقيقتها فيضعها فى غير موضعها من الاستعمال الصحيح:

التعبير أو المثل	التعليق
١ ـ من قمة رأسه إلى أخمص قدمه	الأخْمَص من القدم: باطنه الذى يرتفع عن الأرض، ولا يلصق بها. وتعنى العبارة: الشمول والإحاطة بأجزاء الشىء.
٢ ـ الصمت حُكمٌ وقليل فاعله	هو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، والحكم: الحكمة. ومعنى المثل: استعمال الصمت حكمة ولكن قل من يستعملها.
٣ ـ حَلَب فلانٌ الدهرَ أشطُرَه	مستعار من حلب أشطر الناقة، والمعنى أنه اختبر الدهر خيره وشره فعرف ما فيه. يضرب للمجرَّب.
٤ ـ هُدْنة على دَخَن	الهدنة والمهادنة: المصالحة. والدخن: تغير الطعام وغيره مما يصيبه من الدخان. واستعير الدخن لفساد الضمائر والنيات.
٥ ـ أحشفا وسوء كِيلة	الحشف: التمر الردئ، والمعنى: أتجمع بين رداءة التمر، وسوء الكيل. يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين.

التعبير أو المثل	التعليق
٦ ـ أعيا من باقل	هو قيس بن ثعلبة، وكان قد اشترى عنزا بأحد عشر درهما فقيل له بكم اشتريته؟ فأطلق كفية وفرّق أصابعه وأخرج لسانه، يريد بذلك أحد عشر درهما فشرد العنز.
٧ ـ أطيش من فَراشة	ضرب بها المثل فى الطيش، لأنها تلقى نفسها فى النار.
٨ ـ أبلغ من سحبان وائل	هو رجل يضرب به المثل فى البيان، يقال إنه خطب بين حيين شطر يوم فما أعاد كلمة.
٩ ـ أخلف من عُرقوب	عرقوب اسم رجل ضرب به المثل فى إخلاف الوعد. وقد وردت فى قصته روايات كثيرة فى كتب الأمثال.
١٠ ـ أَسْرَقُ من زَبَابة	الزّبابة: فأرة صماء تضرب بها العرب المثل.
١١ ـ أبعد (أعزّ) من بيض الأنوق	الأنوق طائر كالعُقاب، يتخّذ أوكاره فى رءوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة فيصون بيضه. مثل يضرب للمستحيل أو لما لا سبيل إليه.
١٢ ـ أشهر من نار على علَم	العَلَم: الجبل المرتفع.
١٣ ـ أقرب من حبل الوريد	الوريد: أحد الوريدين وهما عرقان مكتنفان لصفحتى العنق، وهو مثل فى شدة القرب.
١٤ ـ أخذ الشىء برُمّته	الرُّمة: القطعة من الحبل، وأصله أن رجلا أعطى آخر بعيرا بحبل فى عنقه فقيل لكل من أعطى أو أخذ شيئا بجملته.
١٥ ـ إنّ أخاك من آساك (واساك)	آساك: قاسمك، وشاركك وعاونك بماله أو بمعروفه. والمعنى: إن أخاك من أعانك لا من يذكر لك قرابته.

التعبير أو المثل	التعليق
١٦ ـ على أهلها (نفسها) جنت براقش	براقش: اسم كلبة نبحت على قومها فدلّت على مكانهم فلحقهم الأعداء. يضرب لمن يعمل عملا يرجع ضرره إلى أهله وإليه.
١٧ ـ سعى إلى حتفه بظلفه	مثل يضرب لمن يسعى إلى ما يؤدى إلى تلف نفسه.
١٨ ـ بلغ السَّيْل الزُّبَى	الزُّبى: جمع زُبية، وهى الرابية لا يعلوها الماء، فإذا بلغها السيل كان جارفا. يضرب لما جاوز الحد، ولاشتداد الأمر.
١٩ ـ قد أعذر من أنذر	صار ذا عذر من خوّف ثم عاقب.
٢٠ ـ زُرْ غِبّا، تزدد حُبّا	الغبّ: أن ترد الإبل الماء يوما، وتتركه يوماً. والمعنى أن من يباعد فى زيارته يزيد حب الناس له، وشوقهم إليه.
٢١ ـ أسمع جعجعة ولا أرى طِحْنا	الجعجعة: صوت الرَّحى، والطِّحْن: الدقيق. والمعنى: أسمع جلَبة، ولا أرى عائدا.
٢٢ ـ لا تعدم الحسناء ذاماً	الذامُ: العيب، والمعنى: لا يخلو أحد من شىء يعاب به.
٢٣ ـ اختلط الحابل بالنابل	الحابل: الذى ينصب الحبالة للصيد، والنابل: صاحب النَّبْل، يضرب للقوم يختلط أمرهم فلا يهتدون لرأى.
٢٤ ـ سكت ألْفا، ونطق خَلْفا	يضرب للشخص يطيل الصمت فإذا تكلم تكلم بالخطأ، والمعنى أنه سكت عن ألف كلمة، ثم تكلم بالخطأ.
٢٥ ـ وقع الحافر على الحافر	يضرب للتعبير عن توافق أمرين
٢٦ ـ تحرر البلد من نِير الاستعمار	النير: الخشبة المعترضة فوق عنقى الثورين لجر المحراث أو غيره.

التعبير أو المثل	التعليق
٢٧ ـ تحرر البلد من رِبْقة الاستعمار	الرِّبقة: الحبل أو الحلقة المعدة لربط الدواب.
٢٨ ـ كان رابط الجأش أمام الأعداء	الجأش: النفس، أو القلب، أو الصدر ويكنى برباطة الجأش عن الشجاعة.
٢٩ ـ دخل الغرفة وأحكم الرِّتاج	الرِّتاج: الباب، أو الباب العظيم، أو الباب المغلق وفيه باب صغير.
٣٠ ـ ضرب أخماسا لأسداس	الأخماس جمع خِمْس، وهو أن ترد الإبل الماء فى اليوم الخامس من ورودها السابق، والأسداس جمع سِدْس، وهو أن ترد الإبل الماء فى اليوم السادس من ورودها السابق. وهو مثل يضرب للمكر والخداع (وليس للحيرة والارتباك كما يظن الكثيرون).
٣١ ـ الحديث ذو شجون	الشجون: الأغصان المتشابكة الملتفة، والمعنى: للحديث فنون متعددة تأخذ منه فى طرف فلا تلبث حتى تكون فى آخر.
٣٢ ـ نال الشىء بحذافيره	الحذافير: جمع حذفار وحذفور، وهو الجانب. والمعنى نال الشىء بأسره، وبجوانبه كلها.
٣٣ ـ ارتعدت فرائصه من الخوف	الفرائص جمع فريصة، وهى اللحمة بين الجنب والكتف أو بين الصدر والكتف تُرْعد عند الفزع. والمعنى: فزع فزعا شديدا.
٣٤ ـ تتمتع المغنية بصوت رخيم	الرخيم: الرقيق اللين الناعم.
٣٥ ـ لها بنَان رَخْص.	الرَّخص والرخيص: اللين الناعم.
٣٦ ـ ذاع صيته فى أرجاء المعمورة	الأرجاء جمع رَجًا: وهو الناحية.

التعبير أو المثل	التعليق
٣٧ ـ أخذ بتلابيب اللص	التلابيب جمع تلبيب، وهو من الثوب: طوقه، والمعنى: أمسك به متمكنا منه.
٣٨ ـ حمى وطيس الحرب	الوطيس: المعركة، والوطيس كذلك: حفيرة تحتفر فتوقد فيها النار للاشتواء، والمعنى: اشتدت الحرب.
٣٩ ـ هو من أساطين العلم	أساطين: جمع أسطوانة، وهى العمود، والمعنى هو من أعمدة العلم ورجاله.
٤٠ ـ سبق السيفُ العَذَل	العَذَل: اللوم قاله رجل لامه الناس على قتله قاتل ابنه فى الحرم، يضرب لما قد فات ولا يمكن استدراكه.

١ - فهرس الألفاظ

٢ - فهرس التراكيب

٣ - فهرس المسائل اللغوية (حسب تسلسل الصفحات)

٤ ـ فهرس التعبيرات والأمثال

قائمة المصادر والمراجع

لا تمثل هذه القائمة إلا عشر معشار ما رجعت إليه من مصادر ومراجع فهذا البحث نتاج خبرة طويلة، وثمرة قراءات وملاحظات وتعليقات استمرت قرابة ثلاثين عاما. كما أنني رجعت فيه إلى آلاف من النماذج الكتابية والنطقية فى الصحف والمجلات والنشرات والإعلانات والأحاديث وغيرها.

وبالإضافة إلى ماورد فى صلب الكتاب، هذه هى أهم مراجعى:

١ ـ أدب الكاتب لابن قتيبة ـ ط ليدن.

٢ ـ أزاهير الفصحى فى دقائق اللغة ـ عباس أبو السعود ـ المعارف ١٩٧٠.

٣ ـ أساس البلاغة للزمخشرى.

٤ ـ إصلاح المنطق لابن السكيت ـ تحقيق عبد السلام هارون.

٥ ـ البحث اللغوى عند العرب ـ أحمد مختار عمر ـ عالم الكتب ١٩٧٨.

٦ ـ البحر المحيط لأبى حيان.

٧ ـ تاج العروس للزبيدى.

٨ ـ الجاسوس على القاموس ـ أحمد فارس الشدياق ـ القسطنطينية ١٢٩٩.

٩ ـ جمع التكسير فى اللغة العربية ـ خيرى محمود ـ رسالة ماجستير بجامعة الكويت.

١٠ ـ الجمهرة لابن دريد.

١١ ـ جموع التصحيح والتكسير فى اللغة العربية ـ عبد المنعم سيد عبد العال ـ الخانجى ١٩٧٧.

١٢ ـ ديوان الأدب للفارابى ـ تحقيق أحمد مختار عمر ـ ط أولى.

١٣ ـ شرح الأشمونى بحاشية الصبان ـ الحلبى بمصر.

١٤ ـ شرح مفصل الزمخشرى لابن يعيش.

١٥ ـ فقه اللغة للثعالبى.
١٦ ـ فى تاريخ العربية ـ نهاد الموسى ـ عمان ١٩٧٦.
١٧ ـ الفيصل فى ألوان الجموع ـ عباس أبو السعود ـ المعارف ١٩٧١.
١٨ ـ القاموس المحيط للفيروزابادى.
١٩ ـ قل ولاتقل ـ مصطفى جواد ـ أول ١٩٧٠.
٢٠ ـ الكتاب لسيبويه.
٢١ ـ كتاب الألفاظ والأساليب ـ محمد شوقى أمين ومصطفى حجازى ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧٧.
٢٢ ـ كتاب فى أصول اللغة ـ الجزء الأول ـ محمد خلف الله أحمد ومحمد شوقى أمين ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٦٩.
٢٣ ـ كتاب فى أصول اللغة ـ الجزء الثانى ـ محمد شوقى أمين ومصطفى حجازى ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧٥.
٢٤ ـ كتاب المذكر والمؤنث ـ محمد بن القاسم الأنبارى ـ تحقيق طارق الجنابى ـ بغداد ١٩٧٨.
٢٥ ـ لسان العرب لابن منظور.
٢٦ ـ اللسان العربى ـ مجلة مكتب تنسيق التعريب بالرباط (أجزاء متعددة).
٢٧ ـ المحكم لابن سيده.
٢٨ ـ المصباح المنير للفيومى.
٢٩ ـ معجم الأخطاء الشائعة ـ محمد العدنانى ـ مكتبة لبنان ١٩٧٣.
٣٠ ـ المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
٣١ ـ الملكة اللسانية فى نظر ابن خلدون ـ محمد عيد ـ القاهرة ١٩٧٩.
٣٢ ـ من قضايا اللغة والنحو ـ أحمد مختار عمر ـ أولى ١٩٧٤.
٣٣ ـ همع الهوامع للسيوطى ـ تحقيق عبد العال سالم ـ دار البحوث العلمية بالكويت.

كتب أخرى للمؤلف

١ ـ تاريخ اللغة العربية فى مصر ـ الهيئة العامة للتأليف والنشر ـ القاهرة ١٩٧٠م.
٢ ـ النشاط الثقافى فى ليبيا من الفتح الإسلامى حتى بداية العصر التركى ـ الجامعة الليبية ١٩٧١م.
٣ ـ البحث اللغوى عند العرب ـ ست طبعات ـ عالم الكتب ١٩٧١ ـ ١٩٨٨م.
٤ ـ البحث اللغوى عند الهنود ـ دار الثقافة ببيروت ١٩٧٢م.
٥ ـ أسس علم اللغة ـ ترجمة عن الإنجليزية ـ عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٣، ١٩٨٣م.
٦ ـ من قضايا اللغة والنحو ـ عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٤م.
٧ ـ ديوان الأدب للفارابى ـ تحقيق ودراسة ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى خمسة أجزاء ١٩٧٤ ـ ١٩٧٩م.
٨ ـ المنجد فى اللغة لكراع ـ تحقيق بالاشتراك ـ عالم الكتب بالقاهرة ـ ١٩٧٦، ١٩٨٨م.
٩ ـ دراسة الصوت اللغوى ـ ثلاث طبعات ـ عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٦ ـ ١٩٩١م.
١٠ ـ اللغة واللون ـ دار البحوث العلمية بالكويت ١٩٨٢م، وعالم الكتب بالقاهرة ١٩٩٧م.
١١ ـ علم الدلالة ـ دار العروبة بالكويت ١٩٨٢، وعالم الكتب بالقاهرة ١٩٨٨م.
١٢ ـ معجم القراءات القرآنية (بالاشتراك) ثمانية أجزاء ـ جامعة الكويت ـ طبعة أولى ١٩٨٢ ـ ١٩٨٥، وطبعة ثانية ١٩٨٨، وطبعة ثالثة ـ عالم الكتب ١٩٩٧م.
١٣ ـ النحو الأساسى (بالاشتراك) ذات السلاسل بالكويت ١٩٨٤ ـ ودار الفكر بالقاهرة ١٩٨٨، ١٩٩٦م.
١٤ ـ المعجم العربى الأساسى (تأليف بالاشتراك) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٩م.
١٥ ـ أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين ـ عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩١م.
١٦ ـ تاريخ اللغة العربية فى مصر والمغرب الأدنى ـ عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩٢م.
١٧ ـ لغة القرآن ـ مؤسسة الكويت للتقدم العلمى ـ الكويت ١٩٩٣.
١٨ ـ معاجم الأبنية فى اللغة العربية ـ عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩٥م.
١٩ ـ اللغة واختلاف الجنسين ـ عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩٦م.
٢٠ ـ التدريبات اللغوية والقواعد النحوية ـ تأليف بالاشتراك ـ ذات السلاسل بالكويت ١٩٩٦م.
٢١ ـ أسماء الله الحسنى: دراسة فى البنية والدلالة ـ عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩٧م.
٢٢ ـ فهارس معجم القراءات القرآنية (بالاشتراك) ـ عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩٧.